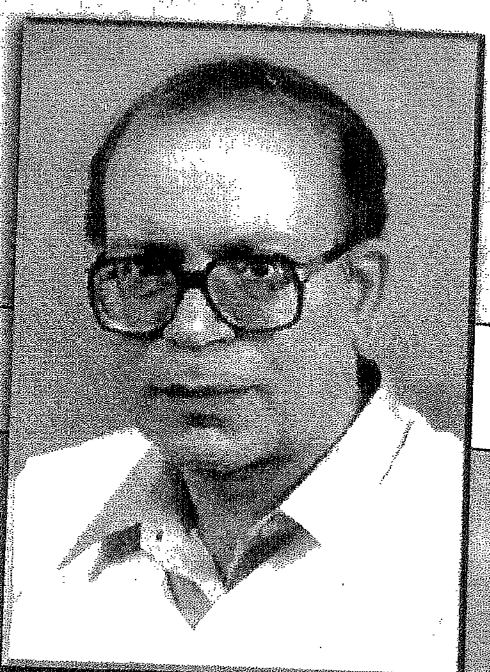
حسن توفيق



الأعمال الشعرية

- ليلى تعشق ليلى
- ما رآه السندباد
- ق... ة الطوفان
- انتظار الآت...
- ...لشقة
- أحب أن أقول ...
- وجهها قصيدة لا تنتهي
- حينما يصبح الحلم سيفا
- الدم في الحداثة

الأعمال الشعرية

حسن توفيق

حسن توفيق

الأعمال الشعرية

- ليلى تعشق ليلى
- مارآه السندباد
- وجهها قصيدة لاتنتهي
- قصة الطوفان ...
- انتظار الآتي
- حينما يصبح الحلم سيفا
- قصائد عاشقة
- أحب أن أقول لا
- الدم في الحدائق

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٩

في الشتاء.. تولد القصيدة

مقدمة بقلم : حسن توفيق

في أمسية ما من أمسيات مطلع كل شتاء، وحين أكون خارجا لتوي من البيت إلى أية وجهة أود أن أقصدها، يفاجئني شعور غريب، تمتزج فيه الدهشة بالوحشة والنشوة بالأسى، حيث أشعر أن الهواء من حولي والذي يتسلل إلى رئتي محمل برائحة الشجن. حين يفاجئني هذا الشعور الغريب وحين أشم في الهواء رائحة الشجن أدرك على الفور ان موسم كتابتي للشعر قد أطل، فيفرح القلب فرحا طفوليا جامحا، وقد تولد قصيدة في الليل بعد عودتي إلى البيت، وبعد أن تكون ملامحها الأولية قد تشكلت في أعماقي خلال وجهتي التي أود أن أقصدها، بل إنني قد ألغي تماما ما أود أن أتوجه إليه لأنطلق إلى شاطيء بحر أو إلى أقرب حديقة، حيث أظل أتخيل الملامح المرتقبة للقصيدة قبل أن تولد، وكيف يتعانق الحرف مع الحرف وتتلاحق السطور، سطرا وراء سطر، مثلما تتلاحق الأمواج، موجة في إثر موجة.

قد يكون هناك ارتباط ما في ذهني بين الشعر والشتاء، وقد يكون الأمر مجرد مصادفة، لكن هل يمكن أن نسمي المصادفة مصادفة إذا كانت تتكرر معي - بصورة شبه منتظمة - مع مطلع كل شتاء؟! وقد يكون الشعور الغريب الذي يفاجئني في أمسية ما من أمسيات مطلع كل شتاء، هو نفس الشعور الذي يفاجيء غيري من الشعراء، وقد تكون لآخرين من الشعراء طقوسهم الخاصة التي يتهيأون لها أو تتهيأ لهم عندما يستهل كل منهم موسم كتابته لشعره، لكن ما استطيع تحديده فيما يتعلق بي هو أن الشعر يواجهني بروحه العذبة والمعذبة حين أواجه مطلع الشتاء كل عام، مستنشقا في الهواء رائحة الشجن، وكأني أختزن طيلة فصول السنة الأخرى ما أختزنه من تجارب أو مواقف أو

صور، إلى أن أواجه فصل الشتاء، فينبثق من الأعماق ماكنت أختزنه، متجاوبا مع عاصفة فجائية أو زخات مطر أو بروق ورعود!

لكن هذا لايعني أني أتوقف تماما عن كتابة الشعر في فصول أخرى غير فصل الشتاء، فهناك قصائد كتبتها على امتداد رحلتي مع الشعر في تلك الفصول الأخرى، لكنها لاتشكل القاعدة العامة وإنما تشكل الإستثناء، ومن هنا أجد نفسي مندهشا ومتعجبا حين يفاجئني الشعر في الصيف، تماما مثلما نجد أنفسنا مندهشين ومتعجبين عندما تمطر السماء أحيانا في فصل الصيف.

●●●

ولدت قبل أن تخمد نيران الحرب العالمية الثانية بما يقرب من عامين. وإذا كان لابد من التحديد، فإني ولدت يوم ٣١ أغسطس عام ١٩٤٣ في حي شعبي أصيل من أحياء قاهرة المعز، هو حي شبرا، ولم يكن في البيت الذي ولدت فيه كتاب واحد، لكني أذكر جيدا أن ولعي بالشعر بدأ مبكرا، منذ المرحلة الإبتدائية التي قضيتها في مدرسة الشماشرجي، فقد كنت أقبل على حفظ كل النصوص المبثوثة في كتب اللغة العربية بمتعة مابعدها متعة، أما الأصوات المتناسقة الجميلة فكانت تأسرني، كما كانت الموسيقى تطربني دون أن أستطيع تفسير سر طربي، وأذكر أن حماسة جارفة ومبهمة كانت تغمرني وأنا في طريقي الى المدرسة كل صباح حين أستمع إلى ما تبثه «راديوهات» المقاهي من الأغنيات الوطنية والعاطفية، ولم تزل أصداء أغنيتين وطنيتين في ذاكرتي الى اليوم، وهما أغنية «يا مجاهد في سبيل الله.. جه اليوم اللي بتتمناه..» وأغنية أو قصيدة «أخي جاوز الظالمون المدى»... وحتى الآن فإني لا أعرف من الذي كتب كلمات الأغنية الأولى، ولا من الذي كان يغنيها وإن كنت أتصور أن غناءها كان جماعيا، وفيما يتعلق بالأغنية - القصيدة الثانية فإني لم أكن أعرف علي محمود طه ولا محمد عبدالوهاب، ولا أن حرب فلسطين - عام النكبة ١٩٤٨ - قد بدأت وانتهت، وإن كنت أتذكر أن رجلا صارم الملامح كان يقوم بطلاء فوانيس الشوارع باللون الأزرق، وكانت تلك الفوانيس تعمل بالغاز، مثل «الكلوبات» التي يبدو أنها قد انقرضت أو أوشكت على الإنقراض، ولم أكن أعرف أن طلاء

الفوانيس باللون الأزرق يعني الاستعداد لإتقاء أية غارات جوية محتملة.

في المرحلة الإعدادية التي قضيتها في مدرسة السيدة حنيفة السلحدار بشبرا كان ترتيبي الأول دائما في مادة اللغة العربية، ولهذا كان مدرسو تلك المادة يفاخرون بي عادة عندما يأتي المفتشون أو خلال المناظرات بين أوائل الفصول الدراسية، وعلى صعيد الأحداث الوطنية أتذكر أن «راديوهات» المقاهي كانت تجلجل ذات صباح، وأنافي طريقي الى المدرسة، وكان الصوت الحماسي الهادر والصادر من تلك «الراديوهات» يقول «.. من أجل مصر وقعت معاهدة ١٩٣٦ ومن أجل مصر أعلن إلغاء هذه المعاهدة..»... فيما بعد علمت ان الصوت الحماسي الهادر كان صوت زعيم الوفد مصطفى باشا النحاس.. لكني - وقتها - تاججت بالحماسة وأنا في طريقي إلى المدرسة. أما الحدث الأهم الذي عايشته بكل دقة، فقد كانت الإسكندرية مسرحه. كانت الوزارة كلما تنتقل إلى الاسكندرية خلال شهور الصيف أيام الملك فاروق - آخر ملوك أسرة محمد علي باشا، وكان أبي شرطيا في حرس الوزراء، وتوجهت اليه وحدي - لأول مرة - من القاهرة إلى الاسكندرية، وحين ركبت الترام الدائري ودفعت الستة مليمات أجرة التذكرة فوجئت بالركاب - الكبار يندفعون ليطلوا من نوافذ الترام، صائحين: «.. اللواء محمد نجيب..».. وفي المساء قادني أبي إلى قصر رأس التين، وشهدت خروج الملك فاروق متوجها بـ «المحروسة» إلى إيطاليا، وكان ذلك المساء البعيد هو مساء ٢٦ يوليو عام ١٩٥٢.

أتيح لي بعد ذلك أن أشاهد اللواء محمد نجيب وهو عائد الى بيته، والسبب أن أبي كان أحد حراسه الشخصيين، وأذكر أني لعبت الكرة عدة مرات مع «علي» ابن محمد نجيب ومع أبناء أحد جيران محمد نجيب، وهو المصور محمد كريم، وكان في مكتبة هذا المصور كتب كثيرة، لكني كنت أدمن اعادة تقليب صفحات كتاب ضخم فاخر مليء بالصور عن الحرب العالمية الثانية، وكنت أتوقف كثيرا أمام صور أدولف هتلر المبثوثة في ثنايا ذلك الكتاب، ومن أغنيات تلك المرحلة والتي كانت تشدني أغنية «ع الدوار.. ع الدوار.. راديو بلدنا يجيب أخبار» وأغنية «بالاتحاد والنظام والعمل»... أما القصيدة التي كنا نرددها كل

صباح في طابور مدرسة السيدة حنيفة السلحدار، فقد كانت قصيدة «مصر التي في خاطري وفي فمي..» لأحمد رامي، وفي المساء كنت أجلس على حافة نافذة حجرية في شقة البيت لأرهف السمع إلى أغنية «ياليل يا اسمراني.. يا اسمراني ياليل» ووقتها كنت أتصور الليل عملاقا أسمر يهبط من الأفق ليجوب الشوارع!

***

نقلتان جديدتان في حياتي.. الأولى أورثتني إحساسا حادا بمعنى الفقد، والثانية أكسبتني خبرات أولية أسهمت في تشكيل مكوناتي العقلية والنفسية. النقلة الأولى تتمثل في الانتقال من حي شبرا الذي أحببته وألفته إلى حي آخر شعبي هو حي الشرابية، فقد كان الانتقال اضطراريا ، حين قامت محافظة القاهرة بإزالة بيوت ثلاثة شوارع متوازية، ليتآلف من تلك الشوارع شارع واحد كبير هو شارع أحمد حلمي، وكان المنزل الذي ولدت فيه (٧ شارع سكر المتفرع من أرض الطويل) أحد البيوت التي أزيلت، وهكذا كان لابد من البحث عن أصدقاء جدد في الشرابية، لكنهم لم يعوضوني عمن نشأت معهم في شبرا، وأذكر أني كنت بين حين وآخر أذهب وحيدا إلى شارع أحمد حلمي، وأستشعر نوعا من الفقد الرومانسي وأنا أرى حركة السيارات فوق أرض المنزل الذي شهد مسقط رأسي والذي لم يعد له وجود!... أما النقلة الثانية فتتمثل في الانطلاق من المرحلة الإعدادية في مدرسة السيدة حنيفة السلحدار إلى المرحلة الثانوية التي قضيتها في مدرسة روض الفرج الثانوية، وخلال تلك المرحلة (٥٨ – ٥٩ – ١٩٦٠م) كان صوت الزعيم الخالد جمال عبدالناصر يأسرني ويأسر معظم أبناء جيلي، كما عايشنا إعلان قيام الجمهورية العربية المتحدة – أول وحدة في تاريخ العرب الحديث – وعايشنا كفاح الجزائر من أجل نيل الاستقلال وثورة العراق في ١٤ يوليو – «تموز» – ١٩٥٨، كما عايشنا ملحمة بناء السد العالي – العظيم.. وفي تلك المرحلة كان أبناء جيلي يتعلقون بصوت غنائي جديد هو عبدالحليم حافظ أما أنا فكنت استغرق في أحزاني المبهمة مع فريد الأطرش. وقد شهدت تلك المرحلة بدايات تعلقي الجارف بالشاعر الأول الذي سكن قلبي، وهو ابراهيم ناجي، حيث حفظت عن ظهر قلب كل قصائد ديوانيه «وراء الغمام» و

«ليالي القاهرة» باستثناء قصائد المديح والإخوانيات والهجاء التي كنت أنفر منها. كما أهداني أحد أصدقائي ديوان «قرارة الموجة» لنازك الملائكة، واشتريت من مصروفي الخاص الضئيل مجلدا جميلا يضم مختارات من شعر عمر أبو ريشة وديوان «أنت لي» وقصيدة «سامبا» لنزار قباني ، كما اشتريت ديوانا صغيرا، كان ثمنه ١٢ قرشا مصريا، لكنه كان بمثابة كنز رائع، هذا الديوان هو ديوان «أشواق إنسان» لعبدالرحمن الخميسي والذي يضم إلى جانب قصيدة طويلة عن جميلة بوحيرد قصائد رومانسية آية في الجمال والرقة. ولم يكن طموحي في قراءاتي الشعرية مقصورا على الشعر العربي، فقد حصلت خلال تلك المرحلة على دواوين كاملة من الشعر الانجليزي، من بينها الأعمال الكاملة لوليم بتلر ييتس وت. س. اليوت و د. هـ. أودن وستيفن سيندر واوي ماكنيس، ويرجع الفضل في حصولي عليها إلى أحد أساتذتي وهو ماهر ميخائيل الذي كان عائدا من بعثة لدراسة الأدب الإنجليزي في لندن ومن الأشياء الطريفة أني كتبت قصيدة باللغة الإنجليزية ، وقام الأستاذ ماهر ميخائيل بنشرها في مجلة المدرسة المطبوعة. ومادمت ذكرت أستاذ اللغة الإنجليزية فلابد أن أذكر أساتذة آخرين، حاولوا أن ينموا اهتماماتي السياسية والأدبية، وهم كمال نشأت (الشاعر والدكتور فيما بعد) وصبحي شكري ونعروس سليمان وبانوب فريد. ومن خلال مكتبة المدرسة كنت أقرأ بانتظام مجلة «الآداب» البيروتية التي يرأس تحريرها د. سهيل إدريس، وقد عرفتني تلك المجلة المهمة برواد الشعر الحر، حيث أخذت أقرأ ما أقرأ وأحفظ ما أحفظ من قصائد بدر شاكر السياب ونزار قباني وصلاح عبدالصبور وخليل حاوي وخليل خوري ونازك الملائكة. ومن خلال سور الأزبكية اشتريت الكثير من أعداد مجلة «أبولو» الشعرية العظيمة التي كان يصدرها د. أحمد زكي أبو شادي، حيث أخذت أحفظ قصائد عديدة لشعراء أبولو، منهم إبراهيم ناجي ومحمود حسن إسماعيل وعلي محمود طه وحسن كامل الصيرفي، ومن المجلات التي فتحت آفاقي مجلة «كتابي» و «مطبوعات كتابي» فقد أسهمت في تعريفي بأدباء وشعراء وفنانين عالميين. أما مكتبة شبرا – وهي فرع من فروع دار الكتب الرئيسية بباب الخلق – فإني

كنت مترددا دائما عليها، حيث كنت أستعير منها ترجمات «دار اليقظة السورية» لروايات تولستوي ودوستويفسكي.

أضحك الآن من نفسي، حين أتذكر أني - على صعيد الاهتمامات السياسية - كنت أجمع بين متناقضات، إذ كيف يمكن أن يعجب الإنسان - في آن واحد - بهتلر ولينين و غاندي؟!.. إنها مرحلة العبث مع الأمواج قرب الشاطيء قبل أن يتعلم الإنسان السباحة، ثم يحدد وجهته ومقصده.

النيل في روض الفرج كان متعتي الوحيدة في تلك المرحلة، حيث كنت أؤجر قارب تجديف - بقرشين في الساعة - كل يوم اثنين وكل يوم خميس بالاشتراك مع أحد زملائي من طلبة المدرسة، وهو محمد حجازي، ولم يكن هو ولا أنا نعرف شيئا عن السباحة، لكن جرأة السن المبكرة كانت تجعلنا ننطلق بالقارب إلى عرض النيل، حيث تلوح ملامح حي إمبابة!.. أما الصديق الذي كنت أقرأ له ويقرأ لي ما يروقنا فهو فتحي عبد الحافظ.. وانقضت المرحلة الثانوية حيث كان ترتيبي الأول على منطقة القاهرة الوسطى التعليمية، وكان فتحي هو الأول - مكرر.

●●●

خضنا - فتحي وأنا - سنة فاشلة على المستوى الدراسي، ولكنها سنة دسمة حقا على مستوى التحصيل الأدبي والثقافي العام، فقد أجبرته أسرته وأجبرتني أسرتي على أن نلتحق بكلية تجارة القاهرة، والتحقنا بها بالفعل، لكننا تمردنا تمردا سريا، حيث كنت انطلق من البيت الى مكتبة جامعة القاهرة كل يوم، بينما كان فتحي ينطلق يوميا إلى دور السينما، وفي المساء نتلاقى - في بيت أسرته أو بيت أسرتي - بحجة المذاكرة، بينما نحن في الحقيقة نقرأ الشعر - أنا - أو نتحدث عن موضوعات الأفلام - هو - ... وكانت نتيجة التمرد السري أننا رسبنا آخر السنة بجدارة، حيث لم ننجح إلا في مادة «المجتمع العربي» والتي كانت - فيما يتعلق بنا - مجرد ثقافة عامة!

خلال السنة التي قضيتها لا في كلية تجارة القاهرة، وانما في مكتبة جامعة

القاهرة قرأت بنهم لايعدله نهم دواوين شعراء عرب كثيرين، وأذكر أني كنت أنقل بالكامل بعض تلك الدواوين، ومن بينها ديوان «أغاني المدينة الميتة» لبلند الحيدري، والذي سعد من الأعماق - فيما بعد - عندما اطلعته عليه وهو بخط يدي، حين كان يزور القاهرة - عام ١٩٦٨ - للمشاركة في أحد مؤتمرات الأدباء العرب.

بعد التمرد السري انطلقنا - فتحي وأنا - إلى قسم اللغة العربية بآداب القاهرة، حيث تخرجنا في يونيو عام ١٩٦٥ بعد أربع سنوات حافلة بالكفاح وبالنجاح داخل الكلية وخارجها.

خلال تلك السنوات كان لنا أساتذة رائعون من الكبار المرموقين ومن الشباب الجادين.. من أكبر من تلقينا العلم على أيديهم الأستاذ مصطفى السقا والدكتور خليل نامي، ومن أصغر من تلقينا العلم على أيديهم - إن لم تخني الذاكرة - الدكتور عبدالمحسن بدر والدكتورة نبيلة ابراهيم، وبين الكبار عمرا والصغار كان هناك أساتذة أجلاء كثيرون... الدكتورة سهير القلماوي - الدكتور شوقي ضيف - الدكتور شكري محمد عياد - الدكتور يوسف خليف - الدكتور حسين نصار.

بعد أن قرأت أستاذتي العظيمة د. سهير القلماوي مجموعة من قصائدي أبدت إعجابها بها، فأصبحت الطالب المدلل لديها، وكان هذا مثار فخر لي بين أصدقائي وزملائي، وكانت أستاذتي العظيمة أول من قدمني باعتباري شاعرا في «كتابات جديدة» بالبرنامج الثاني في الإذاعة ، وأذكر أنها قد عقدت مقارنة بيني وبين الشاعر الأمريكي إدجار آلان بو، والذي كنت قد سمعت عنه دون أن أكون قد قرأت له، وهذا مادفعني اعتبارا من اليوم التالي لتسجيل البرنامج الى البحث عن قصائده، حيث فرضت على أصدقائي قصيدة من تلك القصائد، هي قصيدة «الغراب» - The Raven».. وقد حفظت هذه القصيدة بلغتها الإنجليزية دون استيعاب لبعض معانيها إلى أن اكتشفت أن الدكتور محمد مندور قد بثها مترجمة إلى العربية في أحد كتبه.

أما أستاذي الدكتور يوسف خليف، فعلي الرغم من أنه لم يكن يحب الشعر الحر الا انه كان يشجعني تشجيعا أبويا رقيقا، بل مفرطا في الرقة، وكان يرى أن شعري الرومانسي هو امتداد جديد لشعره ولأشعار أبناء جيله.

وأما أستاذي الدكتور عبدالمحسن بدر، فعلي الرغم من انه كان من اشد المتحمسين للشعر الحر إلا أنه كان ينقد ما أكتبه نقدا حادا، بل جارحا، وكان يرى أن من الضروري أن أتخلص من رومانسيتي لكي أصبح شاعرا واقعيا. ومع هذا فإنني كنت أزوره في بيته بالمعادي مرة أو مرتين كل أسبوع، بصحبة فتحي عبدالحافظ، حيث نستفيد من قراءاته التي يشرحها لنا باستفاضة، وقد نستعير بعض الكتب التي تحفل بها مكتبته، وفي كثير من الأحيان كنا نلتقي في بيته مع أصدقائه من أبناء جيله، وأذكر منهم عبدالجليل حسن - محمد أبو المعاطي أبو النجا - سليمان فياض - غالب هلسا.

أنشطة أخرى عديدة كنت اشارك فيها أو أمارسها خارج أسوار الجامعة.. كنت محبا للصحافة، وهذا مادفعني للتعرف على الأستاذ أحمد بهجت في مبنى «الأهرام» القديم، وهكذا أصبحت أصغر افراد «شلة» أحمد بهجت، أما أكبرنا فكان الأستاذ عبدالسلام شهاب الذي كنا نسميه «عم شهاب» وكان الفنان العبقري صلاح جاهين يزاحمنا فيزحمنا بخفة دمه وبروعة فنه في مكتب أحمد بهجت، ومن خلال الإثنين - جاهين وبهجت - انفتح الطريق أمام شعراء العامية ونقادها، وتعرفت بكل من عبدالرحمن الأبنودي وسيد حجاب وعبدالرحيم منصور وسيد خميس، كما تعرفت لافي مكتب أحمد بهجت وإنما في بيته بالفنان الرائع سيد مكاوي الذي كان يسكن في نفس العمارة التي يسكن فيها أحمد بهجت في حي عابدين.

وفي حي عابدين كنت أقود كثيرين من زملائي وزميلاتي إلي مقر الجمعية الأدبية المصرية في شارع قولة، خاصة اذا كنت سالقي قصيدة في إحدى الأمسيات الشعرية، وكان مقر الجمعية أشبه بسرداب طويل ترص فيه الكراسي، وهناك أترك المجال لإحدى زميلاتي - الزميلة نبيلة إبراهيم جاب الله - التي كتبت تصف المقر في كشكول أعتز به حقا، لانه يضم إلى جانب ما

كتبته هي كتابات أخرى لزميلات وزملاء مرحلة الدراسة الجامعية، وأذكر منهم جابر عصفور (الدكتور فيما بعد) - فتحي عبدالحافظ - مصطفى كمال هارون - فريدة عيد حسن مرعي - زينب عبدالغني - ثريا فارس الجندي - رباب موسى الدروي - مديحة رفعت .. كما يضم هذا الكشكول تعليقين حول شعري، أولهما تعليق أستاذتي د. سهير القلماوي وثانيهما تعليق أستاذي د. يوسف خليف ... أترك المجال لنبيلة إبراهيم جاب الله، لكي تصف مقر الجمعية الأدبية المصرية.. تقول: «.. وهناك أيضا نشاطنا خارج الجامعة أو نشاطك الذي تصر على أن «تجرنا» وراءك فيه بالقوة، لنعبر بحيرات شارع قولة على أقدامنا وننتهي إلى شيء يشبه بالبيت، ونكاد نعود أدراجنا ولكن غضبك يرغمنا على الدخول لنسير في سرداب مظلم ثم نصعد بعض درجات متآكلة «من أقدام الشعراء» لنجد أنفسنا في مكان عرضه متر وطوله عشرة أمتار تقريبا، صفت فيه المقاعد الخالية فنحن الجمهور المظلوم المغلوب على أمره الذي سيحتلها.. ويلعب اللب والسوداني دوره في الترفيه عنا قليلا ونحن نتظاهر بالإنصات إلى ما يسمى بقصائد.. وتنظر إلينا شزرا لأننا لانفهم في الذوق ولا نحترم المكان ونفسد الكلمات الشعرية الجميلة «بطرقعة» اللب.. ولكن يكفي أننا حضرنا معك وتحملنا هذا الوابل من الأشعار.. ثم يأتي دور شاعرنا الهمام فيشرق علينا بقصيدته التي نكون قد سمعناها مرارا وتكرارا وكدنا نحفظها كأغاني أم كلثوم.. وتتحرك الكاميرا المرافقة لموكب البؤساء لتسجل حركات وخلجات شاعرنا وهو ينطلق مغردا أمام روحية القليني..»».

وبعيدا عن هذه الصورة الكاريكاتيرية، فإن الجمعية الأدبية المصرية قد أفادتني فائدة لاينساها إلا الجاحد، ففي أمسياتها الشعرية وندواتها النقدية والثقافية كان أبناء جيلي ممن انتموا إلى تلك الجمعية يلتقون مع أبرز رموز الحركة الأدبية والثقافية، حيث كنا نتلاقى لنستفيد ونستزيد من كل من صلاح عبدالصبور - فاروق خورشيد - د. عبدالغفار مكاوي - د . عز الدين اسماعيل - د. شكري عياد - د. حسين نصار - د. عبدالقادر القط - عبدالرحمن الشرقاوي - د. أحمد كمال زكي - د. أحمد حسين الصاوي - محمد عبدالواحد -

ملك عبدالعزيز..

وكان مقهى «ريش» يمثل مكان التقاء حميم لأبناء جيلي من الشعراء والأدباء، وأذكر منهم محمد ابراهيم أبو سنة - أمل دنقل - يحيى الطاهر عبدالله - إبراهيم أصلان - عبدالحكيم قاسم . وممن يكبروننا محمد مهران السيد - عبدالمنعم عواد يوسف ... وكان مقهى ريش يتحول هو أيضا إلى صورة كاريكارتيرية عندما يؤمه كل من عبدالوهاب البياتي (وكان لاجئا سياسيا وقتها في مصر) ومحمد الفيتوري (وكان مقيما في القاهرة) فقد كان حبل الود بينهما مقطوعا، وربما لم يزل مقطوعا إلى الآن، ولهذا كان كل منهما يختار أبعد نقطة عن الآخر ليحتل كرسيا فيها، وهكذا كان البياتي يجلس في أول المقهى اذا حضر قبل الفيتوري الذي عليه أن يجلس في آخرها.. والعكس صحيح.. أما نجيب محفوظ - العظيم فكنا نتحلق حوله حين ياتي إلى المقهى ويجلس معنا لمدة ساعتين دون نقصان أو زيادة من السادسة إلى الثامنة مساء.

كان صلاح عبدالصبور أول من نشر لي قصيدة خارج حدود مصر، حيث أرسل «القصيدة المصلوبة» - التي غيرت عنوانها فيما بعد ليصبح «من ليالي الفراغ» للدكتور سهيل إدريس الذي نشرها في «الآداب» البيروتية العريقة، وكان صلاح عبدالصبور ثاني من قدمني في الإذاعة - البرنامج الثاني - بعد د. سهير القلماوي.

أما رجاء النقاش فكان يوجهني - بمحبة آسرة - إلى مجالات النقد الأدبي، ويساعدني في تدبير أمور حياتي اليومية، وهكذا كان شانه مع آخرين غيري من أبناء جيلي.

●●●

من الجامعة إلى العمل الوظيفي .. بدأته بداية صعبة وقاسية ، حيث عملت موظفا بإدارة المعاشات في وزارة الخزانة، وأصبح مشهد الأرامل والمسنين مشهدا يوميا مؤلما، ينبغي أن أتعامل معه، وظللت عدة شهور أتعذب، إلى أن يسرت لي الأمر أستاذتي العظيمة د. سهير القلماوي، فالحقتني بالعمل في ادارة

المجلات بالهيئة العامة للتأليف والترجمة والنشر (الهيئة العامة للكتاب - الآن).. وقالت لي بحنو بالغ: «.. يا حسن.. ها تشتغل مع صلاح.. عايزاك تساعده..».. وكان صلاح الذي تحدثته عنه دون ألقاب هو أستاذي الشاعر العظيم صلاح عبدالصبور الذي تشرفت بالعمل مديرا لمكتبه، وفتح لي قلبه وبيته، وكان شاعرا وإنسانا نبيلا حقا، وليس مثل المتوحشين الذين يزعمون أنهم شعراء!

قراءاتي في الشعر تكاد لاتنقطع.. وقراءاتي في التاريخ وعلم النفس والفلسفة وعلم الاجتماع تتواصل... مشاهداتي للمسرح الراقي الذي كانت تقدمه الدولة تتزايد.. إدماني على حضور الأفلام الأجنبية يترسخ.. حضور حفلات فرقة الموسيقى العربية بقيادة عبدالحليم نويرة واجب لاينبغي التقصير فيه... ويتوالى نشر قصائدي في مجلة «المجلة» التي رأس تحريرها د. عبدالقادر القط خلفا للعظيم يحيى حقي.. كما يتوالى نشر مقالاتي النقدية في مجلات عديدة، وفي جريدة «الأخبار» عن طريق أنيس منصور وفي جريدة «الجمهورية» عن طريق صلاح عيسى.. هل كنت أجمع بين نقيضين مثلما كنت أجمع بين هتلر ولينين وغاندي؟!.. لا بالطبع... فقد كنت أعرف وجهتي... لكن علاقاتي الإنسانية كانت علاقات مرنة بغض النظر عن الاختلافات فيما يتعلق بالنظرة إلى الحياة وإلى السياسة، ومن هنا فإني أستطيع القول - مثلا - بأني كنت صديقا لصالح جودت في نفس الوقت الذي كنت فيه صديقا لابن جيلي أمل دنقل الذي كان المتنبيء الأول بكارثة نكسة يونيو - حزيران ١٩٦٧ والتي انعكست آثارها على كل أبناء جيلي، وصوروا أجواءها أصدق وأجمل تصوير، وأذكر منهم إلى جانب أمل دنقل - محمد ابراهيم أبو سنة - بدر توفيق - فاروق شوشة - نصار عبدالله (الدكتور) - يحيى الطاهر عبدالله - إبراهيم أصلان - جميل عطية إبراهيم....

ولكن جمال عبدالناصر لم يكن مجرد رئيس عادي لدولة من الدول... كان أمة في فرد... وبقيادة الزعيم بدأت حرب الاستنزاف المجيدة التي لم يعش ليرى ثمارها، وإن كانت قد علمتنا جميعا أن هزيمة عسكرية في مرحلة من مراحل

المواجهة مع عدو عنصري لاتعني انكسار إرادة الشعب.

في مساء يوم ٢٨ سبتمبر عام ١٩٧٠ وبعد فترة طويلة من تلاوة القرآن الكريم عبر موجات الإذاعة في مصر، جلست في مقهى بشارع التوفيقية مترقبا ومتوترا، واذا بصوت مقنع بالحزن يقول: «اغلى الرجال...» وعلى الفور أدركت أن كارثتين قد حلتا بمصر وبالأمة العربية كلها... الكارثة الأولى رحيل جمال عبدالناصر.. والكارثة الثانية تتمثل فيمن قال: «أغلى الرجال..» .. وارتعت لمجرد أني تصورت أن صاحب الصوت المقنع بالحزن هو الذي سيخلف الزعيم التاريخي لمصر وللعروبة. وفي رثائهم لجمال عبدالناصر كان الشعراء العرب أسبق الجميع في التنبؤ بما حدث لمصر، حيث انقلبت الأوضاع تماما، خاصة بعد الثورة المضادة يوم ١٥ مايو عام ١٩٧١، وبعد أن كان الثوار من كل مكان يلجأون إلى مصر، أصبح من يلجأون إلى مصر من أمثال شاه إيران الذي خلعته الثورة الشعبية في إيران!

الحدث الإيجابي الوحيد الذي عايشته وعايشناه جميعا بعد رحيل جمال عبد الناصر يتمثل في حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ المجيدة، ولم يعمر هذا الحدث الإيجابي الوحيد طويلا، فقد أوقع حاكم مصر نفسه وأوقع معه مصر في فخ لعين، يسمونه توهما: «السلام»... ومن بعده تتابع السقوط في الفخ اللعين، وأصبح الكيان العنصري الصهيوني هو المتجبر المتنمر المتغطرس.. وقد أثارني هذا السقوط واستثار روح الشعر في أعماقي، حيث تفجرت في هيئة قصائد ناقمة على كل ماجرى.

●●●

في السادس من أبريل عام ١٩٧٩ كانت هناك نقلة جديدة في حياتي وانعكست بدورها على كتاباتي... قبل ذلك اليوم كنت أعشق مصر - بناسها وترابها ونيلها - عشقا بغير حدود، وكنت قد تجولت في معظم مدنها وقراها من خلال الرحلات الجماعية التي كان ينظمها د. شوقي حبيب، وهكذا أتيح لي أن أتجول جنوبا حتى أسوان وبحيرة ناصر وبلاد النوبة وأن أتجول شمالا

حتى مرسى مطروح والإسكندرية ودمياط ورشيد وبورسعيد وبورفؤاد وأن اتجول غربا حتى الواحات الداخلة والخارجة، وشرقا حتى الغردقة والقصير.. واحببت مصر بجنون.

وفي ذلك اليوم - يوم السادس من ابريل عام ١٩٧٩ - ركبت الطائرة لأول مرة في حياتي، متوجها إلى الدوحة للعمل في جريدة «الراية» القطرية مع من اختارهم رجاء النقاش للعمل فيها معه، ولم يكن رجاء النقاش يتوقع أن أصمد طويلا في الدوحة وفي مناخ عمل صحفي يومي مرهق، لكني صمدت بدل السنة سنوات، واصبحت الوحيد الذي شارك في «الراية» منذ صدور عددها الأول ومازال يعمل فيها حتى الآن. صحيح اني أحيانا احزن حين أحس أن جذوري الثقافية والإنسانية قد صارت بعيدة، لكني - في كل اجازة سنوية وعلى امتداد شهر كل سنة - أحاول تجديد الصلات مع الجذور العريقة، أما أبناء الأجيال الجديدة فلا أستطيع الزعم بأني أعايشهم وأتابعهم بصورة دقيقة متانية. ما الذي شجعني على أن أظل في الدوحة بدل السنة سنوات؟... أمور كثيرة هي التي شجعتني، من بينها أن معظم الذين اختارهم رجاء النقاش - باعتباره أول مدير مؤسس لتحرير الراية - كانوا من أصدقائي، كما أن أصدقائي من طلاب قطر الذين كانوا يتلقون العلم في جامعات مصر أنهوا دراساتهم وعادوا للعمل في الدوحة، وهؤلاء جعلوني أتاقلم بسرعة مع حياتي الجديدة في قطر، وأذكر منهم - على وجه التحديد - حسن محمد الحاج بإذاعة قطر و د. علي يوسف العالي الاستشاري بمستشفى حمد ويعقوب إبراهيم الهيل المهندس.. وغيرهم كثيرون ممن صادقتهم في القاهرة، وفضلا عن هذا فإن البيت الذي أقيم به في الدوحة قد تحول مع مرور السنوات إلى مكتبة كبيرة، تضم إلى جانب الكتب والدراسات ودواوين الشعر مجموعة ضخمة من أشرطة الفيديو والكاسيت للمطربين والمطربات من أبناء العروبة الذين أحبهم، وأشهر الباليهات العالمية التي أجد متعة روحية وأنا أتابعها من خلال تصوري أنها تشكل قصائد رائعة، لكنها قصائد حية وراقصة. وإلى جانب هذا فإن ما شجعني على أن أظل في الدوحة هو يقيني الراسخ بأن الأمة العربية أمة

واحـدة، بـصـرف النظر عن تنوع البـيـئـات والعـادات وبصـرف النظر عن العنصريين والإقليميين الذين نجدهم في كل أرض عربيـة، فضـلا عن تواصلي العـمـيق مع الفنانين والشعـراء والمثـقـفين من أبناء قطر. واذا كنت قد ركـبت الطائرة من القاهـرة الى الدوحـة يوم السـادس من أبريل عـام ١٩٧٩ لأول مـرة، فإني ركبت الطائرة من الدوحة مرات عديدة مـتوجها الى اقطار عـربية شقيقة. أذكر منهـا العـراق والـيمن والإمـارات العـربيـة وسلطنـة عـمـان والمغـرب، كـمـا توجهت إلى دول أوروبية هي بريطانيـا وفرنسا وأسبانيا التي عشـقتها - بحكم التاريخ والشعر والصداقات التي أنشـأتها - مـثلما أعـشق أقطار أمتي العـربيـة، وقد أتاحت لـي زياراتي لتلك الدول الأوروبية أن أتجـول في متاحـفها الضخـمة والفخـمة، وهذا ما أضاف إلى رصيدي الإنساني أشياء كثيـرة رائعة، تجلت في قصائد عديدة من شعري وفي مقالات نثرية من كتاباتي.

●●●

فيمـا يتعلق بـهذه الدواوين التي تتـعـانق - لأول مرة - في هذا المجلد، فـإن أول ديوان منها كان قد صدر عـام ١٩٦٩ في طبعته الأولى وهو ديوان «الدم في الحدائق» ثم تتالت الدواوين، حـيث صدر لي «أحب أن أقول لا» - عام ١٩٧١ و «قصائد عاشقة» عام ١٩٧٤ و «حينما يصبح الحلم سيفا» عام ١٩٧٨ و «انتظار الآتي» عـام ١٩٨٩ و «قـصـة الطوفـان من نوح الى الـقـرصـان» عـام ١٩٨٩ و «وجهـها قصـيدة لا تنتـهي» عام ١٩٨٩ و «ما رآه السندباد» عام ١٩٩١ و «ليلى تعشق ليلى» عام ١٩٩٦.

وقـد رأيت أن أرتب هذه الدواوين ترتيـبـا تنازليا في هـذا المجلد، بمعنى أنني بدأته بأحدث ما صدر واختتمـته بأول وأقدم ماصدر، حيث بدأ هذا المجلد بديوان «ليلى تعشق ليلى» أما خاتمته فتتمثل في ديوان «الدم في الحدائق».

لم أشأ أن أكتب مقدمة لهذا المجلد، تتعلق بالشعر الذي كتبته، وإنما أردت أن أشير إلى المكونات والعناصر التي جذبتني إلى آفاق الشعر وأن أشير الى بعض المحطات الرئيسية في حياتي والتي انعكست - بصورة مباشرة أو غير مباشرة

- على قصائدي.

كنت أطمح إلى إصـــدار مـثـل هذا المجلد منذ عـــام ١٩٩١ وهو العـــام الذي أصدرت خـلاله «مـا رآه السندباد» لكن شواغل عديـدة تكفلت بالا يتـجسد هذا الطموح واقعـا محسوسـا وملموسا الى أن أخذ كـثيرون يحثونني عـلى الاهتمام بإصدار «الأعـمال الشعرية» وهي أعـمال ليست كاملـة بالطبع، بحكم أني مازلت أواصل عـشق الشعـر قراءة وكـتابة. ولابد لي هنا أن أذكـر بعض الذين حثـوني على أن يـرى هذا المجلد النـور .. أذكـر من مـصـر أسـتـاذي وصـديقي فـاروق خـورشـيـد وأسـتـاذي وصـديقي رجـاء النقاش والأسـتـاذ صـلاح الـدين حـافظ والدكتور جـابر عصفور والأسـتاذ فتحي عبدالحـافظ والدكتور مراد عـبدالرحمن والأستاذ مدحت فاخوري... كما أذكر الكاتب القاص العربي - السعودي عبدالله الماجد والصـديق الدكـتور يوسف حـسين بكار - مـن الأردن - والدكـتـور حـسن الـغرفي - من المغرب - ... ومن قطر لابد أن أذكر الأسـتاذ حسين ابراهيم الفردان رجل الأعـمال الكبـير في قطر والـخليـج العربي والذواقـة المرهف للشعـر والمحب الصادق للشعـراء العرب، وفي مقدمتهم شاعر العرب الأكبر الراحل محـمد مهدي الجـواهري، ولابد أن أذكر أيضـا الدكـتـور علي خليـفة الكُواري والدكـتور مـحـمد عبـدالرحيم كـافود والأسـتاذ عبـدالرحـمن سيف المعـضادي والشـعـراء مبارك بن سيـف آل ثاني ومعـروف رفيق ومـحـمـد بن خليـفة العطيـة الذي يفرح دائمـا من الأعـمـاق حين يسمعني قـصيدة جـديدة له وحين يستمع إلى قصيـدة جديدة لي،

كمـا أذكر ممن يـعملون في قطر الأسـتاذ سـلامة علي والكاتبـة المبدعـة ليلى الأطرش، ومن ليبـيا العـربية أذكر الدكـتور علي فـهمي خشـيم والأسـتـاذ المبروك محمد المعداني - أمين مكتب الإخوة الليبي لدى دولة قطر.

أترك الآن القلم، لأترككم مع الشعر، بعد كل هذا النثر.

«حسن توفيق»

الدوحة - ١٩٩٧/٨/٣١

ليلى تعشق ليلى !

☆ صدرت الطبعة الأولى من هذا الديـوان أغسطس ١٩٩٦ .

الإهــــــداء

إلى توأم الروح لأستاذى صلاح عبدالصبور ..
إلى أستاذى فاروق خورشيد .. وإلى أبناء
جيله من أعضاء « الجمعية الأدبية المصرية »
ممن تعلمت منهم الكثير .

حسن توفيق

فلامنكو أسبانيا الأندلسية

« إلى المستعرب الأسباني الجليل بدرو مارتينيث مونتابث ..
قال لى .. إن العالم العربى كان يعجبنى فى زمن المد القومى أيام جمال عبدالناصر ... »

انبهارى بما مضى .. بث روحى غنوة فى سمائك المخمليه
والفلامنكو فتَّحَ الورد فى القلب الذى صادته الوجوهُ البهيه
لم أزل عاشقا وقلبى يغنى للينابيع الضاحكات الصبيه
لم أزل عاشقا .. برغم وباء الكِذْبَ والزور والرؤى الثعلبيه

***

الفلامنكو حنين لزمان ضاع منكِ
والفلامنكو بكائى فوق أنقاض الزمان
إنه قلبى الذى يبكى مع « الجيتارِ » . . . يحكى شاردًا عنى وعنكِ

ثم ينسى كل شىء غير عينيك وماكنا - مع الماضى - وكان

***

لم يكن وجهك المسافر وهماً إنما كان قبلتى واشتياقى

لفتةٌ من لوركا إلى ذكرياتى تفتح الباب مُشرْعا للعناق

والينابيع فضة .. وبقلبى أغنيات تبكى زمانَ الفراقِ

وأنا فى زمانك الآن جسر من دموع ووحشة واحتراق

* * *

الفلامنكو صبايا مستحمات بموسيقى كساها الكبرياء

فى زمان عربى أبله النظرة يعدو صاغرا دون رداء

الفلامنكو عزاء

عندما أحضن يأسى فى زمان عربي صادروا منه الرجاء

***

الفلامنكو ينادى ... فاسمعى ياقرطبه

خطوَ أجدادى على الأرض التى كم عمّروها ثم ألقتهم بعيدا
واسمعى خطوة لوركا عندما كان يناجى روح أجدادى وحيدا
إنه الآن دموعٌ بين أحداقكِ تنساب بروحى المتعبه

الاربعاء ٦ مارس ١٩٩٦

العصفور الغائب

إلى فتحى عبدالحافظ .. الكاتب والصديق . .
الكاتب الذى أخفى مالديه من فن فى قمقم . .
والصديق الذى رافقنى ورافقته فى رحلة العمر

أبحث أحيانا عن لغة كانت تتفتح وردا فى الأعماق
كانت تسكن دوما فيها . . لاتبرحها
لغة كانت لاتجرحنى . . أو أجرحها
كانت تزهو وتطل من الأعماق على كل الآفاق
لكن ما كانت تحتاج إلى صوت يشرحها
الآن . . ورغم بريق الزيف الخادع فى الأحداق
أسألكم ملهوفا أين العشق وأين العشاق ؟

وأقول لكم: يشتاق القلب لأن يشتاق !

* * *

مفتونًا كنتُ بعطر الفل ورائحة الأوراق على الأغصان
بضفافِ النيل المسكونة بالتاريخ وصبر الإنسان
وبشمسٍ تستيقظ فوق حقول الدلتا حتى السد بأسوان
كان العصفور يرفرف فى الجو وفى نبض القلب
ينسينى - دوما لو أحزن - وجه الأحزان
ويطير سعيدا وبعيدا كى يفتح لى أبواب الأفق الرحب
فأرى وجه بلادى من خلف مزارع قطن أو كتان
وأرى إشراق الحب

* * *

مفتونا كنت . . .
هل يسعدنى أم يشقينى أن أتذكر ماكان

مفتونا كنت . .

لكنى الآن . .

أسألكم : مَنْ قَطَعَ الأغصان ؟

من دس وباء المقت ؟

أسألكم ملهوفا : أين العشق وأين العشاق ؟

آهٍ ياناسى.. يا أصحابى .. كم يشتاق القلب لأن يشتاق !

٢٠ فبراير ١٩٩٥

ليلى تعشق ليلى !

ليلى التى تعشق ليلى .. ليست امرأة محددة .. بل
لاتكون امرأة .. ليلى صورة معـاصرة من «نرسيس
فى الأساطير الإغريقية ، حيث عشـق نرسيس نف
عندمـا نظر إلى صورته فى الماء . لكـن قصيدة ا
تعشق ليلى لاتنظـر إلى الأسطورة الإغريقيـة ، بة
ما تنظـر إلى التراث الأدبى العربى مـن مجنون ا
إلى أحمد شوقى

كلهم كانوا يغنون لليلى إنما مهجة ليلى لم تكن مشغولة إلا بليلى
هكذا مرت لكى تصغى لأشعار من المجنون حتى تتجلى
بين باقات الصديقات وتبقى هى أحلى
فى عيون الشعراء .
وقتها تزهو بأن الشعر مبهور بليلى وحدها كل تتسلى

بينما المجنون يهذى بعد أن ذاب اشتياقا وتداعى واضمحلا
فوق رمل الصحراء

***

مِنْ جمال الشعر . . . ليلى أصبحت أحلى أميره
جاءها العشاق يسعون إلى النجمة من أطراف أرجاء الجزيره
جاءها هذا بشعر ، جاءها ذاك بخيل ، جاءها آخرُ محفوفا بأموال وفيره
صارت النجمة أفعى حين تسعى فى هدوء ناعم نحو الضحايا
جاءها «ورد» فصالت ثم صادت عِزّه فوق الحشيات الوثيره
واستبدت كى تثيره
صارت النجمة أفعى حولها أكداسُ أموالٍ وزوجٌ وهدايا
واحتوت مهجةٌ ليلى كلَّ من كان شجيا أو سخيا بالعطايا !

***

ياترى لو لم يَبُح مجنونها العاشق بالحب وأشواق القصيده

لو تناسَى « جبل التوباد حياك الحيا واجتاز أسوار المكيده
لو تناسَى وجه ليلى وتخلىَّ رغم ملح الجرح عن ذكرى عنيده
هل تُرَى كان سيبقى وجهها فى الذاكره ؟!
آهِ يامجنونُ لو كنتَ كتمتَ العشق فى تيه العشيات البعيده
آه لو كنت انتظرتَ الحب من ليلى جديده
كلهم كانوا يغنون لليلى الساحره
سحرُها نسجُ خيالاتٍ من المجنون أبقتْها الليالى الدائره!

الاثنين ٢٧ يناير ١٩٩٢

السندباد .. والرحلة الجديدة

يتحفز الموج المراوغ قبل أن تعلو الصوارى فى مراسى السندباد
فيخبىء القلبُ المخاوفَ بين أوتار الضلوع
ويعود يُنشِدُ للنهار المستكن قصيدة من نَسْجِ ليلات السهاد
ماذا سيحدث حين تنطلق السفينة فى اصطخاب الموج بيضاءَ القلوع ؟!
الغيمة التحفتْ عباءتها وغطت وجهها بيدين هزهما الهواء
ماذا تُخبِّىء للسفينه ؟ .
والريح نائمة على صدر المياه فهل ستبقى الروح تنعم بالصفاء ؟
ومتى تلوح جزائرٌ مسحورة من بين أزمنة الترصد والضغينة ؟ !

***

أطلقت أشرعتى . . ورحتْ

وحبيبتى . . بجمالها المجتاح . . تبحر فى دمائى
وأنا أمام جمالها .. وبكل نبض قصائدى . . بتنهدى . . بالحبّ بُحْتْ
لكنَّ وجه حبيبتى وضع القناع وراح يغرى كلّ مَنْ جلسوا ورائى
وشممتُ رغم قناعها عطنًا يداريه القناع
فسألتُهـا ماذا جـرى ؟ . . لا شىءَ . . قـالـتْ . . لم أزل لـك واحة الحب الأمين
وسألتها عما بها . . لا شىء . . قالت والدموع تفيض كى تخفى الخداع
الغيمة انسلتت عباءتها ففاضت بالسيول . . وكلها كدر وطين

***

ألقيتُها فى البحر . . تنهشها وحوش البحر . . أو تهوى إلى القاع السحيق
وركلتُ ذكراها الكسيحه
إنى لمحت الغدر قبل هبوبه فأزحتُ عنى وجهها حتى أفيق
ولكى أرى كونابهيا يغسل الروحَ الجريحه

مِنْ حزنها . . ويحثها أن تبدأ الآن انطلاقًا بالسفينة من جديد
فلتنطلقْ ياسندباد إلى جزائرَ من رحيق المسك ينبض قلبها
فلتنطلقْ ياسندباد لكى ترى الكونَ الفريد

الثلاثاء ٢١ يناير ١٩٩٢

لغة ليست كاللغة !

تتكلمين بـلا كـلام . . وجهك المرسـوم فى قلبـى يـدندن لحنُـه المترقـرق
الصامتْ

فأحسّ أن بداخلى موجا من الإشراق يدفعنى ويرفعنى
من هذه الأرض التى تلقى علينا - حين نضحك - ظلها الباهت
لأطير فى آفاق عينيك اللتين أراهما قد صارتا وطنى

* * *

فى زحمة الدنيا أسير بقرب ركب السائرين
لى عالمى ولهم عوالم حاصرتها الذكريات وراودتها أمنيات أو مطامعُ زائله
وأراك فى أعماق روحى وردةً بيضـاء تنعش عالمى وتنيره . . لكنهـا ليست
تبين
وتظل أحلى المفـردات أمام حسنك خيمـةً مهجورة تتجول الأشبـاحُ فيها
ذاهله !

* * *

كم أعشق اللغة التى تتكلمين بها معى
أهنـاك معنى للكـلام إذا تكلمت العـواطف فـالتقى وجـه الصفاء مـع
السكون ؟
أهناك معنى للكلام وصمتك الشادى يؤانس بالمحبة مسمعى ؟
أهناك معنى للكلام ومايقال
وأنتِ شاردةٌ
وشوقى يقطف الثمرات من أحلى الغصون ؟!

* * *

أنفاسك السكرى غناء مذهل يترددُ
ويفيض كى يحيى الغصون إذا تغضنت الغصون وطالها عنف الشتاء
وأنا أمام جمالك الغافى أظل مخدَّرا وجوانحى تتنهدُ
وأقول فى عينيك شعرًا صامتا تهديه أفئدةُ الأحبة للأحبة عندما يدنو لقاء
٢٢ يناير ١٩٩٢

لماذا أحبك ؟

أحبكِ . . قلتُ
وقبلك قلت لغيرك . . لكننى أدخل الآن حبك أنت
وأعرف أنك قبلىَ . . كنتِ
وأعرف أنى إليك انتهيتُ . . ومنك ابتدأتُ
كأن الزمان يعود بعمرى ويدفعنى - منذ عاد - إليكِ
كأنى قطعت بحارا من الوهم حتى وصلت إلى شاطئيكِ
وكان وصولى وصولا إلى قلعة من يقين
ترنحتُ قبول الوصول . . ترنحتُ حتى انتصرتُ
وجئت إليك بقلب غزاه الحنين الدفين
وحين وصلتُ .. أحبكِ .. قلتُ

***

لماذا أحبك ؟ . . وقع سؤالكِ يلذع . . لكننى ما أجبتُ
وألححتِ أنت . . تريدين منى جواب السؤال
تلعثمتُ حينا . . وحين سكتُّ
تأملتُ سربًا من الطير حولى يحط الرحال
فقلت أحبك حبّ الذين نأوا ثم عادوا بنور اليقين
ورحتُ أنسق حول جبينك عقدا من الفل والياسمين

* * *

أحبك . . قلتُ
لماذا أحبك ؟ . . . ليس لدى الحب أى إجابه
ولكننى الآن أعرف أنى على شاطئيك استرحتُ وسرتُ
وألقيت خلفى ظلال الكآبه . .

الخميس ٢٣ يناير ١٩٩٢

النسمة العاشقة !

كما تنعش النسمةُ العاشقه
وجوهًا . . كوتها شظايا من اللفح ذات ظهيره
ترقرقَ صوتُك الشاعرى المفضض من قطرات الندى الغضة الرائقه
وجاء ليسكنني . . جاء ينعش روحى الكسيره
بأحلى نداء
وأبهى غناء

***

كأنى به جاء يحملنى فى هدوء المساء لأجتاز أسوار هذا الفضاء
وأنفض عنى رمالَ الأسى الجهمةَ الحارقه
وأبعد عن أغنياتى الحبيسة ظل العناء

لأُطْلقها فى رحاب المدى حرةً واثقه
هو الصوت ، مرآة قلبك ، يفتح أبواب قلبى
هو الصوت ينبض ، إنى أرى كائنًا ساحر الوجه يسكننى
أرى كائنا جاء يؤنسنى
فكيف تجسّد َصوتك ؟ كيف استرحت إليه فأهديتُه نورَ عينى وقلبى ؟
وكيف إذا ما اكتسى بالدلال مضيتُ ألبى ؟
وكيف إذا غاب حينًا يجن اشتياقى إليه إلى أن يعودَ فيأسرنى ؟!

***

تمر الحياة ، تمر الحياة الشحيحة بالناس كالصحراء
تمر بهم ، ثم تتركهم فى فراغ العراء
يذوبون شمعا على وقع نيرانها اللافحه
ويبقى لصوتك سحر الربيع وأزهاره الحلوة الرائحه

٢٥ يناير ١٩٩٢

العاصفة .. وموكب الجرح !

فى ظلمة الليل المعلق بالرياح الجامحه
خطفتْكِ أهواء خفيه
خطفْتكِ أهواءُ التعلق بالزخارف فى متاهات الظلال السابحه
أغرتْ غصونك أن تغنى كى توافيها الطيور بدفء قُبْلاتٍ سخيه
وجلستِ حيرى مطرقه
تتأملين النبع حين يدندن العشاق حول ضفافه المتأنقه
أو يرشفون الماء من موجاته المترقرقه
و يواصلون السير والتجوال فى الأرض البهيه

* * *

بيديكِ رحت تسممين النبع فى طيش تَمَرّدْ

هل كنت تنتظرين أن يأتى الذين يصفقون وينظرون لك فى انبهار ؟
عذراءَ كانت روحُكِ البيضاء . . . كيف رضيتِ أن يخفى نضارتهَا البوار؟
والنار تلتهم الغصون فأسرعى كى تنقذى من طيشها الشجر المهدّدْ

***

الروح ترقب درةً أخفت سناها عاصفه
الروح ترقب فى انتظار
ولكى تصونى أو أصونَ فلن نصوَن سوى عيون الأمنيات الخائفه
وأمامك الآن الخيار

***

ها أنت واقفةٌ بقرب النبع فى قلقٍ مغطى بالعطور وبالزخارف
تتأملين النبع فى أسف وتنتظرين أسرابَ الطيور الصادحه
وبكيت حين رأيتِ كيف ترنحتْ تلك الطيور من السموم اللافحه
ها أنت واقفةٌ . . وكفّ الليل تدفع بالعواصف

تتأملين . . وتدمعين
فالنبع كاد يجف من نهم الشفاه الظامئه
تتألمين . . وتدمعين . . وتحلمين بأن تعودى فى صفاء الياسمين
والنبع . . آهِ . . النبع حنّ إلى الضفاف الهادئه

* * *

سحب مجوفة ومتخمة تواصل سيرها . . قد آنَ للطير الرجوع
لاتنظرى للخلف إن شئت انطلاقًا من جديد
ولتمسحى تلك الدموع
وتذكرى أن الصباح يبرعم الأمل الوليد

٧ فبراير ١٩٩٢

أغنية للأحلام البعيدة !

نهران من فضه
ترقرقا . . فأطلقا الربيع من قمقمه . . وكان كالأسير
وكنتِ فى رشاقة قد رحت تجلسينَ فى مقعدك الوثير
حديقةً ممشوقة الأغصانِ والأغصانُ فى نعومة الحرير
وكفك البضه
الوردة الغضه
تخدر الأجواء من ترقرق الأنغام
سألتُ نفسى خلسةً : من ياتُرى ينثر فى روحى ندى الأحلام ؟
هذا البيانو ساحر أم أنتِ أنتِ الساحره ؟
همست فى تنهد : هذا البيانو آلة . . وأنتِ أنتِ الساحره !

* * *

يانظرة مسكرة تعقبها غمضه
إنى أرى - يافرحتى - نهرين من فضه
والقلب من حسنها يكاد أن يطير
يكاد أن ينفض عنه ظله الذى يحاصر الشروقَ بالأنين
يكاد أن ينفض عنه ظله الكسير
يكاد أن يهرب من عالمنا لكى يذوق قطرةً من اليقين
وبعدها فلتكن الحياة كيفما تكون
أُغنيةً ندية فى واحة ، أو غابةً تنهشها خطى الظنون

* * *

والآن . . والنهران قد غابا عن البصر
أحس أنى تائه . . وأن قلبى فى الهجير بالصخور يرتطم
فهل تُرَى ألقاهما بعد البعاد عَلّ جرحى بالحنان يلتئم
أو أن قلبى واهمٌ . . وما رأيتُ كان وهما رائعا . . عَبرَ !؟

الخميس ١٣ فبراير ١٩٩٢

التمثال الذى كسرته !

كيــف كــان الحواء يــوم عــرفتُــهْ ؟
كـــان وجهـــا مــزوقـــا فعشقتُـــهْ
كنــت أهــديــه مــن حــدائق قلبــى
وتــرا صـــادحـــا بشعـــرٍ نـــزفتــه
كـــان يختـــال نـــاعما وَهْــو يصغـــى
للــذى مـــن دمـــى نـــزفـــتُ فصغتــه
واستـــوى تمثـــالا بـــديعـــا بجهـــدى
ولـــه عشـــت هـــانئـــا مـــذ أقمتـــه
ظـــل هـــذا التمثـــال ينضـــح زهـــوا
وبقيـــــت الشريـــــد لمّا صنعتـــــه
كـــم وعـــود حسبتهـــا ستـــوفَى
وطـــريـــق إلى التـــلاقـــى مشيتـــه

وليـــــالٍ عبرتها فـــــوق مـــــوج
مـــن ظنـــون ولم أجـــد مـــا ابتـــدعتـــه
سنـــوات هَـــوَتْ بـــأغصـــانها مـــن
شرفـــة العـــاشـــق الـــذى بُـــحَّ صـــوتـــه
حسرتـــى .. إن فى الثـــرى مـــا تـــداعـــى
بعـــد أن كـــان شـــامخا حين صمتـــه
حسرتـــى .. إن فيـــه شـــوقـــا دفنتـــه
إن فيـــه الـــذى مضـــى واحتملتـــه
كـــان وجهـــا مـــزوقـــا بقنـــاع
كـــان وهما مـــزخـــرفـــا . . كيـــف عشقتـــه ؟
لم يكـــن جـــوهـــرا نفيـــســـا .. ولكـــن
كـــان تمثـــالا خـــاويـــا .. فكـــرتـــه !
٣٠ سبتمبر ١٩٩١

أغنيــة للقـــادم

عشب طرى مستكن . . عششتْ كفّى لديه بنشوة مستغرقه
لكأنها العصفور حين يحط فوق الغصن منتشيًا . .
ومنتظرا شروقَ الشمس فى صبح وليد
ياعشب .. ياناعمْ
أطلق جنونى للنضارة والتفتح مثلما تلهو مع النسمات عند مرورها الحالم
ودع العصافير التى فرت إليك من الزمان .. مع الأمان مزقزقه
ولتُهدِ للروح الحزينة نفحةَ العطر المسافرِ . .
فى شرايين الهواء ليشرق النغم السعيد

***

ما أروع الحسن الذى يسخو على روحٍ تفجرَ حزنهُا القاتمْ
ما أجمل الدنيا إذا كان الصفاء بها هو المتبسم القادمْ

***

كَفّى من العشب الطرى ندية . . وروائح الفل الذى يتفتحُ
تحتل ذاكرتى فأنسى ما رأيتُ من الصخور وماعرفتُ من الوجوه
ويظل وجهك وحده .. فى حسنه قلبى يتوه
وعلى بساطِ مرمرى يستفيق . . ويصدحُ
وبحيرةُ الأسرار فى أعماقها روح بهيه
أطيافها تتأرجحُ
قرب الضفاف الغافيات على وسائدَ سندسيه
تمتد من روحى إلى أقصى حدود الأفْقِ حيث البدر طفلاً يُلمحُ

* * *

هذا هو القادم
من أفقه . . متبسماً يأتى مع البدرِ
فافتح له الأبواب فى رفق وفى يسرِ
ياعشب . . ياناعمْ

٣ فبراير ١٩٩٠

الوردة .. والعاشـق

رحتُ فى الليل أنادى . . آهِ يا أبهى حديقه
بدركَ الأشقر موسيقى من الصفو التَقَتْ فى نشوةٍ كى تتجمع
باقةً فيها عبير مستكن .. يتضوع
يخطف الروح إليها عبرَ دربٍ من حرير فيه أنسام رقيقه

***

ها هو الثلجُ الصبوح
يتعرى – كلّ فجر – مفشيا أسرارَ إشراقِ الجمال العبقرىّ
واصلا بالدفء والإشراق روحًا تتلاقى بعد أشواق بروح
مطلقًا قلبىَ مسحورا ومبهورا على جسر الصفاء المرمرىَ

***

ياله من جسرِ حب يصلُ النبعَ بأشجار إلى الخصب ظميه

يتلاقى فيه قلبى بشذى فل وجردينيا وأزهار القرنفل
ياله من جسرٍ حب يبعدُ الدنيا الشقيه
عن خيالى .. ويوافينى بأصداءِ غناءٍ صاعد من قلبِ بلبل

***

وردة فى الروح والأرض صحارى والصحارى دون ماءٍ راقده
وردة تفتح بابا لنهار معلنٍ عن نبعك الصافى المخبأ
وردة فيها حياة ووعود وافده
وردة تسخو وتنسى ذاتها كى تستعيد الأرض ماقد كان مرجأْ

***

تشهق الوردةُ عطرا حينما تُقطفُ بغتَه
يغدق النبع عطاياه لكى تصحو الصحارى ويطل الإخضرار
ينثر المسك غزالٌ نازفٌ يشهد موتَه
هكذا العاشق يهدى الناس شمسًا حلوةً إن حوصرتْ شمسُ النهار

الزنبق الجميل

حاصرتْنى الألفـاظُ واغتالت الصفو وأخفتْ حـدائقَ الحسن عنّى
كـل لفـظ مـزخـرف بقنـاعٍ يسكـب الـزيـفَ فى المدى المطمئـنّ
كـانَ فى وجهك الجميـل صفـاءٌ فيـه إشراقـة وسحـر يغنّـى
فلماذا الألفـاظ ألقتْ عليـه ظلهـا الداكـنَ الـذى هـاج حزنـى ؟

***

إن صمتى لحسنك الآن يصغى فلتصومى صديقتى عن كـلامك
لاتقـولى متـى اللقـاء ولكـنْ أطلقـى الطير مـن قيـود منـامـك
واقطفـى وردةَ السكون بـرفـقٍ وانشقى عطـرهـا ببعض اهتمامـك
لغـة الصمت واحـة تنعم الـروحان فيهـا بـرغم جـرح خصامـك

***

لغـة الصمـت واحـة تهجـع الأحـزان فيهـا وتـوقـظ الصبر غضّـا
حينما تشنقين بـالـوعـد أيـامـى وتلقين بـانتظـارىَ أرضَـا

وتقــولين إنها الــوعـد أصــداءٌ لغيــمٍ يثير فى الجو ومضــا
وعلى العـاشـق انتظـارٌ لـوعـدٍ قـد يـوافى أو يثخـن الـروح رفضَـا

***

يـانهارى أنــت امتـداد لليـلٍ أفلَـتَ الـوهـمُ مـاردا مـن يـديـه
كــم تـوهمت فى الظــلال خيــالا قــادمـا والحنين يبــدو عليــه
وتــوهمت فى الفضــاء الثــريــا نــور تــرنيمــةٍ على شفتيــه
وإذا الـوهم سـاخـر مـن خطى قلبى إلى الـوعـد وارتدادى إليـه

***

فى جحيـم البعــاد قلـبٌ يعـانــى والليـالى تترجـم الشــوق نـارا
حـوصرتْ فـرحتى بظـل كئيـب والأسـى يُشبـع الأمانـى حصـارا
هـل تظــل الـوعــود تجرف أيـامــى وتطـويها حسرةً وانتظــارا ؟
ألـف شكر صـديقتـى فلقـد أصبحتُ أرضًـا مـن الـوعود بـوارا !

٣ مايو ١٩٩٠

فى انتظار الصباح

آه من سربٍ حمام حطّ فوق الشجره
فإذا غنّى تثنّى غصنُها من نشوةٍ باللحن ممزوجا بعطرِ
وإذا باح بسر . . رقرقَ السرّ هديلٌ مقمر الإيقاع يسرى
وإذا شف حنينا وتأسى مسَّ أوتار الورود النضره
وإذا ما ارتاب حينا فى عيون العابرين
راح يُخْفى أثره
فانزوى داخلَ أعشاش من القش وأغفى مطمئنا دون ذعرِ
راضيا أن يتخفى . . قانعا أن يستكين !

***

فاض فى القلب هديلٌ وتوالى موجه فى عمق نومى ياحمام

وتراءتْ لى تراتيلُ ينابيعِ الخصوبه
حَوْلها العشب يغنى أغنيات للوئام
قمتُ مبهورا بحلمى . . قمت مبهورا لألقَى الوهم قد أفرغ كوبه
بين حلمى والقيام
تاركا عبء الظلام

* * *

حين ناحتْ صحراء الشوق وامتد ظلامٌ عصبى لايتوب
أوقد القلبُ مصابيحَ النجوم المطفأه
وعلى أنوارها ناديت أيامى التى كاد يغطيها الشحوب
وتأملتُ بساتين الأمانى المرجأه
وتدفأتُ بأشواقى إلى أن تتفتح
بعد أن طال الجفاف
بعد أن صرت أخاف

من خريفٍ يترك الأوراقَ حيرى تترنح

***

آه ياسرب الحمام

ما الذى تخفيه عنى عندما يطغى الظلام ؟!

كلما أطرد خوفى أشتهى أن أشهد اللحنَ الربيعىّ يضىء

فى زوايا الذاكره

إنما الضوضاءُ تسرى فجأةً عبر ممرات الحياة الهادره

فأرى الخوف يجيىء!

هل تُرى تدرى بأن الخوف يجتاز حصونى حين يلقانى وحيدا

رَدد الآن هديلاً مقمر الإيقاع يسرى . . لا تكنْ عنى بعيدا

آه ياسربَ حمامٍ حط فوق الشجَره

إن روحى لك دوما با لمنى . . منتظِرَه

٧ فبراير ١٩٨٩

الأرض ... والمطر

يتلاقى الشاعر مع المفكر فى أن كلا منهما
يحلم بالمستقبل .. فإلى الصديق الكاتب المفكر
د. على خليفة الكوارى .. أهدى «الأرض والمطر»

شجر بلا ثمر يطل .. وأرض آمالى تظل حديقةً مترقبه
والأفْق غيم جائر . . يبقى يزمجر دون إمطارٍ ويقذف بالرعود
وكأن قلبك ياسماء يثور صخرًا لا يجود
إلا بمائدة السراب . . تذوق خدعتَه العيونُ الظامئات المتعبه
السائرات مع الأسى فوق الرمال المجدبه
وكأنها مِزَقٌ تطوحها العواصف للشواطىء عبرَ موجٍ من جحود

* * *

يامن تخادعك الوعودُ وما يزخرفه الوجودُ من التعلق بالوجود
الأرض تحتك جثةٌ مطعونة... بعرائها ودمائها تتوشحُ

والأفْق سجن للوعود
والبحر لايهب الورود ، وفى أقاصى قاعه يطويك حين تُلّوحُ
فاترك صباحك للظلام لكى تنام بلا حدود
وتفر من ثقل القيود !

* * *

الأفْق غيم جائر . . لكنه فى لحظة مسحورة يترفقُ
فى لحظة . . قسماتها مسكونةٌ بالشوق للإشراق يسخو با لمطر
فيزيح يأسا جاثما فوق الصدور كما الحجر
إذ ترتدى الأرضُ الحزينة خضرةً تحيا بها وبثوبها تتأنقُ
وتظل رغم جراحها ترنو لشمسٍ تشرقُ
تهدى سناها للثمر

* * *

مطر على وجه الشجر

مطر على قلبى ومن حولى فراشات تُخبىء نفسها خوفَ البلل
مطر على أحلامنا الخضر التى أبقت لنا من روحها حلو الأمل
مطر على كل الحدائق والشوارع والبيوت ، على البداوة والحضر
مطر لننفض عن خطانا ماكسانا من كسل
مطر لتكتحل العيون كأن وجه البدر فوق الأرض غَنّى واكتمل

***

قد آن للأغصان أن تخضر من بعد الجفاف وبعد أن عطش الشجر
أرض الأحبة جنة . . لكنها مشتاقة للخصب يحييها فتيه
أرض الأحبة جنة تترقب السحبَ السخيه
فالأرض إن عطشت طويلا أصبحت أرضا معذّبةً يشققها الكدر
قد آن للأغصان أن تخضر . . أن تزهو بهيه
فمن المحيط إلى الخليج مدائن تصحو لتنتظر الحياة مع المطر

٢٩ مارس ١٩٨٩

الطريق الطويل

لـــو كـــان قلبـــى يطير لكـــــان شـــــق الأثير
مبـــارحـــا أفـــق دنيـــا تلهــــو بمــــن يستجير
وســـاعيـــا إثـــر حلـــم عبر الفضــــاء الـــوثير
حيـــث الشـريـــا تغنـــى واللحــــن حلـــم منير
والبــدر يــوحـــى بشعــر منــــــــور فى الضمير
لكنها الــريـــح بـــاحـــت بسر قلبــــــى الكسير
حيـــث انـــزوى مثـــل طير مكبـــــــــل لا يطير
يكـــاد يختـــق شجـــوا والشـــوق فيـــه أسير
لعـــالم يتـــــلاشـــى منـــه الظـــلام المريـــر
وينهـــض الحب فيـــه مـــوشحـــا بـــالحريـــر

بعـــد الـــذى قـــد رآه — مِـــنْ قُبْـح وجـــه المصير
إذ خـــابت الأرض مسعـــى — بـــالطيـــش طـــول المسير
ومـــا أغـــاثـــت ورودا — قـــد اكتـــوت بـــالهجير
ولا أظلـــت حيـــارى — قـــــد ارتموا فى السعير
يـــا أيها القلـــب صبرا — رغـــم الأســـى المستطير
النبـع يـــومـــا سيسخـــو — والـــورد يفشـــى العبير

٢١ ابريل ١٩٨٩

الـــوردتان

تلــــــوح لى وردتـــــــان ... تـــراقصـــان الصبـــاحـــا
وتبــــدعـــــان ربيعـــــا ... يضيـــىء قلبـــى انشراحـــا
وفيهما طهـــــرُ ثلــــج ... ومنهما العطـــر فـــاحـــا
وفيهـــا قـــد تـــلاقـــى ... طيفـــان بـــالنـــور بـــاحـــا

***

إذ تـــــوقظـــــان نهارى ... على عــــوالم سحـــــرك
فـــأجتلى بعـــد سهـــدى ... دنيـــــا تموج بصـــــدرك
ويـــدفــع الشـــوق قلبـــى ... إلى اللقــــــاء بثغـــــرك
وإن تجنّـــــى ظـــــلام ... أبقـــــى أحـــنّ لبـــدرك

***

يـــاليتنـــى عـــدتُ طفـــلا ... أدنــــو مـــــن الــــوردتين
وأمســـكُ الغصـــن حينـــا ... مـــداعبـــا بـــاليـــديـــن

فيترك الشـــوك جــرحـــا ويجرح الجرحُ عينـــــــى
لكـــن تلـــوح صحـــارى بين الـــربيـــع وبينـــى!

* * *

تـــرى أرانـــى أغنّـــى وقــد خلعــتُ صبـــايـــا
ولم يعـــد فى ضلـــوعـــى إلا بقـــايـــا شظـــايـــا؟
إن جـــــدتِ أو لم تجودى فقــد طــويــتِ أســـايـــا
مـــذبَـث ّ روضُــك عشقـــا والعشــق أصبــح نـــايـــا !

٢٥ ابريل ١٩٨٩

الضفاف الحزينة

يا أيها القلب بح لى بسرّ ماقد حويتْ
من شاطىء غامض أم من خيمة السحر أم من قرارة النار جئتْ ؟!
فأنت منذ ابتدأتْ
طفل يجن بنار العشق التى من لظاها اكتويت مما ارتضيتْ!

* * *

تركتنى هائما فى الأرض التى أصبحتْ شوكا حينما ذبت عشقا
هل قلت إنى سأشقى
حيث الورود رماد والذكريات سهاد من قبضة الريح تُلْقَى
أم قلتَ مالم يقله الموج الذى انهدّ فوق الرمال فاشتدّ شوقَا؟!

* * *

إذا سقيتَ ورودا تدافعتْ فيك شوكا مطرزا بدمائك
وإن تلاقتْ وجوه على ضفاف عطائك
تجمعتْ بعدها كى تدس سما خفيا يصول فى حلو مائك
فكيف لم تنتبه أيها السعيد بدائك؟!

***

عنفتُ قلبى كثيرا
لكنه راح كالعصفور الطموح بعيدا ، فصار طيرا أسيرا
ولم يبُحَ لى بسر ، ولم يزل مستجيرا
مخلفا ريشه الدامى مهملا ونثيرا !

٢٥ أبريل ١٩٨٩

رحلة مع الفــل

على ربوتين من الفل دفء ثلوج ربيعية ، يحتوى حضنُها من يراها
ولكنها لاترى بالعيون التى تبصر الحسن كى تحرقه
وتحت الثلوج حياة تضج وتوحى بأسرارها المغلقه
وينسكب الحلم عطرا مثيرا تجود به الروح فى خطوة حلوة من خطاها
وبين الغصون الكثيفة رحت أخبىء حزنى وما قد عبر
مررت بكفّى على خصلات الغصون أداعب غصنا وأقطف زهرة فل
على خصلات الغصون توزعتُ بين نعيم الرقاد وبين بهاء السهر
فأشرعتُ قلبى ليكتب : إنى أحبك رغم سجون الوعود التى لا تطل
ومن ذروتين سها عنهما الثلجُ رحت أسير إلى منحدَر
وكان الطـريق طويـلا يقود خطـاى إلى النبع ، والعشبُ يخفـى الضفاف النديه

تلهفت الروحُ للماء فى النبع .. كانت ظمية
ولكنّ طيرا عبوسا أتى صارخا ، حاصر النبع طيشًا وصادر صفو الشجر

***

هى الروح تجتاز أرضًا بها الفل يبدو .. ولكنها مستكينه
وأنتِ على البعد تبدين خوفا على عاشق ذابَ عشقا نبيلا
ويبقَى الطريق إليك طويلا
ويبقَى من الفل عطر يداوى الجراح الثخينه

١٢ مايو ١٩٨٩

المسـرح المغلـق

ما الذى يخفى المسرحُ
رغم إشراقة النشيد ؟
إن أفْقى ستارة إنما ليست تُفتحُ
والزوايا لا تفصحُ
بالذى تطوى موجةٌ يتلاقى فى عمقها الموتُ بالزورق الشريد
أيها الأصدقاء كيف يغنّى قلبٌ وحيد ؟!

***

القلوب التى نأت عن طريقى كما تريد
أطلقتْ صحكةً وغابت على إثرها بكل أغانيها الصادحه
والرياح التى تعيد

بعض أصدائها غَفَتْ فانزوى خطوها الفريد
آه مما يبدو هنا .. كان ورد موشح بالندى ، حلو الرائحه
يتثنى فى خلوتى . . ثم جافانى دون وعد بلقيانا من جديد

***

الحمامات تلقط الحَبّ من كفّى وادعه
حيث تنزاح وحشتى فأُوا فيها بالمزيد
والمناقير تجرح الجلد فى كفى فجأةً.. والمدى أفعى جائعه
المناقير تجرح الروح حتى لاتستعيد
أى حلم إلى البعيد
وأنا أسأل المدى : ما الذى يخفى مسْرحٌ يجرحُ الروحَ الضائعه ؟ !

٢٨ ابريل ١٩٨٩ م

فى انتظار الصفو

الأفْقُ لحن منير يكسو حديقةَ فل
عبر النوافذ موسيقى أشرقتْ ثم فاضت لتوقظ الأمنيات
هذا صباح جميل . . إشراقُه أغنيات
فلتنهض الروح مغسولةً بأنداء طل

* * *

هو الحَمَام بدور مسحورة تتثنى مع الصباح المجنح
هديله نهرُ فضه
يمتد عذبًا طليقا إلى أزاهر غضه
فتكتسى ببهاء النور الذى يتفتح

* * *

يا أيها السحر عشْ للقلب الذى أشرقتْ فيه فرحة المهرجان
رفرفْ على أرضنا كى تبث فيها الحياه

رفرف لكى نشتهى أن نحيـــا ونطوى الزمان الذى أضاع الأمان
رفرف لتهدى الينابيعُ فيضَها للشفاه

* * *

عشتُ الذى عشت لكنى فجأة شِخْتُ خوفا ووحشة وارتياعا
وجه السماء تكدر
وفرّ سرب الحمام الذى رعته عيونى . . فعشت كى أتحسر
والقلب فاض التياعا

***

وجه السماء انتظار بكل حزن السجين
لكنه يشتهى أن يعود حلواً بهيا فى موكب يتألق
هذا هديل الحمام الذى توارى يوافينى دافقا بالحنين
والقلب لمّا يزل - رغم ضيقه - يتشوق

٢٨ أبريل ١٩٨٩ م

انتصـــار

برغم تجهم وجه الزمان وطعْنَاته للشروق الوديع
تفتح قلبى - كما يشتهى عادةً أن يكون - فأصبح زهره
توالت عليه جموع من النحل تمتص عِطره
وأصبح يسخو - كما يشتهى عادةً - فانتعش
وحين أحسّ بنار العطش
تناءى الجميع
وراحوا يذيبون بالبعد قلبًا ذوى وارتعش
ولم يأتِ أى بأية قطره
ففر من الأرض طيفُ الربيع
وفضّل أن يكتم القلبُ سره
فأصبح صخره

تَقاذَفَها صبيةٌ يلعبون !

. . . أهذا الذى يشتهى أن يكون ؟ !

سؤال تمدّدَ فى شكل حسره

تمنيتُ لو أن قلبى يفيق من الوهم كى يصبح الآن جمره

تصب لظاها على كل من غادروه وراحوا

تمنيت لو أنهم لحظةً ما استراحوا

تمنيت ... لكنّ قلبى تحَرر من سجنِهِ

تَفتح زهرا - كما يشتهى أن يكون - فعاد إلى حُسنِهِ

وقال : أبعد المحبة تكره ؟ !

١١ مايو ١٩٨٩

ما رآه السـندباد

☆ صدرت الطبعة الأولى من هذا الديـوان أغسطس ١٩٩١ .

الإهـــــــداء

إلى الدكتور عبدالقـــادر القط

الانسان النبيل والشاعر المرهف والناقد الكبير

أشعارك تبـدو دوما مخضرة للـذين لهم عيـون، ولأن جذورهـا راسخة وأغصـانها شـامخة فليس عجيبـا أن ينظر اليهـا بغيظ وضيـق أولئك الـذين قـال عن أمثالهم العميد العظيـم طه حسين انهم لا يعملون ويـؤذيهم أن يعمل الآخـرون، وهؤلاء لا يحسنون سوى نفث الحقد ولا يطلبون الا أن يطبـل لهم من حولهم، ناسين أنه لم يبق لهم إلا الاعتراف بخيبة مسعاهم.

لقد مددت يـدك بالحب وبالرعايـة للجميع ، ويكفي أن شعراء جيلي قـد تألقوا على صفحات مجلة «الشعر» ومجلة «المجلة»، كما تفتحت مـواهب عديدة جديدة في «إبداع» عبدالقادر القط.

أمـامك.. وأمـام أسـاتـذتي الـذين تعلمـت منهـم الكثير.. أكاد أحـس بالعجـز والتقصير، لأني لا أملك لك ولهم سوى الحب.

«حسن توفيق»

ما رآه السندباد

كلما قلتُ سأبقى في بلادي بين أهلي وصْحابي والعبادْ
دحرجَ القلبَ على الأشواكِ تيارُ الضجرْ
فتشبثتُ بحزني.. وبحلمٍ كاد يخبو.. وتذكرتُ السفرْ
عندما كنت أرى وجهي على مرآةِ موجِ البحر معتزا
بأن الوجهَ وجهُ السندباد
آهِ كم كنتُ أحب الخوض في قلب الخطرْ
آهِ كم كنت أغني عندما أكشف نارا حوصرت حينا
بأكداسِ رمادٍ ورماد

***

ضَجرٌ شَوّكَ قلبي إذْ أرى ناراً ولكنْ لا أرى فيها اتقادْ
وأرى الفجرَ يوافيني بأشياء تُعادْ

وأرى ناساً يفيقون مع الفجر.. يروحون.. يجيئون..
ولكن بابتسامات مريبه
خبأوا سمَّ الأفاعي في ثناياها الرطيبه
كلَ ما يغري بأن يستأنسوا يبدو متاحاً
إنما كلُ صباحٍ يتهادى في لقاءٍ بينهم يشكو الجراحَا
***
مرة أخرى يلوح البحر ملتفًا بشالِ الزرقة الشفّافِ
والريحُ تناديني لأرحلْ
قلتُ للقلب تشجعْ واحتملْ ليلَ البعادْ
لا تودعْهم وسرْ نحو طريقِ البحر وأبدأْ رحلةً أخرى مثيره
أطلقِ الحلمَ المؤجلْ
وانشر الحلم شراعا وتفتَّحْ لاكتشافاتٍ ستحييك وتحييها
متاهاتُ السهاد

وليفضْ من بعدها نبعُ حكاياكَ شجيا راوياً عن عاشقٍ
يختار في الدنيا مصيره

***

شقّت الريحُ السفينه
حَوْلَهَا الحيتانُ أفواهٌ تخيف الخوفَ.. بحرٌ يترامى.. لا يُحَدُّ
ليس في عيني دموع.. ولهذا لست أبكي..
رغم أن الرعب يمتص شرايين السكينه
ليس في عيني دموع.. فأنا أبغي انطلاقاً نحو شطـآنٍ أمينه
جسدي في الماء يصطكُّ ببردٍ همجيٍّ وظلامُ الليل سَدٌّ
وكفاحُ الروحِ كي تبلغَ أرضاً هو للإنسانِ تاريخٌ ومجدُ

***

قطعةٌ من خشبٍ تطفو وعمري كله يا ربِّ في الماء معلّقْ

موجةٌ في عمقها ذوبُ ترانيمَ لأسرابِ طيورٍ صادحه
حملتْني بين أحضانِ مَداها فانتشيتْ
ومع الليل بَدَا نجمُ الثريّا من بعيدٍ مطمئناً يتألّقْ
ثم جاءت موجة تلطم بالأحقادِ أخرى ليجيش البحرُ موجاً
بوجوه كالحه
ها هو البحرُ قبورٌ من مياهٍ تتشهاني.. أيكفي ما رأيتْ؟!

***

ها هي الأرض أخيراً.. ها هي الأرضُ جزيره
وأنا ملقىّ على الرملِ وأعضائي كسيره
جثثُ الغرقى أمامي في قبورٍ من مياهٍ تتراءى طافياتْ
آهِ يا عيني أراها ووحوش البحر تنقضُّ عليها في ثبات
وعلى الأرض كنوز.. ذهب ملقى وخيرات..
وماسات منيره

حَوْلهَا الحيَّاتُ تصطادَ حياةً من ضحاياها وتمضي للسباتْ

***

بيضةَ الرخِّ رأيتْ

ورأيت الغول ينقضُّ على الأحياء مسعوراً ويشويهم

على النار لحوماً بشريه

دون أن ينطق إنسان من الأحياء محتجا ويمضي

فادياً بالروح أرواحَ البقيه

ورأيت الذهب الملقي هباء وخطى الغول بقربي

وأنا في بئر أحزاني ارتميت

صحتُ مقهوراً برغمي: يا بلادي.. أين أهلي وصحابي والعبادْ

ليروا أن كنوز الأرض ملقاة على الأرضِ بلا معنى..

وأنَّ الحُبّ أبقَى والودادْ

٢٦ يناير ١٩٨٨

حصاد الرحلة

يجتاحني شوقي الجموح.. فلا يُصدُّ.. ولا يُردُّ
شوقي.. خروج الموج من بحر إلى بر لكي يلقى مصيرا غامضا
فوق الحبيبات الرشيقه
روحي ترفرف في حديقه
عطشا إلى نبع وورْدْ
والنبع أصفى ما يكونْ
والعشب حول صفائه متلعثم حينًا، وحينًا مائل قلِقُ الظنونُ
حين النسيم يداعب السطح الذي تتحول الموجات فيه لأغنياتْ
يصطادها العشاق أو تغفو على صدر السكونْ
لكنَّ هذا النبعَ مثل الأمنيات الشارداتْ
متمنعٌ أبدا.. لكيلا ترتوي من مائه وصفائه إلا العيون

وتظل روحي في الحديقه
أبداً ترفرف في الحديقه
وحديقتي.. أزهارها المتفتحات لآلىءٌ سكرتْ من اللغة الرقيقه
لغة الندى.. قبل التسرب في نهار من عسلْ
أو في نهار.. تولد الضوضاء فيه من الخطى
والدمدمات المستفيقه
وورودها المترنحات تميل من فيض القُبَلْ
حيث الفراش المستهام يُنيم أجنحة مزركشة..
ملونة بلون الحلم في أحلى منامْ
ليبث أشواقَ الغرام
وتظل روحي في الحديقة صرخةً عطشَى
والغيم.. غيمُ الصدّ يحجبُ ما تراءى من ورود
والصمتُ يشبع صرختي ببروده نهشَا

والجو ينذر بالرعود

***

يا جالسين على ضفاف النبع حيث الأغنيات الناعمات المؤنسات
هيا اشهدوا عطشي الذي لا يستجير ولا يهون
هيا اشهدوا نحله
للورد.. تبتهلُ
ما أطيب الرحله
لو أنها تَصِلُ
يا ناظرين إلى الغصون
هيا انظروا لتروا دمي ينساب لكن لا يجفّ على الغصون المدميات
هيا اشهدوا شوقي الجموح
يسعى إلى وردَهْ
يسعى.. ويهزأ بالجروح

ويظل منطلقا.. لكي يهدي لها وُدّهْ
يا ناظرين إلى الورود
لم أجنِ غير الشوك في زمن يلوّحُ بالوعود ولا يفارق أو يجود!

٧ نوفمبر ١٩٨٧

ترنيمة للبدر

«إلى الأستاذ حسين الفردان .. مع حب لايتبدد،
وإنما يتأكد ويتجدد ..»

أإشـراقة نـور في دمـي تتفتـحُ
أم البـدر يجتـاز الظـلام ويصـدحُ
يشـف رهيفـا في بهاءِ حمامـةٍ
تـرفـرف في لين وفي الأفـق تُلْمَـحُ
ويغمـر روحـي فضـةً مستحمـةً
بـأنـداءِ أزهـار بها العطـر يمـرحُ
فيـا بـدرَ أحـلامـي أراك ملكتنـي
وطـوقـتَ أجـوائي بحـب يجنـحُ
صفـاؤك مـوسيقـى ووجهـك جنـة
تتـوق إليهـا الأمنيـات وتطمـحُ

أراكِ بهيـــا بـــاستـــدارةِ طلعـــةٍ
مـــدللـــة الإيقـــاع بـــالسحـــر تفصـــحُ

كـــأن يمامـــا بـــثَّ فيهـــا هـــديلـــه
وخـــلاه نـــوراً للحيـــارى يلـــوّحُ

فتهفـــو إليـــك الـــروح عطشـــانـــةَ المنـــى
تقـــول: متـــى لقيـــا الأحبـــة تسنـــحُ

ويلقـــاك قلبـــي في السكـــونِ بنشـــوةٍ
تمد لـــه جسرا.. مـــن الحلـــمِ أفســـح

وإن غبـــت عـــن عينـــي أبيـــتُ مسهـــدا
ففـــي البعـــد تمتـــد الظنـــون وتلفـــحُ

ويبقـــى ينـــاجيـــك الخيـــالُ لعلـــه
يـــوافيـــك بَعـــد البُعـــد في الليـــل تسبـــحُ

ويبقـــى انتظـــاري في الظـــلام يشـــدني

لهالاتـــك البيضـــاء والشـــوقُ يفضـــحُ

إذا كـــان ذنبـــي أنني لـــك عـــاشـــق

فـــإنـــك بـــالنـــور المنغـــم تصفـــحُ

وإنـــك نبـــع مـــن حنـــان يضيئنـــي

ببـــاقـــة نـــور في دمْـــي تتفتـــحُ

٢٢ مايو ١٩٨٨

الجمرة والنبع

نبع من الطيب يستلقي به العشبُ
مستبشرا بشروقٍ.. نوره يحبو
والعشبُ يبدو وسادا ليّناً سكرتْ
أطرافه بندى من فوقه يصبو
والورد قرب ضفاف النبع أوسمةٌ
قد شكلتها يدٌ يهفو لها القلبُ
وللعصافير موسيقى مجنحة
من كل أغنية يسري صدى خِصْبُ
بنساب فوق مياه النبع في دعةٍ
كأنه الحلم مبهورٌ به اللبُّ
أسندتُ رأسي على العشب الطري لكي
أصغي لما في عروق الأرض ينصبُّ

فحـــاصرتنـــي مُـــدَى الأشـــواكِ جـــامحةً

وأيقظـــــت في دمـــــي نيرانهَا الشهـــــبُ

صرخـــتُ يـــا نبـــع.. قلبـــي جمرةٌ خفقـــتْ

فهـــــل يـــرقُّ لها إشراقُـــــكَ العـــذبُ؟

فجـــاوبتنـــي ميـــاه النبـــع هـــامســـةً

انهضْ عـــن العشـــب يطفـــىءْ جمرَكَ الحبُّ

وطـــف بـــروحـــك في أُفْـــق لـــه لغـــة

تسمـــو بها النفـــس لا شـــوك ولا كـــربُ

واشرب مـــن الصفـــو إذ يـــأتيـــك مـــؤتلفًـــا

والحســـن في وجهـــه يحلـــو بـــه القـــربُ

واستنهـــض الـــروحَ بـــالآمـــال تطلقهـــا

وانشر جنـــاحيـــك.. إن المرتقَـــى صعـــبُ

١٧ يونيو ١٩٨٨

القصيدة والغزال

ليلٌ.. وطفل ساهرُ
جاءا معا يتجاذبان الروحَ من إغفاءة نعمَتْ بها بعد العناء
وتدافعا في عالمي.. والصمتُ فيه مسامرُ
يستعجلان الروحَ حتى تنجب اللغةُ الخفيةُ كائناتٍ
تقهر الصمتَ المسامر بالغناء

* * *

تتكشف اللغة الخفية عن غزالٍ يصعد التل الذي يكسوه بدرٌ
ناعسٌ بندى الضياء
هذا الغزال النافرُ
أنفاسه نغماتُ نايٍ رفرفتْ بطيوفها البيضاء في صفو الفضاء
وتشكلت صوراً منورةً على طول المدى يهفو إليها الشاعرُ
وأنا هنا في عالمي ودمي حنينٌ صابرُ

والقلب مختلجٌ كصدر البحرِ إن عصفَ الشتاء
أدنو فتنأى حلوةً بدلالها.. ليشدني شوق خفي أسرُ
والوجه يبقى ماثلا ببهائه في ليل أحلامي على أمل اللقاء

***

في وحشة الصحراء أنيابٌ مسننةٌ تتوق إلى بحار من دماء
والشوك في كل الزوايا
والأفْقُ إعصارٌ من البارود يقتنص المباهج والوساوس والضحايا
والتل يفضحه الضياء
فاهرب بحسنك يا غزالْ
اهرب بحسنك يا غزالْ

***

يا ساحر العينين حاذرْ وانتبهْ.. قلبي معك
المسك في دمك الرهيف وأنتَ في روحي كإشراق المنى
.. ما أروعكْ

ها أنتَ فوق التل تصعد ثم ترنو في دلال
والحسن يبحث عن قناعٍ موحشٍ كي يحتمي
من نظرة الوحش السفيه
وأنا هنا في عالمي لا حولَ لي كي أفتديه
فالصائدون تسابقوا بدهائهم وتأهبوا كي يأسروا هذا الجمال
انظر.. فإن يمامتين شجيتين تغنتا.. فتأهبتْ كل الشراك
اهرب بحسنك قبل أن تلتفَّ حولك إذ تراك

* * *

الليل راح.. وما استراح القلب.. حيث الشوكُ
في كل الزوايا مشرعُ
والطفل راح.. وفي العيون سحابةٌ تتجمعُ
والنور.. نور الصبح.. لاح
لكنَّ قلبي.. ما استراح

٢٧ أكتوبر ١٩٨٨

الصخر والروح

في الجو رائحةُ الضياع
في الجو رائحةُ الشجن
يا باحثين عن المحبة.. ضمدوا أشواقكم وتعلموا لغة القناع
ولتحرقوا أحلامكم.. فالصخر للروح امتَهَن
والريح تلهث في المدى، ولهاثها الشوكي ينفذ في شرايين الجسد
هذا زمان قاحل.. لا شوق فيه إلى أحد

***

متناثرٌ جسد الصدى في الأفق أشلاءً نثيره
لمّا صرختُ مزلزلا بهواجسي: ما كان في قلبي من الفرح انجرح
ما أقبح الصور الجميلة حينما تخفي ملامحُها المحببةُ الأثيره
دنيا من الظلمات في أعماقها تدنو الضحية في انصياع من شبح

شبح يواجهها بنظره
ويعاود النظرات ثم يقيمُ فوق الروح صخره

***

في الليل حاصرني خيالك فاكتوى حتى الهواء
حولي... وضاق بلوعتي صدري وما حَوَتِ السماء
حيث الثريا بسمة علوية يتراقص الإشراق فيها في السكينه
والبدر لا يعنيه أن يدري بما تحويه أعماقي السجينه
فيظل يهمس في دلال بينما روحي حزينه

***

ماذا سيبقى في حدائق روحك المتفتحات من الزنابق والورود
لو أن أشواقي التي تهمي عليها من سنين
تعبتْ.. فآثرَ غيمُهَا أن يستريح من التعلق في أراجيح الوعود؟
يا جنتي.. إن اليمامة لا تكف عن الهديل برغم ضوضاء الوجود

وبرغم فخ لا يبين

فتذكري لغة الندى إن الحدائق هللت..

والحب باقٍ والحنين

٣١ أكتوبر ١٩٨٨

الفراشة والنبع

النبع نشوانُ الضفاف.. تعربد النسمات في أمواجه المترنحه
وبحضنه النشوان.. يحيى الروحَ غصنُ الياسمين
بزهوره الفواحة البيضاء.. لما نجتليها حلوة متفتحه
والعشب - من خجل كما النسماتُ تهوى أن تنسق أو تمزق - يستكين
والظل أحلى مروحه
في هذه الصحراء حيث اللفح يجرح عاشقين مثابرين على الحنين

***

بين الزهور فراشة - بهشاشة - تنتقلُ
أرنو إلى ألوانها وأقول مبهور الرؤى: يا حسنَها ما أفصحك
لكنها راحت ضحيةَ عشقها للنور لما طاوعتْ رقص اللهب
ما أعجب العشاق.. إن القلب لا يتحولُ

عمن يحب.. فيا لهيب قصيدتي لن أبرحك
سيان فاض النبع أو أخفى ملامحَه البهيةَ في الزوابع واحتجب

***

سرب من الأمل المجنح.. ريشه حلم تجسد
يجتاز آفاق المدى ببهائه وكأنه عرس سماوي بهيج
وبرغم هذا العرس تزدحم الجوانح بالنشيج
فالشوك حاصر خطوتي.. وغمامُ روحي ما تبدد
حتى زهور الياسمين توشحت بغمامِ روحي فانطوى فيها الأريج
وتلفتت عيني لكل غمامة حفت بها لترى الفراغ وقد تمدد

***

يا أيها القلب الذي كم حوصرتْ آفاقه: هل كان وهمًا ما رأيت
لما دنوت فما ارتويت؟
النبع نشوان الضفاف كما رأيتَ وأنتَ إذ تدنو تنوء بها تنوء

بتفتت الفرح المحاصر بالفواجع كالزبد
بالنار تلتهم الفراشات الرقيقة في هدوء
بغيومِ روحٍ أطبقتْ بظلالها الدكناء صائحةً: أفِقْ.. ما من أحد

٧ نوفمبر ١٩٨٨

لمن إلا لبستانك؟

لمن إلا لبستانِكْ
يرفرف طير أشواقي
أحس بدفء ألوانِكْ
فتشرق كل آفاقي
أحبك في رؤى الماضي
أحبك في غدي الآتي
أحبك فوق أنقاضي
فأضحك رغم مأساتي
أعيديني إلى نفسي
فكم ألقاك مذهولا

أزحـــتُ خـــرائبَ الأمـــسِ
وعـــدت إليـــكِ مغســـولا
فغطينـــــي بـــــأزهـــارك
وبثـــي النـــور في زمنـــي
فـــرغـــم البعـــد عـــن دارك
أحبـــكِ.. آه.. يـــا وطنـــي

١٢ أبريل ١٩٨٤

افتحي الأبــواب للآتـــي

هــا هــو البحــر أمــامــي يــا صــديقــه
يجرف الشــاطــئَ والــروح غــريقــه
يــا لــه مــن بحــرٍ سحــرٍ.. تتعــالى
فيــه مــوجــاتٌ مــن العمــق طليقــه
فـــأعينينــي على الملـــح فـــإني
صـــارخُ الجرح وأشـــواقـــي عميقـــه
واغمــري الأفْــقَ بـــإشراقــة صـــدق
كــي أحــس الأمــنَ يــدنــو والحقيقــه

* * *

يلعــب البحــر بــأعصــابي طــويــلا
وينـــاديـنـــي لألقَـــى المستحيـــلا

الصخـــور الســـود تمتـــد أمــامـــي

وشعـــاع يكشـــف الـــوهـــم الجميـــلا

إنـــه الماضي جـــدار مـــن عـــذاب

جـــاثـــم يخفـــي عـــن القلـــب السبيـــلا

فمتـــى حـــائطُ مبكـــانـــا نجـــافيـــه

لنـــرعَـــى حبنـــا الآتي النبيـــلا؟

***

يـــا حيَـــاتي أنـــت أحلى أمنيـــاتي

بـــــربيـــــــع دائم الخضرة آتِ

أشتهـــي ضمـــك حتـــى يتـــلاشـــى

كـــل قيـــد بيننـــا في لحظـــاتِ

غير أني أشهـــــد الجدران تعلـــــو

بـــاسطـــاتٍ ظلهـــا في نظـــراتي

فـأنـاجيـك طـويـلا في خيـالي
وألاقيـك هنـا في عمـق ذاتي

***

يسكـب الموجُ أغـانيـه النـديـه
في فـم الـرمـلِ بشطـآن قصيـه
فـإذا بـالـروح تهفـو لانعتـاق
وانطـلاق في سماوات بهيـه
وإذا القلـب ينـادي صـارخـا
هـل تـرى ألقـاك وهما في يـدَّيـه
أم تـرى نبقـى حبيبَيْنِ ونجتـازُ
كطيفين مـدى الـدنيـا الشقيـه

***

هـذه الـدنيـا قلـوب مغلقـه
ووجـوه لـوجـوه مُغْـرِقـه

كـــــل قلـــب فيـــه أسرار تغطـــت

بمــــــــــلاءات الخداع المطبقـــــــــــه

النفــــايـــــات تحلــــت وازدهـــــت

والصـــــداقـــات ظـــلالٌ مطـــرقـــه

وأنـــــا في الليــــل أصحـــو بـــاكيـــا

يـــا حيــــاتي نـــاعيـــا مـــوت الثقـــه

***

لا تقـــولي: هـــل تظـــل العمـــرَ تبكــــي

إن روحــــي مـــزقتهـــا ريـــحُ شكـــــي

فعلى الأرض أكـــاذيـــب تـــرامـــت

وارتـــوت منهـــا الأنـــاشيـــد بصـــكِّ

وعلى الأرض وحـــــوش أطبقــــــت

حـــولنـــا واستبـــدلـــت حقـــا بـإفـــكِ

ومـن الأفـق أطلـت دمـدمـات

لا تـراهـا إنما تـأتي لفتـكِ

***

أي أرض سـوف تعطينـا الأمـانـا

فنعيـش العمـر دفئـا وحنـانـا

اسـألي النـاس لماذا أنكـروا

كـل حـب شـع في النفـس.. فكـانـا

ويحهـم كـم أنبتـوا زهـر الخطـايـا

وأقـامـوا للـرزايـا مهـرجـانـا

ويحهـم لم يعـرفـوا حـب سـواهـم

وارتضـوا أن يمتطـوا الـزيـف حصـانـا

***

آه يـــــا زهـــــرة آمـــــالي النضيره

إننـــي أطلقـــت أشـــواقـــي الأسيره

لم أزل أحيـــــا لإشراقـــــة صـــدق

يحتـــويها وجهـــك الصـــافي السريـــره

فـــارفعـــي الكـــف إلى اللـــه ابتهـــالا

أن يمـــس الخير دنيـــانـــا الغـــريـــره

وافتحـــي الأبـــواب لـــلآتي وغنّـــي

واسلمـــــي لي كـــل حين يـــا أميره

٧ أبريل ١٩٨٤

الفراشة والعطر

سألتك ألا تريقي على الأرض سرّ الفراشه
دعيها مع الليل تغفو طويلا بأحضان زهره
وفي الصبح تصحو لتوقظ أخرى.. تقبِّلُ أوراقها في بشاشه
وتتركها في انتظار الصباح المؤمل دوما رفيقةَ حيره
وتحت أشعة شمس الأصيل
تطير لتعكس ألوانها الزاهيات على صفحاتِ بحيره
وبعد قليل
تحط على ثغر أخرى لتمتص منها جمالَ الرحيق وسحره
وفي الليل.. في الصبح.. عند الأصيل
تعاود رحلتها بين عطر الزهور.. ولا تسأم العطر مرة!

تقول الفراشة.. في الليل.. في الصبح.. عند الأصيل
هو العطر عنديَ من كل زهره
هو العطر عنديَ يجثو ويعتاد - كالعبد - أسره
هو العطر عنديَ يجثو أمامي.. ألستُ حبيبةَ كل الحدائق؟
ألستُ التي ترتجيها الزهور جميعا بشوق يؤجج
في النفس أعتى الحرائق؟
ألستُ التي ترتجيها الزهور.. فتحيا مع الشوق حتى تميل
ويحيا خيالي بأعماقها مثل تذكارِ حب جميل
يزيح عن الروح كل أساها ويسكب فيها صفاء وخضره؟!

* * *

تظل الفراشة تزهو بألوانها الزاهيه
ولكنها - حياتي - تظل تعاني
تسائل أعماقها في بهاء التفتح للسر حيث تظل الرؤى صافيه

أكل الزهور سواء لديَّ؟.. أزهر يفوح بأسمَى المعاني
كزهر يغير ألوانه؟!
أزهر يواجهني بالرحيق المراوغ دوما
كزهر يُفتِّح وجدانه
وينثره في طريقي نسائم حب تطوقني في انطلاقيَ يوما فيوما؟.
أأبقى مع الزهر حيرى.. أرفرف دون مقر؟
وفي كل ليل وفي كل صبح وعند الأصيل أعاني ضياعا
أواجه نفسي فأشعر أني موجهة في انطلاقي برغمي لأهواء بحر
أواجه نفسي.. فتزداد أوجاع روحي اتساعا!

***

فراشةَ روحي.. دعيني أصوم عن الكلمات
دعيني فقد أرهق القلبَ عبء انتظار الشروق
وعبء التقلب عبر الفصول

دعيني أخبىء همي.. وأمضي بلا أمنيات
دعيني فما عدت أقوى على أن أقول الذي أشتهي أن أقول

***

فراشةَ روحي.. أراك ابتسمتِ..
فأطلقتِ في القلب أحلى نداء
دعيني إذن كي أقول الذي أشتهي أن أقول
دعيني أقول أحبك كالصحو بعد تجهم وجه الفضاء
أحبك سرا.. أحبك جهرا.. أحبك دوما
أحبك رغم تقلب كل وجوه الفصول
أحبك دوما.. ويزداد حبيَ يوما فيوما..

١٢ أبريل ١٩٨٤

الطائران والجزيرة الفريدة

كلَّمها.. وكانت الشمس تطل من خلال بابها الشرقي
كي توزع النورَ المباح
حدثها عما رآه في المنام.. كان صوته يفيض بالأضواء
والظلال والعذوبه
وانسكبتْ في مسمعها أمواجه الطروبه
فاستسلمت للرحلة التي أغوتها في الصباح

***

الطائرانِ انطلقا
حطَّا على جزيرة مسكونة بالطيب والأطفال والخصوبه
جزيرة يولد من شطآنها البيضاء ما يشف من صفاء
والجوهر المكنون في أعماقها من حسنه يكاد يغوي الأفقا
فلا يغيم لحظةً.. أو يحبسُ النسائم الرخية اللعوبه

ياللجزيرة التي تقصدها طيور البحر.. حينما

تشتاق للتلاقي والغناء

***

الطائران انطلقا

حطا هنا.. واعتنقا

كلمها في شغف.. قال لها ما قالت النحلة للوردة،

والغيمة للأرض الظميه

قال لها ما قالت الأشياء للأشياء..

في انبثاقة التواصل الجامح كالريح الفتيه

وكنتُ وحدي صامتا وضائعا..

أكاد من تكدس الغربة فوق القلب أن أختَنِقا

فرحت أشكو الحُرَقا

* * *

كانت خيول الشمس في السماء تطوي الأفقا

ممعنة في السير كي ترحل للبوابة الغربية البعيده
وأغفت الطيور في أعشاشها سعيده
من بعد رحلة إلى الجزيرة الفريده
والطائران اعتنقا
وخلفا لي ريشة مندوفة.. وخلفاني - دون قصد - مِزَقا
تفتحت في عالمي براعمُ الأسى وأقبلَ الظلامُ قبل موعده
واخترق الظلام في إقباله جدار روحي..
حاملاً حقيبة الفراغ والضياع في يده
وانفتحت حقيبة الفراغ والضياع
تبعثرت أشياؤها.. وأين مني الآن من تؤنس روحي المثقله
يا ليتها الآن هنا.. توقد قربي شمعة..
فيولد الأنس على خطى الضياء المقبله
وتستعيد الروح من طلعتها صفاءها المحجَّب الشعاع
***

أيتها الجزيرة الساحره المسحوره..
حتى متى أظل وحدي صامتا أبث ما أبث للأوراق
تلفحني الأشواق
وترقد البعيدة الهائئة العينين طولَ ليلها مسروره
وبيننا تُشهر أبحرُ الظلام واللظى سيوفَها الصماء
من غياهب الأعماق؟
حتى متى أظل وحدي صامتا.. وتنعم الطيور بالطيور..
والعشاق بالعشاق؟

....

الطائران اعتنقَا
وخلفا لي ريشة مندوفة.. وخلَّفاني - دون قصد - مِزقًا!

٣ يوليو ١٩٨٤

في انتظار اللقاء

في انتظار اللقاء أحيا حياتي
كل ليل مؤرق الأمنياتِ
أرهف السمع ظامئا في ظلام
مشرع النصل غادرِ الخطواتِ
وأراني فدى لعينيك أخطو
في متاهاتِ حيرةٍ يا حياتي
ربما تأتين انبثاقا لحلم
مقمر كالحنان حلو الصفاتِ
فتعود الطيور من كل منفى
منشدات على الربى أغنياتي
وتمس القلوبَ نايات حب
ويذيب الغناءُ ثلجَ الشتاتِ

***

ربما الشهـــد يستعـــاد بـــوصلـــك

بعــد أن ذقتُ اللســع مــن سرب نحلــك

ربما يشرق الصبـــــاح وفيـــــه

يتــلاقــى أهــل الشتــات بــأهلــك

ربما تـــأتي مـــوجـــة تحتـــوينـــي

ثــم تلقينـــي ضــاحكــا فــوق رملــك

نـــافضـــا همي المستبـــد بـــروحـــي

مـــوقظـــا بـــالحنين أشجـــار فُلِّـــك

بـــاحثـــا عـــن وجـــوه صحبـــي القـــدامـــى

في مـــدى الـــزيتـــون السخـــي بظلـــك

في مـــدى عينيـــك اللتين تقـــودان

حيـــاتي إلى أهـــازيـــج سهلـــك

***

آه مـــــن ربما وحلـــــم تعلَّـــــق
بين أهـــدابي خـــاشيـــا أن يُمـــزَّق
فـــانتظـــار اللقـــاء بـــات ثقيـــلا
والـــرؤى غـــامـــت في فـــراغ مطـــوَّق
أوقـــد القلـــب نـــاره فتلظـــت
في كيـــاني وهنـــا هـــو البـــاب مغلـــق
والغيـــوم التـــي استقـــرت بـــروحـــي
أسلمتنـــي لـــوحشـــة تتعمـــق
فـــاكشفـــي يـــا أميرتي عـــن زمـــانٍ
يحضـــن الحلـــم عَلّـــه يتحقـــق
واحملي قلبـــي للـــديـــار التـــي لم
تنـــسَ وجهـــي ولم تـــزل تتشـــوق
١٠ يناير ١٩٨٥

وردة الأمل

لو كنتِ يا وردة الإشراق والرغدِ
تستيقظين هنا
تستثمرين صفاء الحلم في خلَدي
تُبقين في زمني طعم انتظارِ غدي
وتُسمعين ضفافَ القلب أغنيةً يأوى لها سكنا
ما كنتُ - في وحدتي - ألتف بالماضي
أسائل الريح عن عينيك والشوقَ والأمواجَ والزمنا
مجمعا سفني - من خشية البحر - في أسوار مرفئها
مجمدا قدمي في نفس موطئها
وواقفا حيرةً في قلب أنقاضي

* * *

يا ريح.. يا ريحُ
توهجتْ في صدرك العاري مصابيحُ
لو أُطفئتْ.. لصحت في وجه المدى وثرتُ
مهما أكن سكتُّ..

* * *

يا وردتي.. يا أمل
من عطرك الناصع الإشراق.. قلبي ثمل
لكنَّ وجهك أخفى النور لما اكتمل
يا توق روحي إلى عينيك طول الأجل

* * *

بعيدةٌ أنت.. والأسوار ما بيننا عبر امتداد البصر
والبحر يفصلنا.. والخوف يسكنني
والصمت يغمد في قلبي سكاكينه الظمأى ويُـخفي الأثر

بعيدة أنت.. لكنْ وجهك المنتظر

يأتي إليّ برغم البحر يغسلني

ويبرىء الجرحا

ويطلع الصبحا

وفي غدٍ ضاحك ألقاكِ مبتسما.. والنور يصحبني

***

يا ريحُ.. يا ريحُ

توهجتْ في صدرك العاري مصابيحُ

لن تطفئيها أبدًا

أو تجعليها زَبَدًا..

١٥ يناير ١٩٨٥

بطاقة من متفرج عربي لســــناء

«.. في التاسع من أبريل عام ١٩٨٥ كان موعد الفتاة العربية - اللبنانية سناء يوسف محيدلي مع الاستشهاد بعد أن قامت بعملية فدائية بطولية ضد قوات الاحتلال الصهيوني في جنوب لبنان..»

لا أعرفها.. لكنّ ملامحها - في ذاكرتي - حيه
تتجسد شمسا في روحي وتحاصرني حتى في النوم
لا أعرفها.. لكني أعرف ما في عينيها من هَمّ
في عينيها هَمّ صبيه
تترقب لحظة زغردة العرس الدمويّ
تتفجر أشواقا عطشى للقاء الحق بصحبة كل شهيد عربيّ

في عينيها صمتٌ يتحدر من لغة لا يعرفها غير الشهداء
لغة تصرخ فينا: إن الطرق المأمونه
لا يسلكها إلا الجبناء
ممن شربوا كأس الذلة في حضن الأوهامِ المأفونه
لا أعرفها.. لكني أقرأ في عينيها أوجاعَ الأرض العربيه
أشهد كفرقاسم.. أشهد صَبرًا.. أشهد بيروت الوطنيه
أشهد مدنا غارقة في قهر.. وقرى باتت مطويه
في قبضة من نهبوا الأرض وهتكوا العرض وداسوا الحريه

* * *

لا أعرفها.. لكنّ سناء
تعرف أني أحد الموتى المتكئين على مجلسِ وهْم
تعرف أني أتلهى بالجمل - الحيل المخبوءة في كتب الإنشاء
أتخفى في وحل الحجج المعتادة إن برز التمساحُ وفاض الدم

يتسرب مني تاريخي.. وطني.. يتسرب صوتي في رمل الإغواء
وأعود أمارس ألعابي.. وأتابع رقص الشرق.. أتابع أسخف فيلم
قدِّر لي.. أن أبقَى أتفرج
قُدِّر لي.. أن أتعلق في زمن عربي الخيبة.. مرتجف الاعضاء
قُدِّر لي.. ألا أخجل من أخيب ألعابي أو أتحرج
قُدِّر لي.. أن أبقى أتطاير كالورق المتناثر في الريح الهوجاء..

***

ذات السبعة عشر ربيعا نبتتْ كالزهرة في «عنقون»
قرية أهل منا.. لكنا لم نسمع عنها من قبل
في رقدتنا داخل هذا العطن المخزون
في غمرة لهفتنا بحثا عن أقرب حل
ذات السبعة عشر ربيعا زرعت في ساحتنا شجر الورد الأحمر
شجرا كدنا ننساه من الخدر اليوميّ

ذات السبعة عشر ربيعا تركتنا في الوقت الضائع
نسأل: هل نربح أم نخسر؟
ومضتْ تصعد للقاء الحق بصحبة كل شهيد عربيّ..

١٣ أبريل ١٩٨٥

رسالة من تحت الرصاص

«.. في الحادي عشر من أبريل عام ١٩٨٤ لم يكتب أعضاء مجموعة جيفارا من الشبان العرب - الفلسطينيين (رسالة من تحت الماء).. وإنما كتبوا رسالة من تحت الرصاص، حيث قاموا بالاستيلاء على «باص» صهيوني، وكان هدفهم أن يبادلوا الرهائن الصهاينة بعدد من المعتقلين في سجون العدو، عندما يصلون الى رفح - المصرية، لكنهم لم يصلوا، لأن رصاص الصهاينة كان الأسبق..»

شجر الزيتون من قلبي على الدنيا يطلُّ
وأنا بالباص أمضي فوق أرضي والمسافات بأعماقي تقلُّ

إنها أرضي أراها فاحسدوني يا رفاقي
واتبعوني كي نرى الشمسَ التي كم كمموها عبر آفاقي تهلُّ
واجرفوا وهْم الأساطير التي ألقت بها مأسورةً تحت الوثاقِ

***

روح جيفارا تطلُّ
وصلاح الدين يمشي في شراييني ويعطيني لثاما وحساما
وأنا بالباص أمضي صارخا: كم يا ضمير الكون كم قد طال ليلُ
والمآسي عبر تاريخي بدت عريانةً تستبطىء النور الهماما
دير ياسين أطلت وأطلت كفر قاسم
وأطلت روح صبرا وأنا بالباص أمضي وضمير الكون نائم
وعلى طول المدى تبصر عينايَ على الأفْقِ وجوه الشهداء
آه كانوا يعشقون الأرض والزيتون والأطفال والوجه المليح
آه.. لكنَّ وباءَ الزور بالوجه القبيح

راح يلقيهم ويدميهم ليمتص الدماء
وأنا أعرف أني – يا رفاقي – سأموت
إنما نبض أغاني الثورة الحمراء.. لا.. ليس يموت
فاصمدوا – من بعد موتي – ضد أعداء الحياه
اصمدوا ضد وحوش سلبت مني الحياه
ضد أمريكا التي أهدتْ إلى ودياننا أعتى الذئاب الدمويه
اصمدوا ضد هواء لوثته العنصريه

***

أعلنتْ شارةُ ضبط الزور أن الموت آتٍ.. ليس هذا بالمهم
فأنا لست بسفاح على أرض بلادي.. ولهذا لن أسلِّم
آه يا أرض بلادي.. أه من قهر الفرح
إنهم قد أغلقوا الأزمانَ والبلدانَ دوني
إنهم قد قتلوني

قبل أن تأتي «رفح»

....

لم أكن أبغي رفح
وحدها.. بل كنت أبغي كل أقطار العروبه
صارخا في الناس هبوا.. ويحكم.. ويح السكارى
قدسكم تبكي عليكم.. قدسكم تبكي انتظارا
أرضكم ترنو إليكم.. أرضكم تبكي الفرح
منذ أن باتت سبيه
ويح أشواق كذوبه
تتغنى بهواها..

وَهْيَ في الأسرِ..
تنادي كل روح عربيه

***

ها أنا الآن انطفأتُ
كشعاع لفه الليل بأفْق مستباح لمناقير الصخب
هل ترى متُّ بطلْقاتِ وحوش من بني التلمود أم أني قُتلتُ
بالهواء البارد القاسي..
هواء الصمت والأهواء في دنيا العرب؟!

١٩ أبريل ١٩٨٤

الصمت وصوت الحجر

«.. في الثامن من ديسمبر عام ١٩٨٧ توهجت النار المقدسة - نار الانتفاضة الفلسطينية ضد العدو الصهيوني الجاثم على تراب فلسطين، ومع توهج الانتفاضة البطولية رفرف طائر الأمل الذي كان حبيسا في أقفاص صدور العرب المقهورين..»

للدماء انتماء.. بهذا تقول رمال الصحاري.. يقول النخيل
أعشق النيلَ، والنيلُ يعشق أهلاً بيافا وحيفا وأرض الجليل
أنتمي للحجر
انتمي للبلاد التي أنطقتْ صمت هذا الحجر
للأيادي التي أطلعت أنجما، أيقظ النبضَ والومضَ فيها حجر

الأيادي التي أطفأت ومضةَ الزهو في أعين المعتدي بالحجر

***

أيها الحرُّ.. يا من تشق الفضاء احتداما وقوه
نحن كنا نناديك - يا حُرُّ - في عمق أحلامنا
منذ أن جمد اليأس أرواحنا فارتمت مِزَقًا تحت أقدامنا
أي معزوفة أنتَ أسمعتنا فانطلقنا على وقعها بعد كبوه؟
نحن كنا عطاشى إلى طلعتك
مثلما تعطش الأرض عريانة في غياب البشير بدفق المطر
بعضنا كان مستغرقا في طنين الحنين الدفين إلى خطوتك
بعضنا كاد يطوي كتاب الرجاء
بعضنا هيأ النعشَ من خيبة العيشِ ثم انتحر
حينما جئت أيها الحر نورا يزيح ظلام ليالي العناء
جئت في موكب نورته الدماء

فانطلقنا مع الموكب المنتظَر

موكب من بشر

أحرجوا عجزنا واستطالوا شموخًا فصاغوا - بمجدٍ - جمال الحجر

***

يسطع الحق في الأوجه النازفات على أرضها المستباحه

كل وجه.. نهار

كل وجه ينادي: بلادي.. بلادي.. ويخفي جراحه

كل وجه.. نرى مجده ذائعا رغم سور الحصار

والدم المستهين ببطش الغزاة يظل يسيل

دافقا كالمطر

شامخًا كالجبال التي لا تميل

راسماً شارة النصر عبر الأيادي التي أطلعتْ أنجما من حجر

***

فانهضوا أيها السادة النائمون
انهضوا واخلعوا صمتكم.. كيف تحيون أيامكم في قبور السكون؟
أرهفوا السمع كي تسمعوا عبر زيتونةِ الأهل صوتَ الجهاد الجليل
للدماء انتهاء.. فمن ينتمي للدم اليعربي النبيل؟

١٩ يناير ١٩٨٨

لبنان - الجحيم

«.. إذا كان لبنان العربي الجميـل يستعيد حيويته مـن جديـد، فـإن سنـوات الاقتتال بين طـوائفـه وفئاته المختلفـة كانت كارثة لكـل انسان عربي، مخلص لعروبته..»

بين شوقي لأرض أراها بعيده
وانكساري بأرض كواها الظمأ
خاب سعيي وفاض دمي صارخا بين خط الصواب وخط الخطأ
واحتواني ظلام ترامَى على عالم مثقل بالكوابيس فوق دروب المكيده
المصابيح لم يحتمل نورها.. وجهَهَا.. فانطفأ
والبنايات لم تحتمل وقعها.. فتهاوت شهيده

***

قالت الأرض: لست أريد دما، فأنا من سنين شربتُ الكفايه

واحتضنتُ الجثث

أبصروا بعض أشلائها بعد ما شوهتْها أياديكم المذنبه

كل شلو بحضني هنا أصبح الآن يروي حكايه

اسألوا طلقة الآلة المرعبة

اسألوا مرة كيف هذا حدث؟

***

يُقتل المرء.. لو لونه لم يرُقْ لمجون العيون

يُقتل المرء.. لو حاصرته الظنون

يُقتل المرء.. حتى ولو كان طفلا بروح بريئه

فغدا يكبر الطفل، والأحوط الآن أن تقتلوه

يُقتل المرء.. كي يستريح إذا ارهقته الحياة باثقالها

يُقتل المرء.. كي يستريح تماما من العيش في ظل بؤس «المخيم»

يُقتل المرء.. لو راح يعدو لينجو من القصف كي يستقر فينعم

يُقتل المرء.. حتى ولو كان أما رؤوما تحيط بأطفالها

يُقتل المرء.. لو دينه لم يَرُقْ للنفوس الدنيئه
يُقتل المرء.. لو صوته غير أصواتكم ايها الحاملون الجنون
أيها الحاملون السلاح المباح ولا تحملون عقولا مضيئه

***

رحت أغفو قليلا
إنها صوت طفل صغير تناهى إلى مسمعي.. والشظايا تجول
رحت أغفو قليلا
إنها حائط البيت كان قد انهار فوق عجوز ينام وحيدا بحضن الذهول
رحت أغفو قليلا
إنها وجه «صبرا» أطل من القبر ممتلئا دهشةً من رقادي فقمتُ عليلا
وانتبهت إلى أن هذا الرقاد الممزقَ يبقى هنا مستحيلا

***

وسيبقى الرقاد بدون رصاص يقر بقلبي هنا مستحيلا!

***

كان بيتي بسيط الاثاث فقير الزوايا.. ولكنهم هدموه
أُمُّ أطفالنا سألتني: «لأين»؟
صوتها لم يكن صوتها.. صوتها كان منبعثا من قرار الجحيم
صوتها كان صوتا لذعر مقيم
سألتني الحبيبه
فجأة.. أين نمضي؟ وأين ليالي الأمان الخصيبه؟
قلت: لا أعرف الآن شيئا.. دعينا لكي نحتمي من لثام الوجوه
سألتني الحبيبه
- من جديد - لأين سنمضي؟ لأين.. لأي مكان
قلت: ليس لنا.. ها هنا.. من مكان
فاتركي الأسئلة
كي تجيبَ عليها شظايا تبعثرها - فجأةً - حولنا قنبله!

٢٤ سبتمبر ١٩٨٥

مرثيـة الزمــن العربـــي

«.. في فبراير عام ١٩٨٧ كان بعض أهلنا العرب محاصرين من قبل بعض آخر من أهلنا العرب!.. كـان هـذا في مخيـم برج البراجنـة، وطالـب المحاصرون الجائعـون باستصدار فتـوى تبيح لهم أكل لحوم الموتى..»

جبل جليدي من اليأس الذي ينهار فوق قلوبنا المتوجسه
ينهار - في بطء - على كل المدائن والمآذن والبيوت ولا يذوب
ويجرّنا للزوجة المستنقعات المفلسه
والشمس كاذبة وغاربة كأنْ لا شيء في الدنيا سوى نعش الغروب
الشمس كاذبة وأرض النور تجهش باكيه

فمن المحيط الى الخليج
نمضي لأبشع هاويه
بعضٌ تلهّى قانعا أو خانعا أو ضائعا، بعضٌ تهيأ للنشيج
وملامح البسطاء تكسوها المذلة والمجاعه
ورياح أغنية مزخرفة تهب من الإذاعه
ومن المحيط الى الخليج مقابر مفتوحة تَسَعَ الجميع ولا تضيق
للطفل متسع، وللغة الغريقة في الهوان
لقلوب من هبوا لنجدةِ نسوةٍ عند اندلاع النار في بيت عتيق
لرؤوس من مُنحوا الأمان
ولكل شيء رائع.. تبدو مطالع مقبره
مفتوحة.. مستبشره
فالناس إما قاتل متربص يحيا ليَقْتل، ثم يُقتلُ بعد حين
أو شاهدٌ.. كلماته العرجاء تعجز أن تبين
فإذا تجرأ أن يبين فإنه يمسي قتيلا

واذا تلجلجَ واستكانَ فإنه يغدو قتيلا

***

يا أيها الزمن المؤهل للسقوط.. بلا دوىً

جئناك بالنبأ اليقين

من أرض لبنان الطعين

حيث القلوب يشقها لفح الهواء الطائفي

والحقد ميراث دفين

يسقيه من عبثوا لمرتزقٍ تفننَ في التمسح بالكيان العنصريّ

يا أيها الزمن المؤهل للسقوط بأمةٍ غرقتْ صحائفها المجيده

جئناك بالنبأ اليقين، وما عليك سوى الترقب، للمتاهات الجديده

منعوا الطعام عن الذين تشردوا من أرضهم فاستقبلتهم أضرحه

وتلقفتهم خيمة القهر المخلخلة البناء

وتساندوا متحملين خطى الشتاء، ففوجئوا بهطول أعتى الأسلحه

وبأن أنهار الدماء تفيض من أجساد جرحاهم ولم يأتِ الدواء
هذا هو النبأ اليقين
الجوع يعصف بالبطون الخاويات ولا معين
ماذا يقول المتخمون الجالسون على الأرائك في انتشاء وارتخاء؟
فليأكلوا أجسادَ موتاهم لكي يبقوا على قيد الحياة محاصرين
ما دام في أمل الصهاينة انتشار كالوباء
والمسلمون.. مطامع، وتوابع، وشقاقُ
فإذا تلاقوا - مرةً - وتصافحوا عند اللقاء
فالأرض تعرف جيدا أن اللقاء نفاقُ

***

جبل جليدي من اليأس المقيم يشلنا بعد التعلل بالأمل
وعلى خطى الجبل الذي يجتاح أرض الأنبياء
تبقى طلولٌ شاهدات ليس فيها من ملامحنا سوى بعض الخجل

والنار أولها القريب وبَعْدَه يأتي البعيد المستكن ولا رجاء
وعلى المدى يأتي زمان شائه يتساءل الأحياء فيه عن العرب
فيتمتمون بأنهم كانوا هنا قبل الأفول
لكنهم رقصوا سكارى حول إيقاع التقارب والتباعد في الخُطَب
ثم اختفوا بين الخرائب وانطووا تحت الطلول

١٠ فبراير ١٩٨٧

الغرباء قادمون

ما كانَ من شجر.. تآكلَ أو ترنح أو تأرجح في مخالبِ عاصفه
هذا هو الوجه الجديد لعالمٍ يخفي دماره
في جوفه ويظل تنهشه الظنون ولا منائر أو مرافىء أو بشاره
والصخرة الصماء ترقص في غرور فوق أشلاء الزهور النازفه
والروح تُرْجف خائفه
من هوة مخبوءة ما بين قهقهة الزوابع وانهيارات الحجاره

***

إني أرى وجه القصيده
متفتحا.. لكنما الإيقاع باح بما أناخ عليه من شجنِ
وكأن كل معاول البركان.. بالمحنِ
تهوي على قمم الجبال فتفزع المدن المبعثرة القريبة والبعيده

وكأن زالزالا يخبىء سخطه ليصبه صبا على أرض سعيده
وعلى خرائبها يشل تدفقَ الزمنِ

***

سفن محملة بما في أعين الغرباء من سود المكائد
ترسو قبالتنا وموج البحر يجرفنا بِشده
من بعد أن كسروا السواعد
ويقول عاشقُ نفسِه: تاريخنا.. تاريخهم لولا الخلاف على الموده!
هل تلطم المأساة خده
ليفيق من أوهامه فيرى المَشاهد أُبدلتْ من بعد أن قلبوا الموائد؟!

***

الأرض نفس الأرض لكن أطلقتْ فيها الوحوش الجائعات على البشر
سكب الظلامُ مداده فوق المصابيح التي لم تنجرف للهاويه
لكن ذكرى النور دافئة بذاكرتي وفي الأفق البعيد.. أرى القمر

بعيون أحبابي أرى الأرض التي انهمرت بها لغة الأيادي والحجر
يا أرضَ روحي لا تبالي بالظلال الخاويه
الظل لا يبقى كما تبقين أنتِ.. وأنتِ رغم الجرح أنتِ الباقيه

أول فبراير ١٩٩٠

الطاووس.. والنار

ريشه فوق رأسه تاجُه الباهر المرصع
وعلى وقع خطوِهِ
تتراءى لي لوحة نُقشتْ فيها زركشاتٌ روتْ سر زهوِهِ
إنه الطاووس الذي مر قربي مصوِّبًا حُسنَه أينما تطلع

***

كان طاووسا طائشا يتباهى بما لديه فتختال الزركشات
لم يكن طيشا عابرا أنه لا يرى سواه
كم تغنّى بتاجه وتحدّى الكائنات
أن ترى غير ما يراه!

***

شبت النار فجأة ثم مدت أكفّها فوق أغصانٍ نائحه
فاكتوى الطاووس الذي كان قربي بلفحة النارِ وارتدّ مبصرا
لم يجدْ تاجه على رأسه إذ تبعثرا
ورأى اللوحة الجميلة شاهت مما ابتلتْهَا به النار اللافحه

***

فوق أرض مروِّعة
راح هذا الطاووس يعدو قبيحا وعاريا
وعلى الأرض وردة قد هوتْ إنما سرى العطرُ منها ما أروعه
ورأيت الطاووس يأوي إلى داري شاكيا

***

ينبش الطاووس الفجائي قلبي مفتشًا عن كنوزٍ مخبَّأة
لا يرى تاجه المرصع

لا يرى غير فحمةٍ خمدتْ فوق مطفأة

وبقايا مما تزعزع!!

٩ مايو ١٩١٨٩

وجهها..
قصيدة لاتنتهي

☆ صدرت الطبعة الأولى من هذا الديـوان عام ١٩٨٩ .

الإهـــــداء

إلى أخي وصديقي وأستاذي الكاتب والناقد الكبير رجاء النقاش..
عرفاناً بما أسداه لي ولكثيرين من أبناء جيلي، وتقديرا لكتاباته ودراساته التي أفادتني كثيراً في رحلتي مع الحياة والأدب والفن.

«حسن توفيق»

مفتتح

إن كــان نجـم الثـريَّـا		يبـــدو بليلي قصيـــا
فـــإن فيـــه جمالا		يعيــد قلبــي صبيــا
إذ يـرتـوي القلــب منـه		ولا يعـــود ظميـــا
ومـــن فضـــاء بعيـــد		يبــث همســا نــديــا
يـاعـاشـق النـور رفـرفْ		واهجـرْ ظــلامـا شقيـا
لاتترك الــــروح حيرى		بين الثـــرى والثـريـــا

وجهها قصيدة لا تنتهي

كصفاء نبع الأمنيات يطل وجهك منعشا صحراء عمري اليابسه
تتجدد الأشياء فيها ، تورق الأغصان بعد شحوبها وكأنها انبثق
الربيع مهللا
ويطل وجهك منعشا .. يجتاز بي أعتى المسالك والدروب
العابسه
ويقودني لسماء صفو أشتهي - من نشوتي - أن أنتهي بفضائها
لحنا تسامى للعلا
ليعود مؤتلفا ومؤتلقا يرف على ندى زهراتِ فلّ ناعسه
يبني لديها الفجر من عطش إلى الحسن المتوج بالمباهج منزلاً

***

تأتين في زمن ضنين
تتفتحين .. وتشرقين

يتماوج الإيقاع في خطواتك المتألقه

فيذيبني .. ويحرك الأوتار في روحي التي تصغي له متشوقه

فإذا بعدتِ - ولو قليلا - فالرعود تحاصر الأمل المرفرف في كياني

تلقيه في قفص الضياع معذبا متململا

ويعود قلبي صامتا مستغرقا فيها أعاني

مابين يأس من لقاء ، وانتظار أن يزيح الفجرُ ليلا معولا

***

ويطل وجهك في الخيال

متلألئا بك .. بالجمال

وأراه في كل المشاهد والرؤى متغلغلا

فأقول - مبهور الرؤى - ياوجهها .. ما أبدعك

ألقاك في صفحات كُتْبي .. هامسا: إني معَكْ

ألقاك في أزهار جردينيا .. وفي أجواء موسيقى .. تدندن مقبلا

ألقاك في إغفاءتي الحيرى تنوِّر ضاحكًا وتحثني أن أنفض النوم
القليل عن الجفون
ألقاك في أمواج بحر زاخر ، لاتنتهي إلا لكي تحيا بدايتها
المموسقة الجديده
ألقاك في وهج الضجيج ، وفي الصدى الحلو البهيج ، وفي مدى
عمق السكون
ألقاك في لحن القصيده

***

تأتين في زمن ضنين
تتفتحين .. وتشرقين
كي تؤنسي بالصفو أيامي التي احترقت على جمر السعير بلا مجير
وأراك أعطيتِ الكثير
ولم أُقدم غير قلبي منشدا لك أغنيات الشوق تجتاح الليالي

المعولات الجامحه

أعطيتني حلما .. تفتّحَ في دمي .. وردا بهي الروح .. حلو الرائحه
وكأنه أنفاسُ عاشقةٍ تفيض محبة وتشع سحرا لا يغيب
أعطيتني الدنيا التي أهفو لها رغم التعثر بالصخور الجارحه
أعطيتني الدنيا التي أحيت صفائي بعد تكرار الوجوه المالحه
أعطيتني فرح الحياة .. بها الحبيب مع الحبيب

***

كيف انسللتِ إلى شراييني مع الدم والهواء ؟
كيف انسللتِ حديقةً . . أزهارها لاتذبلُ
وربيعها لا يرحلُ ؟
كيف انسللتِ وكيف آخيتِ الوداع مع اللقاء ؟ فلا وداع ولا
لقـــاء

لكنه زمن أضاء

من بعد يأس قد أضاء

ليعانق الدنيا . . ويُبْدل بؤسها رغدا

ويطل عالمنا بهيا . . يغسل الأرواح في نهر الصفاء بلا انتهاء

ويظل حبي المستفيض قصيدةً لا تشتهي أن تنتهي أبدا

أبياتها تترى . . فلا تحصينها عددا . .

« ٨ فبراير ١٩٨٦ »

يدها .. واللغة الخالدة

يدك البهية في يدي

ياحسنها من زهرة جاد الزمان بها على روحي المحاصرة الظميه

تتفتح الآمال في أوراقها البيض النديه

فأرى نهاري ساطعا رغم الحصار الأسودِ

***

يدك التي أبني بها دنيا من الصفو الجميل

في القرب تؤنسني وعند البعد تتركني لنار الوجد روحًا تكتوي

كم مرة قبلتها . . لكنني لا أرتوي

وأحار فيها حيرة المتحيرين السائلين عن الدليل . . ولا دليل

***

ياحيرتي فيما أرى . . فبلمسةٍ تترقرق اللحظات فيها مشرقه

أدنـو مــن الأمـل البعيـد فـأنفــض القلـق اللحـوح وأطلــق الفـرح الجموح

وبجفوة - في زهوك العتاد - يرتد الطموح

حبلا من اليأس الذي يلتف حولي .. مشنقه

***

يدك البهية كانبثاق النور في وادي الكروم

وأصابعٌ من سحرها الغلاب كم أغفت على أطرافها أحلى النجوم

وعلى مدى يدك البهية كم بدت دنيا الفتون

ويمامتان على الغصون أذابتا روحي فآثَرَتِ التأمل في سكون

***

الله .. ما أحلى اللقاء

يدك البهية في يدي وضفاف أغنية رقيقه

وحفيف ثوبك في الصباح رفيف عصفور يحط على غصون في

حديقـــــه

فيحرك الأشواق فيها للتفتح .. والنماء

٥ فبراير ١٩٨٧

صوتها .. والأماني

صـوتك الـنـاعـسُ الندىّ أتـاني
مسكـــرا كـل خفقــة في كيـــاني
مشرقـا ينفـض الهواجـس عنـي
مـؤنسـا كـل لحظـــة مـن زمـاني
لكـأني أعـانــق الصـوت طيفًـا
يتراءى على ضفـــاف الأمــــاني
لكـأني جســـدتـك الآن شعــرا
كـاشفـــا فيـه سرّ قلــبٍ يعـاني
بعـد أن أضنيتِ الجوانـحَ هجـرا
فـــاحتملـتُ الهوان بعـــد الهوانِ

جئتني بعد وحشة وانتظار

فاستعاد المكانُ حلما سباني

جئتِني والشتاء يسكن روحي

فأشاع الربيعُ أحلى الأغاني

جئتِني فاستعدتُ كل شرود

من أمانيّ وانطوي ماشجاني

أنت روح .. تنير آفاق عمري

أنت بددتِ وحشتي بالحنان

فلتَصُنْك السماء في كل حين

ولتصُنْ وجهك الصبوح المعاني

« ١٢ فبراير ١٩٨٧ »

الثريا .. والمحال

أيها القلب .... ترنمْ
فالثريا تكشف الآن لآفاقك نورًا كان مكنونا خفيًا
والبساتين تعرتْ فتنةً للعاشق الظمآن .. والنبع تبسَّمْ
وأنا في حضرة النور أُغني وأحس الصفو يروي ناظريًا
القلوب الهائمه
مع قلبي تتلاقى .. والغصون المزهرات
تسكر الجو بعطر ماله حد .. ومالي فيه إلا خفقات
والعناقيد تدلت كطيوف الأمنيات
ذقتُ عنقودين منها بشفاهي الظامئه
فتخدرتُ .. وغنت في عروقي لمساتٌ ترتوي مستبشرات

***

ها هي الروح طليقه
ها هي الروح تغني في سكون وابتهال
وخيالاتي تناديني لأرتاد طريقا قرب ينبوع الجمال

إنما العــاشــق يخشــى - في وصــال -أن يضــل الحب في السير طريقه

يَسعد القلب بإيقاع العناقيد الرقيقه
ثم يمتد زمان حجري فيه تُدميه مناقيرُ النصال
حين تطغى ذكريات عن جمال لاينَال
مثل نار تتشهي - فجأة - أن تتمشى بين أشجارِ حديقه
أيها القلب ترنم .. قبل أن يقسو المحال
فالثريا تكشف الآن لآفاقك نورا في لياليك العميقه

***

فجأةً .. حطت غيوم ، وعبوسُ الأفْقِ دمدَمْ
جامحًا .. حين توارى النور مكنونا خفيًّا
قال لي القلب المتيّمْ
مذ نأى وجه الثريا بعد قرب عدتَ للوحشة مكدودا شقيًّا

١٤ فبراير ١٩٨٧

زهــور من القلــب

فاجأتني حياتي بدمع يسيل على الخد في جهشة باكيه
قلتُ: ياربِّ ماذا دهى القلب ؟ يارب مَن عذّبه ؟
ما للجبين الحزين أراه يشي أنك الآن يا فرحتي متعَبه
يا حياتي اسكبي كل دمع بروحي لكي أحمل العبء ياغاليه

***

الدموع لآلىء .. لا تسكبيها على عالم خائب يهزلُ
الدموع زهور كساها الندي
الدموع زهور من القلب لا تقطفيها سدى
إنني .. فدى دمعةٍ منك بالروح لا أبخلُ

***

كم يخوض الأسى في كياني إذا ما رأيتُ الدموع تظل تطلّ
كم يجر الأسى من خواطرَ مشنوقةٍ في دهاليز بالذاكره
فلتكن كانبثاق الشروق رؤاك لكي أجتلي فرحتي إذ تهلّ
ياحياتي .. أطلي ببشرٍ وليس بدمع على مهجتي الحائره

***

الدموع التي انبثقتْ من عيونك كي تستقر بعمق قراري
حاصرتْ فرحتي واستباحتْ نهاري
إنها توقظ الجرح من نومه ثم تمضي به نحو ملح البحارِ
يا حياتي متى يبرأ الجرح ؟ إن دموعك تُدمي وقلبي يُداري

١٤ فبراير ١٩٨٧

البدر وانتظار النهار

تقول خطاي الغريبة إن جميع دروبي تقود إليكِ
ورغم اندفاعي إلى كل درب تمرين منه لكي ترتوي منه روحي الشريده
ورغم الحوار الذي لا يُمل مع النفس عنك وأنت بعيده
أحاول ألا أبوح بأني أغار عليكِ

***

كما مر مجنونُ ليلى على الدار يوما لِيُسمع ليلاه نبضا تدفق شعرًا
أمر على دارك النائمه
وأستنشق الجو في الليل عطرا يناغم عطرا
فأحسد كل الديار القريبة منك وأمضي وتبقى معي لهفتي الساهمه

***

أغار من البدر إن لامسَ الصدرَ والثغر عبر سكون الليالي
فأنت تنامين فوق الفراش الطروب طليقه
ونورٌ من البدر يغمر كلّ غصون الحديقه
وقلبي يدق ويرثي لحالي

***

أعود وقلبي يدق ونجواي تعرف أنك لن تسمعيها
وتضحك صورتك المستريحة فوق الجدار جواري
تـؤكـد أنـك لسـتِ هنـا طـول ليلي .. وأن الفـراغ العبـوس يـؤجـج ناري
فأجمع كل هداياك حولي وأبقى أُجسد حسنك فيها

***

أغار من البدر .. من كل شيء أراه قريبا
وحين تطلين أكتم قهري

وأوهم روحك أني أغني مع الأصدقاء إذا ما تلاقوا ولستُ غريبا
وما من غيوم تحاصر عمري

***

لأن الزهور يحاصرها النحل ما دام فيها عبير يفوح
لأن الحديقة تغفو مع الليل ، والبدر يُقْبل حيث يُقَبل أحلى الزهور
لأن مذاق العناقيد يجذب كل الطيور
أغار عليك كثيرا .. ولكنني لا أبوح

١٧ فبراير ١٩٨٧

هكذا أبحـــر الشـــراع

غنت الروح على وقع خيالاتي البعيده
حين أغريتِ القصيده
بجمال شاعري ، وصفاء يتجلى مشرقا في نظراتك
وبإيقاعِ ربيع هامس في خطواتك
كنت مبهورا ومسحورا من اللقيا كأن الجنة الخضراء تدنو
وكأن الله أحياني لألقَى القلب يحنو
كنت مشتاقا لأن أحيا بأيامٍ ستأتي كوجوه الأمنيات
كنت يا ما كنت .. قلبا لصفاء الروح يرنو
ولوجه تنبع الفرحة من دنياه يرنو صادحا بالبشريات
كنت يا ما كنت .. لكنني أحس الآن ياروحي بأن الوقت فات

* * *

حين أغريت القصيده
أن تغني لك أشواقي لعينيك على شاطىء دنياك السعيده
لم أكن أعرف يوما أن آفاق حياتي
سوف تمتد إليها النار من كل الجهاتِ
فدعيني الآن وحدي خائضًا نار جحيمي
إنني أخشى امتداد النار في قلب النعيمِ
فوداعا أيها النور الذي كنتُ أناجيه صباحا ومساء
ووداعا يا زهور الفل في أبهى حديقه
ووداعا يا أمانيّ التي ضاعت هباء
ووداعا ياصديقه

* * *

أخلع الآن عن الروح تباريح القصيده
بادئاً أخرى جديده

ليس فيها غيمُ ذكرى ، أو وعود بلقاء وانتظار للقاء
ليس فيها صرخة تنعي أمانيّ الشريده
فانظري تَلْقَيْ شراعي يبحر الآن بعيدا عن متاهات العناء
فأنا قلبٌ محب .. إنما في كبرياء

٢٠ فبراير ١٩٨٧

إنها السابعة صباحا

دقت السابعه
الصباح يضج ضجيجا بهيجا وفوق الدروب الخطى مسرعه
التلاميذ في الباص مستبشرون وهم ينظرون بأحلى العيون
باعة الصحف الآن يستعجلون اللقاء الأليف بمن يشترون
دقت السابعه
المسافات ما بين بيت وقصر تدانت ..ولكنها شاسعه
فتيات صَحَوْنَ .. تجملن في غرف ضيقه
ينتظرن الوصول السريع إلي مبتغاهن في صورٍ بارعه
فتيات صحون ... تزين في غرف واسعه
يتسمن لمرأى النهود تشب وتكسو ملامحَهن الثقه
دقت السابعه
رجل دائخ يشتهي بعض أغراضه المقلقه

كاد أن يصرخ البائع المستريب بوجه الرجل
رجل شامخ يشتري كل ما يشتهي دون حد لما يشتهيه
كاد أن يرقص البائع المستجيب لوجه الأمل
باحثا في زحام الرؤى عن شبيه
دقت السابعه
الحياة تغني .. تضج .. تفوح
الحياة .. نداءاتها وإشاراتها .. تستضيء بكل اللغات
اللغات التي تستجيب - بحب - لمن قد يبوح
اللغات التي تعبر الأزمنه
اللغات التي تؤنس الروح في وحشة الأمكنه
اللغات - الصلات
تربط الناس بالناس .. والشمس تفاحة ساطعه
دقت السابعه

وجهك الحلو يدنو بهيًّا وقلبي يسابق وقع الخطى الآتيه
عطش الروح في الليل تطفئه النظرة الحانيه
التقاء الأكف .. محاورة حلوة رائعه
دقت السابعه
الصباح الذي أشتهيه ضجيجا بهيجا وإشراقةً مسكره
التلاميذ في الباص مستبشرون - الصديق الصدوق
زرقة البحر في مهرجان الشروق
اخضرار الغصون - انبثاق الينابيع في واحة مثمره
كلها .. تنطق الآن في وجهك الحلو وَهْوَ يغني لقلبي المشوق
إنها السابعه ..
إنها السابعه ..

٢٢ فبراير ١٩٨٧

الظمأ قرب نبع الماء

حاصر الشوق في التنائي سمائي
فاسمحي لي ببث بعض عنائي
منذ أحببتُك اكتست أمنياتي
من جنون الغرام أحلى رداءِ
مطلقا في كواكب الليل روحي
فأرى وجهك الجميل إزائي
وأراني أبوح والليل يصغي
بالذي ذقت من أسى وابتلاء
كلّ ليل أحاول النوم قهرا
فإذا بالظنون تعدو ورائي

كــــلَّ يـــوم أقـــول ألقـــاكِ قـــربي

يـــرحـــل اليـــومُ ســـاخـــرا مـــن رجـــائي

مبقيـــا لي هـــواجـــس الخوف حـــولي

شـــاخصـــات كـــأعين الـــرقبـــاءِ

فيلـــوح الخيـــال سلـــوى لقلـــب

خـــائض في هـــواك بحـــرَ الشقـــاء

أجتلي في نـــدى الخيـــال لقـــاء

فيـــه تـــأتين جنـــةَ مـــن بهاءِ

حيـــث تطـــويـــن صفحـــةَ اليـــأس عنـــي

وتـــذيبين وحشتـــي بـــالغنـــاءِ

وتبثين في شـــواطـــىء عمـــري

نشـــوة الموج ذائبـــا في التقـــاء

وتغنيين في قصائد شوقٍ
صغتُهَا مرآة لدفق دمائي
وتروحين بعدها في دلال
حيث تمشين مشية الخُيَلاءِ
فإذا نشوة الخيال تولى
وإذا بالأسى يشق صفائي
وإذا الواقع المرير مقيم
في جواري ووجهك الحلو نائي
إنما أنتِ كوكب يتخفى
كي يصد الظماء عن نبع ماءِ

٢٢ مايو ١٩٨٧

بين شكوى وشكوى

كَفّـــكِ الـــوردة اشتكـــت مـــن يـــديّـــا
ورمـــت لـــومَهـــا الـــرقيـــقَ عليّـــا
لـــو دَرَتْ بـــالـــذي يثـــور جموحـــا
في مـدى القلـب مـا اشتكـت من يـديّـا
مـــلء قلبـــي جحيـــمُ حـــب مقيـــم
لـــك يـــا مـــن تستنهـــض الصخـــر حيّـــا
ولقـــــد يطغـــى مـــرةً في لقـــاء
ولقـــــد يترك اللهيـــــب خفيّـــــا
فـــاسعـــدي أنـــت دائما واتـــركـــي لي
مـــا أداريـــه بـــابتســـام المحيّـــا

يـــاحيـــاتي بسحـــر عينيـــك تـــزهـــو

شمـــسُ عمـــري وتُسمـــع النـــاس وحيَـــا

فعلى غمضــــــة العيـــــون سكـــــوني

وعلى صفــــوِ نظـــرةٍ منـــك أحيـــا .

فـــإذا جئـــتِ يصبـــح الكـــون أحلى

وإذا غبـــتِ يشتكـــي نـــاظـــريّـــا

أنـــت ممـــزوجـــة بـــذراتِ روحـــي

خضرةٌ حلــــوة ولحنـــأ بهيـــــا

قبـــل لقيـــاك كنـــتِ للـــروح أختـــا

بعـــد لقيـــاك صرتِ شعـــرا شجيّـــا

٢٢ مايو ١٩٨٧

دعـــوة للحيـــاة

مــــلء عينيـــك خضرةٌ وأغـــان
سحــرهـــا مـــوطـــن لأحلى الأمـــاني
فـــإذا رحـــتُ هـــائما فيهما مـــن
فـرطِ شـــوقـي لاتكبحـي مـــن عنـاني
وإذا ذبـــتُ فيهما فـــاتـــركينـــي
ذائبـــا في عـــوالم المهــــرجـــانِ
وإذا زهـــــوك المحبــــب أوحــــى
لــك أن تســألي اســألي مـــن دعـــاني
قـــد دعـــاني نـــداءُ قلبــي لـــدنيـــا
كــل مـــافيهـــا مشرق بـــالحنـــانِ

مشرق بـــالجلال والسحـــــر حتـــى

لكـــأني فيهـــا هجـــرتُ زمـــاني

نـــاسَيًـــا خنجـــر الـــزمـــان المرائي

حين يهوِى على نبيـــــل المعـــــاني

داخــلا فـــردوسـا مـــن النـــور يمحـــو

بنـــداه الأســـى الـــذي كـــم كـــواني

حيـــث تحيـــا مـــع النـــدى أغنيـــاتي

وتطيـــــب الحيـــــاة بعـــــد الهوانِ

هكـــذا أنـــتِ في وجـــودي حيـــاة

فـــوق هـــذي الحيـــاة تحُيـــى كيـــاني

٢٣ مايو ١٩٨٧

ما بين ليل وليل

لك أن تدسي جسمكِ النضر المغنى في فراشك كي تنامي حالمه
بالأمنيات المقبلات على جياد الحلم هامسة إلى الروح الطليقه
هيا انعمي بالصفو أيتها المنغمة الرقيقه
هيا اهنأى بالنوم .. إلقي الهم .. وانطلقي إلى آفاق دنيا ناعمه
فالليل أقبل ممسكا بوشاحه الشفاف كي يغوي عيونك بالرقاد
وترقرقَ القمر البهي على الشواطىء والحدائق والمدينة في اتئاد
الليل أقبل مُؤْذنا ليمامتين تغنتا طول النهار بأن تكفا عن هديل
في حديقه
أزهارها تتجول الأبصار فيها هائمه
والليل آذن باسماً لبحيرتين من الصفاء بأن تكفا عن خريرهما
المنور والمباح

الليل أغمض باسماً عينيك كي تتشرنقي بخيوطه السكري إلى
أن تولد الشمس الجديده
فيطل وجه النور كي تتفتحي كالزهر في مرح على مرأى الصباح
ونُعانقي الدنيا الوليده

* * *

الليل أقبل .. فلتنامي
ودعي التأرجح في حبال الفكر لي وحدي وقري في فراشك حالمه
ودعي خيالك يوقظ الدنيا بطلعته أمامي
متلألئا في كل ما حولي يحاصرني ويضحك حين يحرمني منامي
لأجوب بالأفكار أعماق الظنون الغائمه
وأسائل الأعماق عنك وعن أمان صائمه
الليل أقبل .. ها هنا
الليل أقبل موقظا شوقي إليك بلا انتهاء

هل تعلمين الآن بالعطش الملحّ إليك ياشمس المحبة والصفاء؟
هذا خيالك .. هل جنى
أم أنه حبي الذي يمتد في عمق السماء
يمتد في لهف الغريب وأنت نائمة منعمة ليهمس في أسى:
عَطشي إليكِ بلا ارتواء؟

١٥ مارس ١٩٨٦

العـــودة للنبــــــع

عاد لي مَنْ أصطفيه
باسطا كفا نديّه
باحثا عن كوكب كان مشعا بالأغاني في ليالينا الصبيّه
سائلا عن دفء دنيا كانت الأزهار فيها بشذاها تحتويه

***

عاد لي من أصطفيه
يفتح القلب لنبعٍ كان يسخو ذات يوم بعطاياه البهيّه
فإذا النبع يلاقيه بصمت بعد ما جف وغاض الماء فيه
وانطوى يبكي فراديس الصفاء السندسيّه

***

ها هو النبع – الضحيّه
كان يوما يتثنى ضاحك الوجه ورائق
بين أشجار الحدائق

ها هو اليوم غريب يتلوى تحت أقدامٍ لأشباحٍ خفيّه

***

عاد لي من أصطفيه
عاد .. لكـن حنان النبع أدمـاه اغتراب فارتمت فيـه أمانيه التـي تشكو الصدود
عاد .. لكن زمان الصفو شقته الرعود
عاد .. لكنْ لم يجد إلا حطاما يجتليه

***

ما الذي يبديه قلبانا إذا ما هاجر الطير لكي ينسَى حديقة ؟
هل تُرى نحيا الحقيقه ؟
أم نداري يأسنا خلف قناعٍ زُخرفت فيه أمانينا الغريقه
بعد ما يجتاحنا طوفانُ وهمٍ يتراءى جارفا أيامنا في جوف آبار سحيقه ؟

١٦ مارس ١٩٨٦

إشـــراقة

افتح الباب .. فنور الصبح آتٍ بالمحبه
افتح الباب لدنياك بقلب أورقت فيه الأماني والبشائرْ
إنها تفتح في الصبح ذراعيها لترعانا .. فعانقْها .. وغامِرْ
ربما يُفلح مسعاك على الدرب فترضى أو تشوب السعيَ خيبه
فإذا خاب فغامرْ مرة أخرى وثابرْ .. ليظل الركبُ سائرْ
ربما تلمس شوكا من عيون الآخرين
مشرعا يدمي أمانيك فلا تجزعْ ولا ترجعْ عن المسعى النبيل
وقتها تنساب موسيقى وتُنْسيك الأنين
وقتها تقطف وردا
ربما ينصبّ إعصار من الحقد فلا تعبأْ بمن قد صبَّ حقدا
وتدثرْ بأمانيك إلى أن يمحق الحقُّ خطى الحقد الوبيل
فتبث الناس ودا

* * *

أيها القلب المحاذرْ

افتح الباب .. وقل للاصدقاء الخائفين

لم يعِشْ من يغلق الباب عن النور ولم يلحقْ بركب السائرين

لاتقل إن قلوب الناسِ ضاقتْ بسواها وَاستطابت أن تناورْ

لاتقل إن أمانينا أبيحتْ فاستبيحت وافتحِ البابَ وغامرْ

لاتقل إن رياح الحقد يوما أغلقتْه

وبأنياب أفاعيها الدواهي حاصرته

افتح الباب وجاهر بالأماني والبشائر

افتح الباب .. فنور الصبح آتٍ با لمحبه

ربما يفتح إنسان بدفء الحب قلبه

ويفيض القول شهدا

وقتها .. تقطف وردا

١٨ مارس ١٩٨٦

عندما يحاصرنا الحب

أكاد أحس الآن أني مطوقُ
بزهراتِ فل من بهائك تعبقُ
وفي الروح موسيقى تضيء نجومها
إذا جئتِ تنسابين والنبع يدفقُ
فأنت ربيع زارني متفضلا
وكنت أظن العمر يمضي ويمرقُ
حبيبة .. إن الشوق خائض أبحرٍ
عميقة أغوار .. تموج وتُغرقُ
ففيضي حنانا .. إنني فضتُ لوعةً
على ما مضى يوما ولم أكُ أعشقُ

تسربـــتِ في فكـــري فبـــتُّ محاصرا

بطيفـــك والحلــم الـــذي راح يغـــدقُ

أيـــا واحـــةً أنســـت حيـــاتي شجـــونها

وأضفـــتْ على الـــروح النضـــارة تشرقُ

تعـــالي أعيـــديني صبيـــا مهـــومـــا

بقـــرب فـــراشـــاتٍ تكـــاد تشقشـــقُ

تعـــالي لتحيـــى مـــابقـــى مـــن المنـــى

فتخضر صحْـــراء الحيـــاة وتـــورقُ

تعـــالي فـــإني - مـــذ حبيتـــك - شـــارد

صبـــاحـــي منـــاجـــاة وليلي يـــؤرقُ

١٤ ديسمبر ١٩٨٤

عندما باح الجمـــال

بـــاح الجمال بما أخفـــاه مـــن سحـــرِ
فـــاستيقظـــتْ يـــاحيـــاتي نشـــوةُ العمـــرِ
طـــابـــت لمرآك أيـــامـــي التـــي شربـــتْ
في ظـــل لقيـــاك مـــن كـــأس بـــلا خمرِ
كـــأس مـــن النور طـــول الليـــل تسكـــرني
وفي الشروق تـــزف الـــروح للشعـــرِ
فـــالصفـــو مكتمـــل مـــذ عـــدتِ مطلقـــةً
سرب الأمـــاني على إيقـــاعـــك السحـــري
أنـــت التـــي نُقشـــتْ في القلـــب صـــورتها
سيـــانِ في القـــرب أو في وحشـــة الهجـــرِ
كـــم وردة بـــدمـــي رويتُهـــا ورأتْ
مـــن ظلمهـــا حَجْبَ أجوائي عـــن العطـــرِ
وجئـــتِ أنـــت فجـــاء العطـــر أجمعـــه
وازدانـــت الـــروح بـــالإشراقِ والبشرِ

هـــذا جمالــك يبــدي السحــر في خجــل
وكـــان مـــن قبـــل يستخفـــي بما يـــدري
هــــــذا جمالـــــك مجلـــــوا يحاورني
وكـــان ينثـــر أشـــواقـــي على الجمـــرِ
غَنـــــــى اليمام على أرض منعمـــــــة
الـــزهـــر يسطـــع في أرجـــائهـــا الخُضر
غنـــى اليمام فـــــروحُ الأرض أغنيـــــة
بيضـــاء مـــن دنـــدنـــات الطير في الفجـــرِ
أهـــواكِ مـــا عشـــتُ نبعـــا بـــات يغمـــرني
ويغســـل النفـــس مـــن حـــزن ومـــن قهـــرِ
عينـــاك كـــم قـــادتـــا قلبـــي إلى جـــزرٍ
فيهـــا الصفـــاء ينـــدّى أضلـــع الصخـــرِ
وهـــا هنـــا جـــادت الـــدنيـــا بخضرتها
مـــذ عـــدتِ نبـــع جمالٍ نـــاصـــع الطهـــرِ
٢٨ أغسطس ١٩٨٦

حنين

أحـــــــــن ... ويكبر فيّ الحنين
ونـــار مـــن الـــوجـــد ليســـت تبين
أرى مـــن أراه بـــوجـــه بشـــوش
وفي عمـــق روحـــي حـــريـــق دفين
وألقـــاك .. أخفـــي الـــذي لا يسر
ويبـــدي لـــك البِشرْ قلبـــي الحزيـــن
وأبقـــى أســـائل نفسي إلى كـــم
أبـــث شجـــوني ولا تسمعين ؟

***

تصـــديـــن زهـــوا إذا مـــا نطقـــتُ
وتبـــديـــن نـــأيـــا إذا مـــا اقتربـــتُ

وكنــت تثيريـــن شعـــري بسحــــرٍ

يفيـــض دلالا إذا مــــا سكـــتُّ

أهـــذا جـــزاء المحـــب إذا مـــا

تـدفـق حبـــا .. فقـــال: عشقـــتُ ؟

لئـــن هبـــط العـــاشقـــون لسفـــحٍ

فحسبـــي بـــأني بحبـــي سَمَـــوْتُ

***

يطـــول انتظـــاري لمشرق سحـــرِكْ

وهمســـــة ود تنير بثغـــــرِكْ

فـــأشكـــو إلى صـــورة في الجدار

وأكتـــم شجـــوي بخصلـــة شعـــرِكْ

ويـــدني الخيـــال هـــديـــلَ اليمام

لسمعـــي ويـــدني شراعـــي لبرِكْ

وكرسيك الفارغ المستجير

يئن أنينَ غريقٍ ببحرِكْ

***

تثر زوابع صدك ضدي

وأبقى أحبك ، يشهد سهدي

وأبقى أناجيك رغم التجافي

ورغم العناد من المستبدِّ

فوجهك عندي ربيع يطل

ليكسو الصحاري حدائقَ وردِ

وطيفك عندي ملاك يهل

فيؤنس روحي بأنبل ودِّ

٥ نوفمبر ١٩٨٦

حوار بين وردة
وغصن وشجرة

وردة أطرقت تسأل الغصنَ حائرة باكيه
أيها الغصن قل: هل سأسقط إن مرت الريح مجنونة قاسيه؟
غصنُها قال - في قلق ساخر - ربما تسقطين
ليس هذا مهما .. فغيرك أبهى ستولد مبهجةً للنظر
ثم قال لها مشفقا بعد تنهيدةٍ لا تبين
ربما تعبر الريح قربك ناعمة أو تلين
ويحييك قطر الندى بعدها ذائبا في حنين
مطلقا حولك الفرح المنتظر
فتفيضين حسنا تقر به أعين العاشقين

***

أطلق الغصن من خوفه يأسه

سائلا نفسَه
هل سأُكسر إن مرت الريح مسعورة أم سأبقَى ؟
هل ستشمت بي وردتي إن كُسرتُ ولم تسقط الوردة العطره ؟
ليتني كنتُ في باطن الأرض جذرا لأبقى وأزداد عمرا وعمقا
... وهنا سمعتْ صوتَه الشجره
قالت الشجره
أيها الغصن لا تبتئسْ .. فمصيرك نفس مصيري .. أنا الشجره
ربما تخلع الريح جذعي ، وقد أُنقل الآن من موطني صاغره
أو أُقطّعُ .. ثم أجمّع .. آه .. خيال المسامير يبدو أمامي
صارخا: لن تَرَىْ راحة .. لن تنامي
حينما تنفذ الطعنة الباتره

....

إنما - أيها الغصن - أنتَ تراني أغني
رغم طعن الظنون تراني أغني

* * *

شكت الوردةُ الهمّ ملتاعة ، وشكى الغصنُ من بعدها قَدَره
إنها الشجره
أطلقتْ ضحكة رغم شكوى الصغار
واحتوت قبضةُ الريح باقي الحوار

* * *

ها هي الريح قادمة من بعيد
وجهها عابس مثل وحش عنيد
تعصف الآن بالذكريات وتهزأ من موكب الأمنيات المضيئه
تكنس الورق الساقط ، الورق المستباح لأية ريح تجيء
والظلال الخبيئه
تكتم السر كي تستمر الحياة بقلب البريء وقلب المسيء
تكتم السر كي تستمر الحياه
غنوةً حلوة فوق كل الشفاه

« الأحد ٨ مارس ١٩٨٧ ».

الخليــــج ..
والصبي الذي كان

غاصت الشمس غارقةً في مياه الخليج الدفيء
الغصون عيون .. أطلت تطالعها أو تشيعها بالحفيف
والطيور مضت نحو أعشاشها في انتظام رهيف
وعلى الشط رَفَّ جناح شفيف
حاملاً نورسا حائرا .. ليس يمضي وليس يجيء
النهار انتهى ها هنا .. والنهار هناك يضيء

***

ها هي «الدوحة» الآن جوهرة نورتْ في هدوء المساء الرقيق
ها هي الجوهره
تستحم بنور المصابيح .. أو تستجم انتظارا لنور القمر
والسماء التي انعكستْ فوق سطح المياه اكتست بالجلال العميق

السماء اكتست فضة مزهره
فضة برعمت أنجما حلوة النبض .. لكنما ليس فيها بشر
ليلة هادئه
الوجوه تلاقت على الشط في ظلها هانئه
إنما -فجأةً- شقها صوت سيارة لاهيه
فاستحال السكون دوائر دوامةٍ قاسيه

***

الخليج اختلاج بسر القلوب التي لاتبين ، وسر السنين
تحت سطح المياه
سمك خائف بات يرجو النجاه
سمك يخسرُ العمر والبحر إذ يسقط اليومَ أو في غدٍ في كمين
والحصى في القرار يجيش بها في القرار الدفين
الحصى في القرار أجش الرنين

***

أيها الموج .. يامن تعانق شط الخليج الدفيء
كم تَرى ها هنا من صبي برىء
يسمع الآن أقصوصة حلوة أو يفتش عن لعبة ضائعه
يسأل الآن عن ربعه الغائبين
يدهش الآن من مشيتي الوادعه
في وقار حزين ..

***

الصبي البريء
كنته ذات يومَ وكان الندى في شفاه الزهور يلامس قلبي
كنته يومَ كنت طليقا بدربي
كنتُه يومَ عشت زمانا بنور المحبة - في ليله - أستضيىء
الصبي البرىء
خنتُه دون قصد وخنتُ الندى في شفاه الزهور
خنته حين بالصخر حاصرتُ قلبي وأقمار حبي

حنته حينما انطلقتْ صرخةٌ لم أعرْهَا اهتماما .. وما من معين
و ارتضيتُ المسير بثلج الفتور
ذابحا خطوتي بالوقار الحزين

***

الصبي البريء
كنته حينما القلب كان ثريا بدنياه .. لكنني خنته
حنته حين عشت الزمانَ الرديء
حنته حين قلت لمن أدمنوا النبش في عالمي إنني عفته
وارتضى الكل بالزور ما قُلته
فقتلت الصبيَّ الذي كنته ..

« السبت ٢٨ فبراير ١٩٨٧ »

حصار الوجوه القديمة

صمت الظهيرة جثة منكوبة تطفو على سطح الحياة الراكده
ووجوه أحبابي أطلت - في هدوء - من نوافذ في جدار الذكريات
لتحيط بي رغم الشتات
وأنا هنا مستسلم كقطارِ حزنٍ نائح يطوي السنين الخامده
والوهم فوق المائده
طبق يقدمه الذين تجمعوا ليؤجلوا عزفي للحن الأمنيات
يا للوجوه الجامده
تشتاق تدفعني لكهفٍ شاده الزمن البعيد من الرمال الناعمات

* * *

يا للوجوه الجامده

وجه لحب لم يُطِقْ صبرا على الريح العتية فانطوى .. ثم انكسر
وجه لصدق لم يطق صبرا على الزمن المراوغ فاكتوى حتى اندحر
لتواصل السحب المريبة مكرها في سيرها
وجه لشمس لم تطق صبرا على صمت الظلال الشائهات البارده
فتفتتت من قهرها
وجه للحنِ لم يطق صبرا على صخب السماسرة الأكابر.. فانتحر
وجه لورد لم يطق صبرا على مستنقعات أطبقت واستحكمتْ
فاصفر لونا وانتثر

***

هذى الوجوه جميعها .. جاءت هنا - بعد الغياب - تحيط بي
رغم الشتات
هذى الوجوه جميعها .. وجهي أنا .. قبل احتراق الروح في وهج
المظاهر

هذى الوجوه جميعها .. كانت لكم .. لكنكم عشتم على الأرض الموات

وتفرقت بكم المطامع والمسالك والمعابر

* * *

صوت يقول لموجة العمر التي تمتد عبر الشاطىء الملتف بالصخر

المموه والزبد :

« .. استيقظي .. لا تتركي خلجات قلبك عالقه

في ذكريات غارقه

وتأكدي .. أن لا أحد

يبكي عليه الآخرون إذا تراجَعَ وارتعد

فالريح تدفع بالنفوس إلى مطامعَ شاهقه

كلٌّ يفكر وحده .. كيف النجاة إذا سقط ؟

كيف النجاة .. ولا يد تمتد صادقةً إليه إذا تخلف من عياء أو

تخوّفَ من غلط

لاتجفلي ياموجه العمر التي تتوثبُ

لا تجفلي .. إذ ليس من أحد يعين ولا سند

وتأكدي.. لا موجة في بحرها لا تتعبُ

لكنها تبقى تواصل سيرها رغم الكمد

وتأكدي أن الطريق ينيره الضوء الجديد

للسائرين مع الحياة ، الطامحين إلى الامام ، بلا تخاوف من سقوط

وكأنه الأمل الوليد

يأتي .. ليخنق ما ترسبَ في النفوس من القنوط ..»

***

والآن .. أيتها الوجوه

الآن .. أغرق في سؤال حائر ، يتجمع الأحباب كي يتقاذفوه:

من أن نبدأ .. والطريق مهدد بخطى وحوشٍ لم تزل تتوعد

البسطاء والنبلاء منا ؟!

من أين نبدأ .. لايد تمتد صادقةً ولا عقل يشير إلى الطريق ؟
من أين نبدأ .. قبل أن تتحول الأيامُ عنا ؟
من أين نبدأ .. قبل أن يجتاحَنا أعتى حريق؟

«٧ مارس ١٩٨٦»

قصة الطوفان..

من نوح إلى القرصان

☆ صدرت الطبعة الأولى من هذا الديــوان عام ١٩٨٩ .

الإهـــــداء

إلى جمال عبدالناصر

في عهـدك تعلمـت بفضـل مجانية التعليـم الجامعـي التـي منحتهـا لي ولأمثـالي منذ أن طبقـت شعـار د. طـه حسين «التعليم ضروري كـا لماء والهواء».. وفي عهدك ارتويـت من ينابيع الثقافة بفضـل عاشقها الكبير والمستنير.. الكاتب الفنان د. ثروت عكاشة.

«حسن توفيق»

هي والعالم

لو أنها تصفو لنا الدنيا وتبتسم الوجوه - إذا تلاقت - للوجوه
كصفاء بسمتِكِ النبيله
لو أن كلَّ الناس في الزمن المروِّع قاوموا الظلم الذي كم هادنوه
وترفَّعُوا حيناً كما تترفعين عن الوشايات الدنيئة والرذيله
وتعلموا أن ليس للإنسان من سعى على صخر تبرقع بالطحالب
إلا بأن يتساند الحشد الطموح محطما أعتى العوائق والمصاعب
لو أن عالمنا الكسيح يساندُ السعداء كل قوافل التعساء فيه
لو أنهم يحيون بالقلب الذي لم تحبسيه
في سجن ذاتِكِ فالتقوا متآلفين مع المحبة والتآخي والسلام
لو أنهم قهروا الظلام
كسروا أواني الزور واخترقوا حصار الخوف في ليل الترصد والمكائد

لو أنهم عرفوا التوهج في البداية والتأمل في انحدارات النهايه
وتتبعت أبصارُهُمْ صُوَرَ المخاوف في الروايه
لتحلقوا حول الموائد
بسطاءَ يلقون التحايا دون أن ينسوا أحدْ
وتنفسوا رغم اندلاع النار أشعلها الوباء
عبقَ المودة والنقاء
كنقاء وجهك في الغروب على شواطيء تستجم وتستحم مع الزَّبدْ
لو أنها تصفو لنا.. لو أنهم ... لو أنهم
لو أنهم هزوا جذوع النخل فانْفَرطَتْ ثمار
وتقاسموا كل السنابل واجتنوا الرطبا
وتدفقوا صوب النهار
وتقاسموا التعبا
وأتوا هنا متعانقين وقد أزاحوا سجنهم
لو أنهم شُغفوا بنا فسعوا لمن شَغفوا

لو أنهم عرفــوا
لخرجتُ من سجني إلى ضوء النهار مع الصحاب الخارجين
لهجرتُ شـــــرنقتي
وطويتُ أشعار التغرب والكآبة راضياً فاستبشرتْ لغتي
وتبددتْ سحبُ الأنين
فهتفت إني أعشق الدنيا التي تصفو لنا وأجوبها متهللا
وأذيب إيقاعاتها السكري وأمزجها بعطر الروح في عصري السعيد
وأحب أشرعةَ الحياة تلوح في عرض الزمان على مدى الأفق البعيد
وأحب كلَّ الناسِ.......
كلَّ الناسِ ....
في الزمنِ الجديدِ.......
كما أحبك... ياحبيبه

«٣٠ يوليو ١٩٧٦»

في القلـــــب

أرحــلُ مــن أرضٍ إلى أرض.. وأتقــي السقـوط في الطــريــق رغــم وطأةِ الهجير

لأنَّ مـن أحبها.. تحب أن تـرى معـي جـوهرةً صفـاؤهـا ليـس له هنـا نظير

أبحث في البحر وفي الأرض وفي السماء

أفتش الهواء

أسائل النفوس في مجاهل الأهواء

أحاور الأشياء

لعلها تدلني.. فكم بحثتُ مرهقاً وسرتُ ماوجدت

عدت كما بدأت

فلست لصًّا بارعاً ولم أنافق الكبير

ولم أقـل للكـاذبِ المخمـورِ... أنـتَ صادقٌ ومـؤمـنٌ وللسـوادِ أنـت أبيضُ

مقبلا أحذية الطغاة في ذل الأسير

ورافضا مايرفض السادة لا ما من قرار القلب يُرْفَضُ

وبينما كنت أعود في الطريق صامتا

منتظرا أن ألتقي بها جنٍ أراه مُعوجَّ اللسان شامتا

أطل وجه حانقٌ من المدى المحزون

سمعتُه يقول رغم الصخب الملعون

«يا شجر الزيتون

في العالم المجنون

سيخلق التجار والفجار ما لا تشتهون

وينشر التضليل بالتطبيل مايرددون

لأنهم يدرون

بأن ماتحبه نفوسكم ليس سوى المظاهر المجوفه
يومئذ يرى البشر
وجوههم في الطين إذ يلملمون أقبح الجواهر المزيفه
ويسقطون في الحفر
مكابرين يقرأون السور المحرّفه....»

***

غاليتي يا من رأتْني باحثاً رغم الضنى مثابرا مسائلا
يافرحي الآتي .. ويا مصباح روحي ياحبيبه
في حوزتي جوهرةٌ لم تشهديها رغم أنها منوّره
جوهرة رغم الضنى أحملها دوماً معي
أغلى من الجواهر التي مع التجار والفجار والسماسره
لأنها لم تقبل التزييفَ مرةً ولا ارتضتْ لها ركناً بظلِّ غابةِ الشره
فلتشهدي غاليتي.. جوهرتي تلك التي ليس لها نظير

ولتبعديها عن عيون الزور والحساد في المنازل المجاوره
ولتفتحي لها الطريق بالحنان كي تنير عشَّنا الأثير
فإنها قلبي الذي أحبَّكِ الحبَّ الكبيرَ رغم ماتثيره الزوابع المناوره

«٣٠ يوليو ١٩٧٦»

الضفاف والأشرعة

إني افتقـدتُـكِ وانتظـرتـك مثلما انتظـرتْ ضفـافُ النيـل أشرعـةَ
الأحبة منذ تولوا غائبين
فتسـاءلتْ : هـل ياتـرى تتكاثـف السحب البليـدة فوقهـم أم أن طير
البحر يؤنسهم
فمهما يكن من أَمْرِ غيبتهم سنبقى في انتظار موحش طول السنين
وحنان قلب الله من علياه يحرسهم

***

لو سرتِ في قلبي الذي يلهو به الزمن الضنين
لوسرتِ في كل الشرايين التي تمتد من قلبي إلى أطراف جسمي
لعرفتِ مامعنى الحنين
وعرفتِ أنك كوكبي الشادي الذي ناجاه حلمي

***

كل العصافير التي تصحو على إيقاع نورٍ مؤنسٍ في كل فجر
أصحو كما تصحو فتلقاني وألقاها وأسمعها وتسمعني
صـوتي غـزالُ تـائهٌ وأنا بـأتـربـة الأسـى أتـأمل الأفـق البعيـد وأقلـق
الموتى بِشِعر
فغيوم ليل التيه – رغم النور – تسكنني

***

ضحكاتُ أشرعةٍ تلُوح فيا ضفافَ النيل غَنِّي واسعدي وتطيَّبي
الغائبون أتوا على وقع التشوق والنهارُ أطلَّ يضحك فاطربي
ودعي الترقب لي فقد أضنى الكيانَ ترقُّبي
وحدي يعود الليلُ في عجلٍ إليّ وها أنا أرنو طويلاً للسماء لعلَّ
يقبلُ كوكبي

«٢١ يوليو ١٩٧٦»

بالحب أحضنكم وألعنكم!

بالحب أحضنكم وألعنكم فأنتم تنبشون الأرض بحثاً عن كنوز
وأظل ألقاكم بأرض أثقلتها الأوبئه
يا من سكنتم في الرئه
فلتسألوا عمّا يجوز ولا يجوز فليس من حي على الدنيا يفوز
إلا بذكرى منبئه
عمن تألفَ أو تخاصمَ أو تزلفَ للزمان
وتغوص في النسيان ذكرى أسرعت خطواتها نحو الضياع بلا لسان
فتقاسموا - طول الحياة حياتكم - كلَّ الذي معكم وعيشوا هانئين

ولتبحثوا - رغم الضياع - عن القلوب المدفئه
في بردِ هذا العالمِ المجنونِ بالدم والمظاهر واحتشاد الزائفين
ولتحذروا - يا إخوتي - أن تغرقوا في الأوبئه
الفقر - فقر الروح - شقَّ جلودَكم طول السنين
فلترجموه بما تبقى من ترانيم الأخوّه
وتعانقوا فالحب قوّه
إن لم تحبوا بعضكم فلتسقطوا عَفَناً بقرب الميتين الغابرين

«٣١ يوليو ١٩٧٦»

الوهـــم

في الليل أجنحة ترفُّ مع السكون ولا تُرَى
وأحس حين تداعب النسماتُ أوراقَ الشجر
أني سألمسها
لكنها تبقى تَرفُّ.. وتعتلي أقصى الذرى
فأقول عَلّ هناك أجنحة سواها في أقاصي الليل تؤنسها
وأظل أحلم أن أراها حانقا لسماع أصوات التطاحن والبشر

***

تجتاز ذاكرتي أقاصي الليل راحلةً إلى شط تشرنَقَ بالغروب
أتذكر اللون النحاسيَّ الحزين يلوِّن الموج الذي اشتبكت خطاه
فأمد كفي في المياه

متأملا في لونها والصمت تملؤه الثقوب
و إذا بها بيضاءُ فالشمس الخبيثة تخدع البصر الذي شابت رؤاه
وبرغم ما يُعْيي الرؤى مازلتُ أسعدُ با لمياه وبالتفتح للحياه

***

وأظل في وهمي الجميل
متحرراً من ضجة المذياع في البيت المجاور والتطاحن في الطريق
وترفُّ أجنحةٌ ولونُ الموج شرنَقَه الغروب بعمق ذاكرتي يفيق
وأنا أهَوِّمُ في الفراغ فلا حدودَ لمن أفاق وشفَّ في الليل الطويل
إلا إذا انهدم الجدار وقوّض البيتَ الحريق
وسجدت للعصر المزلزل والأكابر والقرود وليس هذا بالقليل

***

ياصاحبي لن ترتوي رغم اشتياقك للمزيد
فاهدأ ودعني هادئا

ودع الرجال الفارغين يفتشون و ينبشون الطين في نهم بليد
كل الكنوز سترتمي في قبضة الطوفان حيث يدوسها مستهزئا
نهر السعادة دافق متجدد لكنه - ياصاحبي - أبداً بعيد
فإذا اقتربتَ فإن صوت الموج ليس سواه ماستظلُّ تسمع لو
تريد!!

«٣١ يوليو ١٩٧٦»

قصة الطوفان من نوح إلى القرصان

(١)

شتاء شائك يعدو على الطرقات منقضًا بأنياب فجائيه
تَدَفّقَ سمّها الناريُّ طوفانا يحاصر رحلة الأجيال للآمال
وقاهرة المعز تئن، والطوفان مكتسح شوارعها الترابيه
وفي مدن القنال تموت صيحتُنَا الفدائيه
لترضَى الناس بالأغلال
وتبقى الأرض مزرعةً يروح حصادها الغالي لمحتل يدنسها
فكيف تُرَى نواجه في المدى الدامي أحبتنا
وروح الحق مغتصبه؟!
وكيف نطيق أنفسنا
ونحـن نـرى على الطـرقـات طَلْقـاتِ الـرصـاص تمزق البسطـاء والطلبه؟

***

هـو الطوفـان أطلـقَ موجُـه النيرانَ تقتحم السفينـة في تـأرجحها وليـل
الرعب يطوينا
وكـان لنـا ربـابنـةٌ تَـوَحّدَ بعضهـم فينـا وأبقـوا صـوتهم معنـا.. لكـي
يجدوا لنا أطواق
وبعضٌ منهم انتحروا
وغامر بعضهم بالنهب مغتنمين رعب الناس في أرجاء وادينا
إلى أن غـاب أغلبهـم بما نهبـوه واجتـاحـت سفينتَنَـا ريـاحُ الموت
تأمرها بأن تنساق
بمن فيها.. وقد قُهروا
وعند تَطَلّع الدنيا إلى ميلادها الثاني تواثبَ ثائرٌ عملاق
على باقي الربابنة العتاة وقد تراخوا رغم سطوتهم وحنكتهم
فألقاهم بمن معهم إلى الحيتان في الأعماق
وأنستنا مخاوفُنَا ملامحَهُمْ فلم نفزعْ ولم نجزع.. لغيبتهم
وراح الثائر العملاق يمضي بالسفينة دون أن تعيا له همّه

وظل يواجه النار التي اقتحمت سفينتنا ويلعن من بنا لعبوا
ومن بالأمس قد نهبوا
وبعد توهج الشمس التي كانت محجبةً .. تحول ظلّه خيمه
تحيط بنا وتأسرنا وجال كما يشاء ليحشد الأتباع والأعوان
فأصبح وحده الرّبان
وقال لنا صحابته انظروا هذا نبي الله نوح جاء ينقذكم من النيران والمحنِ
مباركةٌ سفينته التي كانت سفينتكم.. فنحن اليوم إخوتكم
أتينا كي نخلصكم ونغسل جبهة الوطنِ
أتينا كي تطل اليوم فرحتكم وعزتكم
أتينا كي يرى الحق الذي لّى طريقَ رجوع
فأنتم معشر الفقراء أورثكم إلهكم المعظم كل أرض الله كي تحيوا بغير خنوع

***

وراح الثائر العملاق يبحر في محاولة النجاة بنا من الأخطار
تجاه الشـاطـيء الغربيِّ لكـنَّ التماسيـح التـي انطلقـت مباهيـةً بكـل
هياجها الضاري
تدافعت المطامع في ملامحها وكادت أن تمزق صدره العاري
إلى أن عاد ثائرنا وقد أوهَتْ جوانحَه وساوسُ من يرى إعصار
وعدنا بالدم الجاري
وكان عليه أن يمضي وقد صقلت عزيمَتَه سواعدُنَا الحديديه
فراح يجرِّبُ الابحار
تجاه الشاطيء الشرقيِّ حيث رأى مساندة لوجهته الربيعيه

***

سفينتنا على الأمواج طافية تبارك سيرَهَا روحُ من الأملِ
وأشواق إلى شط يلوح لناسها البسطاء
سنبلغه لكي نبني وكي نجني من الثمرات مانرجوه بالعملِ
سنبلغه مع الرفقاء

سنبلغه ، ونمطرُ ناصرَ الفقراء بالقبلِ
ونسعد نحن بعد شقاء
....
تعالت صيحة الفقراء في فرحٍ بِثَائرها فكم لاقَى قراصنةً...
وما اهتزت له شعره
وكم لانت له صخره
ونحن نراه يقتحم الصعاب ليخرس السفن الصغيرة في انطلاقتها
ويسهر كي يوجهها إلى شطئان غايتها
ولكن مرت الأعوام، والطوفان يبعدنا عن الشط الذي نرجوه
وأفواج من القرش اللعين تظل تتبعنا
وحقد الليل والماضي براوغنا وَيُرجعنا
فصاح الثائر العملاق إنا قد تراخينا وكدنا في الظلام نتوه
وفوجئنا بأذرعةٍ بعرض الشاطيء الغربي تعصرنا.. وأن
الأخطبوط يعرقل الإبحار

ونحن نغوص في دمنا وننزف أنبلَ الأشواق
وأين الثائر العملاق
لقد همدت جوانحهُ ومات مكللا بالدمع والصرخات والأشعار
وفوق ضريحه المحزونِ فاضتْ أدمعُ العشاق
وبعد رحيله الفاجع
تراءت جوقة الغربان
وَهَنَّأَنا الجواسيسُ الذين أتوا من الكهف القديم إلى سرادق
حزننا الجائع
وقيل لنا - بصيحةِ شامتٍ لزج - لقد ألقَى بكم زمناً إلى الشيطان
فلا تبكوه أو تحيوا لنا ذكراه بعد الآن !!

(٢)

وظل الناس مرتجفين في دوامة المحنه
وقيل لهم سنأوي بعد عثرتنا إلى جبل سيعصمنا من الطوفان
نُعَمِّره بما فينا من الإصرار والايمان

ونجعل أرضَه الجنه....
تزاحمت الرؤى سحباً مقامرةً ولا مطرٌ سوى الضوضاء والتضليل
ولازرع سـوى الأحجـار، والغيـلانُ تنهـش مـاتبقـى في ضفـاف
النيـــل
وجيىءَ لنا بقرصانٍ لئيم الطبع عصبَنَا ليمضي بالسفينة في مدى
يمتد للغيبِ
فتهنا في سفينتنا التي صارت سفينتَه
ولم نكشفْ من الأخطار والأحزان سيرتَه
وإن كنا تنبهنا بأنا لانتابع غير وجهة من قد اتجهوا إلى
الشطئان في الغربِ
***
تغيم ملامح الأشياء
وسيدنا يقامر ثم يسترخي بخلوته ليخفي وجهُه الشبهه
وتبقى الشمسُ جثةَ ميتٍ تلقى روائحها على أطماعه الجوفاء

وترهقنا سفينتهُ المخوخة الجوانب دون أن ندري لها وجهه
وزوجتُه تلاطفنا بأثوابٍ مزخرفة لتلهينا عن السرقه
وتمنحنا هديتَهَا لقاء عبادة الأوثان
وتفحصنا بنظرتها لنشكر نظرة الشفقه
فننذر عمرنا قربان
وتمضي في العباب بنا سفينته فنلعنه ونحن نُقَلِّبُ البصرا
فلا نلقَى سوى الطوفان
نحاول أن نرى شجرا
ولكن لم نجدْ إلا الخرابَ وظلّ عسكرِ عصبةِ الطاغوت والبهتان
نحاول أن نرى بشرا
ولكن لم نجدْ إلا سماسرة جبابرة أضاعوا جوهر الانسان
نحاول أن نرى معنا سُدىً قلباً يدقُّ وما يزال منوّراً نضرا
ولكن لم نجدْ إلا التغضن والتعاسة تُلبس البسطاء ثوبَ هوان
نحاول أن نرى الدنيا ولكنّ اللصوص تناهبوها دون أن ندري..
ولم نلمح لهم أثرا

كأنا جوقة العميان

***

رأينا حضرة القرصان يرفل في النعيم وقد تَألَّه قلبُه الأسود
ومَنْ معه من الندماء دنياهم منورة.. وأوجههم منضرة بها نهبوه
من أسلاب

ونحن العمرَ لم نسعد
ولم نظفرْ بغير خطابة الخطباء والكُتَّاب
كأن الله يخلقنا ليرهقنا وينسانا
ويخلقهم ليرعاهم
وَيُنْبت حولنا شوكا وأعشابا وأحزانا
ويرعى صفو دنياهم

***

تُطوِّقنا المجاعةُ.. آه حيث النار أمسكت السفينة من أعنتها
وراحت تُفرخ الأنقاض

وتلقيها على الأرض التي غصّتْ بحسرتها
لينضح نيلُنَا أسفاً خريفيًّا على عهد الفداء سدىً إذا مافاض
فيسأل بعضُنَا بعضا : لماذا يُقهر الفقراء
وتبقَى أرضنا عفنه؟!
لماذا لم نعد نحيا ويسرق قوتَنَا كلُّ الذين أتوا من الغرباء؟
لأنا منذ أَسلَمْنَا العِنَانَ لهم وسَلِّمْنا نظلّ نكافيء الخونه
نظل نكافيء الخونه

***

هو الطوفان ياوطني
تَدَفّقَ مرةً أخرى على الأرض التي لم تشهد الإشراق والراحه
هى الأوجاع مجتاحه
هى الروح التي اغتُصبتْ وقد ضجتْ من المحنِ
هو الحقد المقدس في جوانحنا وقد ضقنا بما نهبوه من أسلاب
وما ساقوه للأصحاب

من التهم التي افتُضِحَتْ روائحُهَا.. فعفناها
هو البؤس الذي ذقناه أَحرَقَنا، فَأَحرَقْنا ملاهيهم ودسناها
هم الفقراء ضاقوا - لحظةً - بالعيشة المره
فألقوا بذرة الثوره

«٢٦ يناير ١٩٧٧»

تهمة العصفور
الذي اتجه للنهار!

(١)

قلتُ للعصفور لاتفردْ جناحيك بشوقٍ فوق أرض مهلكه
إنها لاترحم العصفور حتى بعد صلبه
وتذكّرْ حين تشدو أن همسَ الحب يفضي عادةً للتهلكه
تحت أقدام أناس يتسلون بأن يبقى شعارُ العدل وحلاً بعد أن
يَزنُوا بقربه
واتجهْ نحو اليمين
حيث تحيا جنبَ ينبوعٍ صناعيّ وتشدو قرب أحفاد الملوك المترفين
الناعمين

وإذا شئتَ مزيدا فاتجه نحو الوسط
إنهم يستوردون العش والقش لكي ترتاح في الليل وتنعَمْ
وسيأتون بماسٍ لجناحيك لتبدو كالطواويس.. وتغنَمْ
لاتَسَلْ من أين يأتي الماس؟ إن الناس تدري.. وعموماً
فالسؤالُ الحقُّ بالفوضى اختلط

(٢)

طرقاتُ الناس كانت لأمانيهم فسيحه
فلماذا اليوم تبدو كالحاتِ مربكه
أيها الذكرى الجريحه
ادفعيني طلقةً تجتاح أضلاعَ لصوصٍ مستشارين لغشاشين
خاضوا معركه

ليطلــــوا في غرور
زاعمينَ اليوم أن النصر نصرَ الشعب نصرٌ للجواري في القصور

إنه عصرُ كلابِ الصيدِ لاعصرُ صلاح الدين والروح المليحه

(٣)

إني أرى تحت الرماد جذوة من اللهب
والرجلَ الأرقطَ إذ يظل مسرع الخطى بما نهب
وزوجَه التي ارتمت أطماعُها على الذهب
في جيدها العقد النفيس اقتنصته من أميرات القصور والطرب
إني أرى تحت الرماد جذوة من اللهب
وإنها آتية من الصدور كالشهب
لو انفجرتِ بكرةً يا ثورةً تخضب المدى بغابة الغضب

(٤)

قال لي العصفور في صوتٍ ربيعيّ المعالم
وبعينيه وثوق أن وجه الحق قادم
قال لي العصفور: أنصتْ ياصديقي أن صوت البرجوازي الصغير

جاء يسعى وترجّاني سدىً أن أتطلع
إنها قلبي الكبير
لم يزل يعرف أن الزيف مهما يبقَ في الأرض مساميرَ سَيُقلع

....

رفرف العصفور حولي في هدوء ثم طار
قاصداً أُفقاً رحبيا وبشطيه انتظار ليس يعبا للنهار
كانت الشمس حقولاً زانها قطن وأعناب وتوت وثمار
ومع الشمس النهار

(٥)

كان عصفوراً فتيًّا
كان يشدو للينابيع التي تقطر طهراً وانطلاقاتٍ وثوره
كان يشدو وينادي العدل في الأرض ويدعوه لأن يحيا ويحيا
كان يشدو للنداءات التي تربط أشواقاً بأخرى في امتداد

ولفلاحين جاءوا بعد أن لموا الحصاد
كان يشدو كلّ مره
لرغيف الخبز والنيل الذي ينضح خيراتٍ وأحزاناً وصبرا
لفلسطين وللأرض التي غابت عن العين ولكن لم تغبْ عن قلب
إنسان العروبه
كان يشدو للملايين التي كم أوسعَتْهَا أبشعُ الأغلال قهرا
ولمن غابوا وأبقوا في ضمير الناس باقاتِ انطلاقٍ للخصوبه

(٦)

قبل خُطى الفجر
يصحو الذين أطلقوا أصواتهم قنابلا ضد خطى العهر
ليرفعوا الراية بالإصرار والطهر
مهما أضاعوا أجمل العمر

(٧)

آهِ يا أمي العريقه

في صباح اليوم جاءوا بكلاب الصيد في أرضٍ أذاقوها البوار

أطلقــوا النــار على العصفــور لما أطلــقَ العصفــورُ في الشمــس

جناحيه وغَنّى للحقيقه

أطلقـوا النـار على العصفـور لما أطلـق العصفـور في النـور جنـاحيـه

وغنى للنهار

«٢٢ أكتوبر ١٩٧٧»

زيارة الرجـل الـــذي
بضاعته الايمان

فجأةً زارها.. ثم عاد الدنيء
لابساً عاره دون أن تخجل الروحُ حين تباهي بعشق الخيانه
يارفاقي اشهدوا أنَّ روحاً جبانه
تشتري السلم بالذل كي تستقر على العرش في كل يوم يجيء

***

امضِ نحو العدو الذي كم أسالَ دمانا بخبثٍ وناجِ اليهود
وابتسمْ في بلاهه
يا مريضَ الرؤى أنت تحتاج طول المدى للنقاهه
أيها المؤمن الزئبقيُّ الودود!!

***

مؤمنٌ أنت لكنْ بنهب قصور الملوك القدامى وغشِّ التجاره
باستراحاتِ عهرٍ تُشَادُ بلحم الحفاة الجياع
مؤمن بالخداع.. لذا ترتدي - كل يوم - قناع
أي حامٍ ترى سوف يحميك يازئبقي إذا الشعب ألقى السكوت
ليطلب ثاره؟!

***

إننا نحمل العبء رغم هدير القروض بأرض الجراح العميقه
فلماذا يطول سكوتُ البشر
بينما كل قرض يُطِلُّ يَضِلُّ بعمق جيوب الذئاب الصفيقه
ليس من أجلنا إنما كي تشاد القصور وتحلو ليالي السهر؟!

***

أي حرية يزعم المفترون
أنهم زارعوها، وهم يسجنون الرغيف البسيط الذي نشتهيه

كي نجوع، فيخلو الطريق لهم ريثما يمكرون

فإذا بالدنيء يقول لنا : إنني عاشق للسلام هنا ليس مثلي شبيه!

***

ليس معنى الغضب

أننا نرفض السلم.. لا.. إنما فليعد أولاً كلُّ حق لنا

فلتعدْ أرضُنَا كلها .. ولتعد كل أرض العرب

ولتكن أرضُنَا أرضَنَا، ولتكن شمسُنَا شمسَنَا

***

وليعد من يبيتون ليلاتهم في ظلام الخيام

فوق طين المذلّه

فليعودوا إلى أرض أجدادهم دون أن يُرْكلوا بين يوم وليله

يومها يبحث الناس بالحبِّ عن عمق معنى السلام

«٢٨ نوفمبر ١٩٧٧»

روما - صنم وتابـوت

لم يبقَ من روما سوى روما التي تبكي على أبنائها المتمزقين
والبحرُ مرآةٌ... صديدُ البؤس منعكس عليها، والسماء جرائد مفتوحة
أو مغلقه
لكنها – بعوائها – تحكي عن الكذب المبين
قالوا بأن الزرعَ زاهٍ... والحقولُ مشققه!!
قالوا بأن الحب عنوان لنيرون الأمين
مع أنه يتنفس الأحقاد من لغة الثعالب، والمخاطر محدقه
قالوا بأن زنازن الزمن المخضب بالدماء وبالوساوس والأنين
قد هَدّموها وانتهتْ، لكنهم نهبوا قصور الراحلين، وأسلموا آمالنا
للمشنقه!!

***

يا أيها الصنم الذي يحتال كي يبقَى على وطن الجباه المطرقه
ياظلّ مقبرةٍ مشوهة على أرضٍ تقاسَمَهَا السماسرةُ الجبابرةُ
الذين يقايضون بنا على مر السنين
قامرْ وجعجع بالسلام وبالحدائق مشرقه
وببسمة الطفل الكسير لأنه افتقد الحنان من الأبوة في مجازر
لم تَدُمْ إلا.. لحين
كي يستقر على هواك المُلْكُ، قربك قطةٌ مسعورةٌ ومرابيه
تمشي على جثث الضحايا
كي تجمع المالَ الحرامَ، تدسّه في جوفِ بنكٍ صامتٍ أو هاويه
وتلوح مثقلة بما يأتي من القدس الجريحة من زخارف أو هدايا
شهقت هدايا القدس في أرجاء قصرك دهشةً ، فالقدس محتله
اذكر بها الغفله!

يا أيها الصنم الذي يتجمع المتهرئون على سلالم قصره
كي يهتفوا - متشنجين وكاذبين - لعصره
داعين في صلواتهم
داعين في صلواتهم.. لا.. لا.. فهم يدعون عند الفوز في صفقاتهم
يا «حلوُ»... يا دولار
احفظ له الكرسيّ
والعالم السحريّ
من زمرة الأشرار!
يا أيها الصنم الملوّح بالقضاء العسكريِّ وبالزنازن والحديد
يا أيها الصنم البليد
الغشُّ.. لن يحميك..
والنيلُ.. لن يرويك..
فالصمت مات، ولن يعود إلى الوجود كما تريد

والريح آتيةٌ بما لن تشتهي.. وستُغْرِقُ السفنَ التي تغويك!!

***

عبر المدى العربيِّ أشهد صارخا تابوتَ مَوْتَى يجمع المتمزقين

أخشابه مطلية بسراب دولارات أمريكا التي هتف الغباء بأنها

نِعْمَ الصديقه

أخشابه البكماء في هذا الطريق المستباح لكل من حمل السلاح

تدري عن الوحش اللعين

تدري عن الجثث المشوهة التي كم أحرقتْها النار.. نارُ عدونا

النهم الذي افترس الحقيقه

عن أدعياء الحب حين يفكرون بوجبة يتخاطفون طعامها منا

ومن دمنا المباح

يا دير ياسين اشهدي

يا كفر قاسم.. يا دم الأطفال.. في الجولان .. في بحر البقر

اصرخْ هنا - كالويل - والعن غفلة الصنم الشقي المجهدِ
ما أتعسَ السلم المطل.. ولم تزل آمالُنَا وخيامُنَا دون البشر!

* * *

عبر المدى العربي أشهد صارخا تابوت موتى يجمع المتمزقين
والليل طالَ فأورق السخط المعلّقَ كالسيوف على رقاب الخاملين
فمتى تضم الوحدة الكبرى خطى المتمزقين؟
هل قبل أن تأتي القيامه؟!
ومتى يفيق الخاملون وينهضون لسحقِ أعداء الحياة الطامعين؟
إن لم تفيقوا سادتي فلتسكروا وَازْنوا وقولوا للديار مع السلامه!

«٣ ديسمبر ١٩٧٧»

الغريب والسوسنة

لو قلتِ لي : يا أيها الرجل الغريب متى تنام؟ فلن أجيب إلى الأبد

فأنا وأنت نظل نسبح في بحار الساهرين الضائعين.. ولا أحد

معنا سوى الليل العميق

ومواء قط جائع.. مترقب أنثاه.. حتى يستكنَّ إذا وجد

والبرد يسري من شقوق في النوافذ كالحريق

والنجم يشهد سهدنا.. النجم يشهد ضدنا!!

فلكم سهرنا للصباح

رغم التثاؤب للصباح

ماذا سنفعل وحدنا؟!

نبقى لكي نتبادل الكلمات والضحكات والنظرات والقلق العريق
ما أجملَ الكلماتِ في ليل الشتاء برغم عاصفةٍ تحاول دَكَّ أعماقِ
السكون المستطاب
ما أطيبَ الضحكات تدفئنا وتسقينا
ما أعمقَ النظرات حين تطل صافيةً فتغسل روحنا بصفائها
النضر الذي يمحو العذاب
ما أخصب القلق العريق يفر من آفاقه الحبري ليسكن فجأةً
بجموحه فينا!!

***

وأغيبُ عنك، أغيب في أرجاء غرفتيَ الكئيبه
وأظل أحلم بالحياه
وأظل أحلم بالعصافير التي رحلتْ ولم تعبأ بآفاقي الرحيبه
وأقول إن النهر في يوم سيسعد بالمسير مع الحياة إلى مداه

وأقول إن السوسنه
يوماً.. ستدفعها العواصف في أقاصي الأمكنه
فأحس ظفر الوحشة البكماء منغرسا بقلبي
لكنني - في لحظةٍ - أُلقي الظلال المحزنه
عن عالمي عند انبثاق النور منسكباً على كتبي الحبيبة أو على
الجدران والأشياء قربي
وترفُّ - كالنسماتِ حين ترفُّ - روحٌ محسنه...

* * *

ليل ونافذة قريبه
منها يفوح النور مبتسما وفي بسماته وبهائه فرحُ يذيب ظلام
غرفتيَ الكئيبه
يأتي إليّ النور مبتسما مع الصوت البهيّ

هو صوتُكِ النعسانُ يحمل غنوةً من أغنيات الحب والأحلام في

هذا السكون المستطاب

تسقين منها روحك العطشى إلى قلب وفيّ

فتطل من قلبي الشجيّ

قسماتُ أوجهِ مَنْ عشقتُ على مدى الزمن البعيد

ويطير بي شغف نقيّ

لخطى التي أسكنتها قلبي وقلتُ متى تفوح روائح الفرح المحلق

في سمائك ياشريد؟

ومتى يطل غد سعيد

يرتاح فيه الناس.. كل الناس.. من عبء التطاحن والتمزق

والوعيد؟

ماذا يقول النور في هذا السكون المستطاب؟!

اللهَ ما أحلى الشباب

الله إذ نتبادل الكلمات والضحكات والنظرات والقلق العريق
الله ما أحلى ائتلاف الشمل من بعد اغتراب
ألقاك مبتهجا وأهتف ضاحكا: رغم الضياع سَيُقْبِلُ الغدُ في الطريق
فلتهنأي كالنور مبتسماً مع الصوت البهيِّ، وقد أضاء الأمكنه
فلتهنأي.. يا سوسنه...

«٦ ديسمبر ١٩٧٧»

انتظار قد يطول!

في شرقنـــــا العـــــربيِّ اليــــومَ تجَّارُ
باعـوا الجدود فهـل يصحـو لهم ثـارٌ؟!
قـد طُـوِّقَـتْ بـوحـولِ الـذل أزرعـةٌ
لهم فهـم بخطـى الخصيـان قـد سـاروا
يسعـون في جشـع أن يغنمـوا ذهبـا
هـل يمطـرُ الـذهـبَ الموعـودَ إعصـارُ؟
والأرض راودهـــا اثنـــانِ انحنـــى لهما
مـرضـى النفـوس هما : زيـفٌ ودولارُ
فليستظلـوا بـوهـم الـزيـف في خـدرٍ
ولتبتسـمْ لـرؤى الـدولار أقـذارُ
راحـت فلسطينُ والتجـار مـا رحلـوا
يـاضيعـةَ الحق كـم قـد أُخمدتْ نـارُ

***

بيجين يـــا شهـــوةَ النـــازيـــة انتفضـــتْ
والســـمُّ في نـــابها المعقـــوف غـــدّار
الحب للسلـــم بعـــضُ مـــن مـــزاعمكـــم
فشعبكـــم لاقتـــلاع الأمـــن مختـــارُ
عـــذبتـــم السيـــد الســـامـــي على جبـــلٍ
ودستـــم الحبَّ مـــذ هُـــدّتْ لنـــا دارُ
بيجين إن ضميرَ العصر مـــــرتبـــــكٌ
مُـــذ قيـــلَ : قـــد ينشـــقُ الأزهـــارَ جـــزارُ
لا حـــبَّ يـــا مـــن حجبـــت النـورَ عـــن دمنـا
فـــالحب ليـــس ســـدَ ُيـــه سمســـارُ
لاحـــبَّ والأرض في أيـــدي الغـــزاة وإن
خـــاف الطغـــاة على عـــرشٍ سينهـــارُ

***

يــا لعبــةً بيــدٍ نكــراءَ نعــرفهــا
تسعــى إلى السلــم أم يسعــى بــك العــارُ
إن هــدهــدتْــكَ هــدايــا الزور تجمعهــا
فمــن يهدهــد أطفــالاً قــد احتــاروا
خَنُّــوا سُــدىً لأب حــانٍ يهدهــدهــم
واستقبلــوا الغــدَ لا أرضٌ ولا جــارُ
فــالنــاس في وطنــي يسعــون دون غــدِ
حيــث الــذئاب تجيــد النهــشَ إن ثــاروا
فَلْيُبْــقَ مــن دمنــا يــأسٌ تَسَمَّــرَ في
أفْــقٍ شفقــيّ الــرؤى حــاطتــه أســوارُ
وَلْتَبْــقَ أضرحــةُ الأحــزان جــاثمــةً
حتــى يطــل مــن الأجيــال ثــوارُ

٢١ ديسمبر ١٩٧٧

الاختيار المر

تعانقين التاجر الماكر إذ ترنّ في خيالك النقود
وتطمسين قربه أشواقك الفضيه
للنور والورود
وتركلين أغنيات العاشق الودود
وتطلقين شهقةً تخدر التاجر في شقته السريه
تنتظرين بعدها أن تحصدي الوعود حين تسكن النقود
راضيةً مرضيه
في فجوة النهود

***

سيدتي المغامره
يا قطرة من زئبق يلهو بها التجار في الموائد المقامره

عاشقك الودود عاش مرهقا فقيرا
لكنه عاش لكي يريح صدرك الذي حاصره التعب
وراح - رغم فقره - يبحث عنك دون جدوى
فثار واكتأب
حتى لقد هجاكِ في ليلاته - كثيرا
وصاح : هل سقطتِ سهوا؟
أم أنه الذهب؟!
لكنه - أشهدُ - ظَلّ عاشقا كبيرا
بقدر مايحنو ويهوى
بقدر ما يثور إن أنطقه الغضب

* * *

لا تسألي : أيهما - من قلبه - يجود
عاشقك الودود أم تاجرك الماكر؟!

لا تسأليني.. إنني لوجهتي سائر
ولتذهبي أنت كما ترضَى لك الوعودُ والنقودُ والقيود!!

***

ابتسمي كالقمرِ المشنوق في مستنقعاتِ ليلةٍ شتويه!
واحترفي السجود للتاجر كي يجود
ببعضِ مانهب
وأنجبي ذريه
من كلِّ تاجرٍ يعرى ظله الجارح في جنائز الحريه
فالمجدليس عادةً للحب في أزمنة الإغواء والصخب
المجد للتجار والقمار والذهب!!

«٢٢ ديسمبر ١٩٧٧»

القنبلة التي لم تنفجر بعد!

ماذا دهاك لكي تحبي عالماً ما عاد فيه لنا سوى بعض التراب!
تأتين حيث تثرثرين عن البنوك فهل أبوك هو الثريُّ الأجنبيّ؟!
وتُسَبحين بحمد أصخاب العمارات التي استندتْ على كتف السحاب
فهل ارتدوا - في الحلم - أردية الصفاء الشاعريّ؟!
أم أن أوحالَ المدينه
قد طوقتك وجمدتْ إشراقَ روحك فانجرفتِ
وشربت من كأس مهينه
كأس تقول: قد انتُهكْتِ؟!
يا بنتَ من تعبوا كثيرا
وتذوقوا الخبز المبلل بالدموع وحوصروا طول المدى ببحار هَمّ
إذ أنهم فقراء هذا العالم المتصنع الملتف كالأفعى على أعناقهم في
كل يوم

فتفرقوا مستضعفين مُطَارَدين إلى أن انهدّوا هنا ورقاً نثيرا
حملته أمزجةُ الرياح بكل أرض مجحفه
فالأرض قنبلةٌ يصم دويها الآذان من بدء الخليقة حين تشوى
نارُهَا جثثَ الضحايا

والناس فوق ترابها وصخورها المتعجرفه
يتساقطون على دروب القهر طول الأزمنه
لكنهم لايسكتون على المجازر والرزايا

ويواجهون القهر بالطوفان مكتسحاً ومجتاحاً جميع الأمكنه
ويسائلون الصبح حينَ ينوّرُ الطرقاتِ مبتسما بروحٍ طيّبه:
«الأرض للبسطاء والعشاق.. أم للأغربه؟!»

***

ماذا دهاكِ إذن؟ لكي تتنكري لعوالم الخبز المبلل بالدموع

يا بنتَ من تعبوا كثيرا

هو وجهك المتطلع القسمات للعربات والسرقات، فانطوت

الضلوع

في ظلمة الفوضى على أحلامك المتعجلات، فَزخرفي جسداً أجيرا

واستقبلي العربات حيث يطل وجهُ القاتل المخمور منقضّا برغبه

وتبجحي بالحب، وامضي جيفةً متعطره

كي ترفعي بالزور نخبه

ومع اجتياح النار نامي قطةً متنمره

ياصورة العصر الزريّ

فالحبُّ أن تتواثبَ اللغة الدنيئةُ للمغانم والنقود، فلا عطاء

في جعبة القلب الشقيّ

غير احتشادكِ بالسلاح الأنثويّ الزئبقيّ

وتمزق الجسد الذي يُدمي صباه الأدعياء

بعد استكانةِ روحك العطشى إلى وهم الثراء
الحب أن تَستشعرِي دفء الجيوب اليومَ، لادفء القلوب الصافيه
الحبّ.. صار الحب أن تتسابق الشيكات باسمك في البنوك الأجنبيه
لترى الليالي الآتيه
أحلامك المتعجلات وقد أطلت كُلّها، ونراك رمز العنجهيه
فالحب في أيامنا المستسلمات خرافةٌ ثلجيةٌ.. شبحٌ... ومات
وتناثرت ذكراه زوراً في كلام الأغنيات!!

* * *

بيني وبينك غابة الكتب المصادرة التي لم تجرئي أن تعرفيها
ما أوغلتْ عيناكِ في أحراشها المستبشره
وصياحُ مخمورين ذاقوا جيفةً متعطره
ووجوهُ محرومين لم يجدوا الطعام ولا الكساء
ورضوخُ جسمك للثراء

بيني وبينك مجزره
ودم يسيل، وماتزال الأرض قنبلةً معبأةً ولكنْ نامَ في أعماقها
طولُ السكوت
وكأنها لم تنفجر من قبل، أو هَزَّتْ عمائرَ لاتحسُّ بما تحس به
بيوت دون قوت
بيني وبينك هوةٌ، وخطى العساكر والأرامل في طريق المقبره
لَكَمِ التقوا من قبل هذا اليومِ بالإصرارِ والحزن المعتق في الوجوه
لكنهم يتأرجحون اليومَ مذ كدنا نتوه
بيني وبينك كل هذا، واللقاءات اغتراب
فتشاغلي عما نحسُّ لكي تحبي عالما متصنعا ماعاد فيه لنا
سوى بعض التراب
وتباعدي عن ركبنا، فطريقنا وعر وطويل
إنا سَنَهْدم عالم المتصنعين الأدعياء

ليرفرف الحبُّ النبيلُ على قلوب الناس من بعد التمزق والعويل
فلترقص الدنيا علي خفق القلوب الطيّبه
وليدرك اللؤماء أنّ الأرض للبسطاء والعشاق.. لا للأغربه

«٣٠ ديسمبر ١٩٧٧»

كلهم ناموا .. ياقدس !

ما لهذا البحر لايستثير الأشرعه؟
وجهه بادي السقم
سطحه مستنقعٌ مرحشٌ تطفو عليه الخطايا والرمم
وعلى طول المدى تُطلق الفوضى علينا وحوشاً مفزعه
تسأل الناسَ الحزانَى : لماذا أورق البؤس في أرض العرب
بينما تمضي لِتُخفى حصادَ المزرعه
حيث يمتد اللهب

* * *

ليس فينا من يجيب الوحوشَ المفزعه
فَلْنُذِرْ خدًّا لمن يحجبون النور عنا، لئلا يُقبلوا بالحراب المشرعه

ولننـــمْ تحت التراب

لاعقين الأحذيــــه

سائلين الله أن يبتلينا بالعذاب

كي نلاقي جنةَ الخلد يوم الآخره

فلتطبْ للغاصبين الحياة الخاســـره

ولتطبْ أجواء كل الملاهي الملهيه

***

هـا هـو الوحـش التتـاري في وديـاتنـا يـذبح الانسـان مِنَّـا على مـرأى من الاعين المستنكره

فاسألوه المغفره

إنه الطاغي الجديد

منذ أن صارت خطاكم خطى المستضعفين

منذ أن داست عليكم خيولُ الغاصبين

منذ أن صرتم عبيد

والعنوا أقداركم حينما تلهو بكم واذكروا - في خيبةٍ - كم

تجادلتم طويلا وأشعلتم سباب

وانطفت نيرانه.. فانطلقتم للعتاب

ثم عدتم للسباب

والتفيتم في ارتياب

فالسب أعرقُ تاريخاً من الكتب

في موجه صيغ نصر العُرْب بالخطبِ

* * *

اسألوا شيخوخة المجد عن شطآنٍ خير أهينت شمسها

والعنوا أقداركم حينما تلهو بكم.. وانّشقوا ريح العفن

إنها ريح الوطن

فاض منها بؤسها

وارتمتْ فيها خطى خيبةٍ لا تنتهي.. مذ تداعى بأسها
واستقرت جيفةً قربَ أوهام الوثن

***

أنبأونا أنَّ أعتى الذئابِ اليومَ قد غيرت أسماءها واشتهت منا ابتسامه
أَنبأونا أنها خبأت أنيابها تحت أزهى أقنعه
زينتها الزوبعه
أصبح الذئب - الحمامه
أصبح الذئب - الحمل

نحن قلنا: «غابة الزور ألغَثُ أَصْلها..» عندما النور اختبأ
في متاهات العمى واستراحات الدجل
نحن صدقنا النبأ
فالتُهِمَنا كلنا.. واحداً في إثر آخر. آه.. الحق لاينطق، القدس
الشريف اسْتُبيحَ، الدمع في أعين الباكين نام

كلهم ناموا.. «فلسطين في القلب».. الشعارات - منذ البدء -
تصطاف في شط الغرام

والسيف نام سدى
السيف قد همدَا
السيف أبعدُ مشواراً عن القدسِ
في غمِدهِ النومُ بين البؤسِ والرجسِ

***

هكذا راح الصباح الذي يرجو انبثاقاً على أرض العرب
هكذا لاقى مصيره
عندما.. ريح الخلاص التي تبغي انطلاقاً على وقع الغضب
أصبحت ذكرى كسيره
فالعنوا أقداركم بعد أن تلهو بكم وانشقوا ريح العفن
إنها ريح الوطن

قصائد للغالية - البعيدة

(١)

من البدء... منذ شببتُ على الأرض.. كان القدر
بعد - لتكبيل قلبي - سلاسلَه القاسيه
ويجدل أعتى حبال السهر
ليربطه - تحت ستر الظلام - على صخرة الحسرة الباقيه
ويرعد : «.. سوف تعيشُ الحياة انتظاراً لحلم بعيد المنال
فأطبقْ جناحَيك كيما تريح وكي تستريح
فلن تحصدَ اليومَ إلا حصاد حقول المحال
ولن تحلم اليوم.. إلا بوهم وحفنة ريح»

(٢)

أُواجه حقد العواصف حين تحاولُ قهرَ غصبون الشجر

وأشهد كيف اللئام أرادوا يقيمون بيني وبينك سورا
ولكنني لا أبالي.. فحين أراك يطل غدي المنتظر
وأُغمض عيني قليلاً قليلاً
لأحلم أنك مهما ابتعدتِ ستبقين قربي تشعين نورا
وأن زماناً أراك به.. لا أراه بخيلا
وبعد السقوط من الحلم للأرض تهتز أوتار روحي الشقيه
تقول بـأنكِ يوماً وُلدتِ بأرض قصيه
وقبلك كنتُ وُلدتُ بعيدا عن العالم الناعم الهمسات
فلم تلتق العينُ بالعينِ والروحُ بالروحِ إلا بدنيا غريبه
فواحسرتاه على ما انطوى دون لقيا وضاقت به السنوات
ووافرحتاه بلقيا الحبيبه
غريبين جئنا فلما التقينا خرجتُ من الغربة الخاويه
وأسكنتُكِ القلبَ.. أنت هنائي إذا ما ابتسمتِ

وأنت انبثاق المنى الزاهيه
وأنت كذلك سر شقائي إذا ما اكتأبتِ
وأنت الثريّـــــا
ونورك يبدو برغم البعاد جليّـــا بهيّـــــا
وحين تطلين بعد البعاد تطوقني فرحةٌ آتيه
وتروى الينابيع فرحة لقياك يا غاليه

(٣)

عيناك الطيبتان أرى بهما العالم رغم عنائي
ألقاه فسيحا.. فيه سماء صافيةٌ .. يرتاح بها قلبي المثقل
بعذاب الناس وبؤس الحق وميلاد الزمن الأجمل
عيناك الطيبتان أرى بهما وجه الأمل النائي
حين تقولان: «صباحَ الخير» فتشرق أعماقي مبهوره
فإذا غبتِ .. تطل الحسرات

تصبح روحي صحراءَ بها حَمَمٌ مصهوره
تهرب منها أحلى النسمات
تُعتم فيها كل الآفاق، ولا تُسمع إلا الصرخات
هذا مايحدث حين تغيبين.. فمَنْ يهمسُ بصباح الخير
يا غاليتي.. حين تغيبين؟
ولهذا أرجوك إذا غبتِ.. ولو لحظات
أن تَضَعى - قبل غيابك - في قلبي سكين
حتى أنسى العالم وأموتَ.. ووجهُكِ في قلبي مرسومٌ بالسكين
(٤)
جسمكِ زورق حب تدفعه الموسيقى
يتمايل داخل أحلامي، والخضرةُ فيه تناديني
والنشوةُ فيه تلاقيني
والزورق يعبر في روحي ويطوق كل ضفاف الدهشة تطويقا

الزورق فيه يمامٌ أبيضُ يهدلُ في صفو البللور
فيه الريحان وفيه عبير الجاردينيا الساطع كالحلم
وأهم بأن آتي حتى أستنشق رائحة الخضره
لكني ما ألبث أن أصحو وحدي منتفضا كالمذعور
وكأني مطروح فوق صخور وعره
أصحو لا أسمع من حولي إلا قهقهة الوهم

(٥)

بين الأحباب أُقيمَ السور
فلماذا لم تَبْعُدْ عني نظرات الزور؟
الحقد يطاردني دوماً حتى في الحلم
كيف إذنْ سألاقي راحة قلبي في النوم؟
ياغاليتي
بين الأحباب أقيم السور

لكن ها أنتِ.. بذاكرتي
أبهى من إشراق البللور

(٦)

سأنساك يوماً وأنسى ارتياحي لوجهك في الصبح يا غاليه
سأنسى بهاءكِ حين تهلّينَ شمسَ حنان
سأنسى سنابلَ شعركِ تُرْقصها النسمةُ الحلوةُ اللاهيه
سأنسى انتظاري لطيفك في الليلة الشاتيه
سأنساك يوما.. وأنسى الهوان
وأنسى بنسيانك الحبَّ والأمنياتِ وكلَّ الذي في الزمان
سأنساكِ.. هل تعرفين متى يا صفاءً ينوِّر آفاقَ عمري
سأنساكِ حين أغيب ببطن التراب المندَّى لأسكنَ قبري
فأرجوكِ.. أرجوكِ.. لاتقربي القبرَ. لاتقربيني
فإني أخافُ إذا سرتِ فوقي بروعةِ سحرِكِ أن توقظيني!

٩ يناير ١٩٨٠

رسالة حزينة لعبد الناصـــــر

أيها السّاكنُ في تربةِ مصر العربيه
ليس يجدي أن تعاتبْ
فالذي كان نبيلا لم يَعُدْ بعدُ نبيلا، والأيادى الوثنيه
أغلقتْ من بعدك الأبوابَ خوفا من محبيك ومنِ سوء العواقبْ

***

لم يكن صعبا عليك
أن تنادينا.. فإنا - كلنا - كنا رفاقَكْ
كلنا كنا سنجتاح - بعنفٍ - أيّ سور لو أعاقَكْ
كلنا كنا سنمشي - دون إبطاءٍ - إليك
لندك الزور بالإصرار والثورة حتى يستعيد الحق فجره

وتعود الأرض حره

* * *

ها هى الأرض حزينه

آهِ لو تصحو قليلا كى تراها يا جمال

إنها باتت سجينه

دنستها الآنَ أطماعٌ لأشباهِ رجال

رهنوها في دهاليز البنوك الأجنبيه

ثم ألقوها لأنيابِ الذئاب العنصريه

* * *

يا حبيباً للجماهير التي ذوَّبْتَ أيامك كى تحيى مناها

كنتَ تشتاق إلينا - في لياليك - ولكنَّ القلوب الزئبقيه

أبعدتْ كفيك عنا ، فاحتملتَ العبء وحدَكْ

كيف لم تهدر دماها

إنها في الساحة الآن تمطت لتمص الدم من لحم الضحيه

كلنا صرنا ضحايا منذ ضاع الحق بعدكْ....

***

حينِ أرخى طائر الموت جناحيه عليك

قمت فرقتَ طموحاتك فينا، إنما نحن تفرقنا كثيرا

فانتظر أن نجمع الشملَ لتحيا مرة أخرى جليلا وكبيرا

كل ماكان لديك

من طموحات سيخضر إذا نحن ائتلفنا بقلوب عربيه

وتجمعنا حشوداً تنقذ «القدس» السـبيه

***

حين أرخى طائرُ الموت جناحيه عليك

لم يعد صعبا عليك

أن تنادينا.. فإنا - كلنا - صرنا جمال

كلنا صرنا جمال...

«١٥ يناير ١٩٨٠»

انتظار الآتي

☆ صدرت الطبعة الأولى من هذا الديوان عام ١٩٨٩ .

إهـــــداء

إلى من عـرفوا كيـف يحبون غيرهم مثلما يحبـون أنفسهم وجعلـوا قلوبهم قناديل تتوهج في وجه الحقد الأسود كي تشرق المحبة ذات يوم.

حسن توفيق

انتظـــار الآتـــي

أيها الحب ترفق
إن قلبي منذ لباك نبيٌّ ليس تأتيه بشاره
أنكر الناس رؤاه اليوم واهتموا جماعات بربح وخساره
آه.. والود تمزق
مذ عوت ريح التجاره
وامتطى الأوغاد ظهر الأرض واغتالوا الطهاره
وارتضوا أن يملأوا آبار أحزاني حجاره
واستساغوا كلهم أن يتركوها تتعمقْ

* * *

أيها الحب ترفق
بمريديك.. ولكن لا تُدِرْ للزور ظهرك

إن أشياعك كثر فتقدم واحمل المشعل فالليل تدفق
وارجم الأوغاد بالنار.. وضمدْ في صحارانا ينابيع العذوبه
أنت يا حب نبيل آه ما أعظم أمرك
فلماذا رحتَ تمشي ذاهلا مذ داهم الأوغاد في الساحة سحرك
اشهد الدنيا حوالينا تعرت للخصوبه
بينما يستسلم الانسان في دنياه للشيطان مرتاداً دروبه

* * *

اشهد الدنيا هنا إذ تلسع الوردةَ نحله
حين ترويها بقبله
فإذا بالشهد حب اثنين ذابا في عناق قرب أشجار نديه
راح يلقاها نسيم أنطقَ الخضرةَ فيها واصطفاها للغناء
حيث ذابت أغصنا في أغصن والخصب يرويها بموسيقى النماء
وحنان النيل يثريها بأثمار شهيه

واشهد البحر الجموح
حينما نلقاه في الصيف حصاناً لم يُروضْ
إنه يصبح طفلا سندسي الخطو معسول الأماني يتريضْ
إن تغنت في مداه الروح وارتاحت لروح
فامتداد البحر عمق فيه أسرار ورهبه
يفرد الموت على الموج جناحيه ولكنّ مجاديفَ الأحبه
تتلاقى دون خوف فيفر الموت مذعورا وتنساب الزوارق
بخيالات المنى حتى يصير البحر طفلا مطمئن الوجه رائق
واشهد الأفق هنا حيث السماء - الصمت تبدو كالمتاهات مريبه
فإذا الايقاع ناداها فغنت أورقت فيها نجوم وكواكب
وتناجت في أعاليها فراديس رحيبه
تملأ الدنيا مواكب
هكذا الدنيا حوالينا تعرت للخصوبه

بينما يستسلم الإنسان في دنياه للشيطان مرتادا دروبه

***

كان حلمي أن أرى حبا من الغير تلاقيه منانا ويدوم
وسماء لا تغشيها سحابات الوجوم
إنما - يا أصدقائي - كل هذا لم أره
فاسألوني في كل حين كيف تخضر حقول ثم تغشاها الأفاعي
واشهدوا هذا الشره
في زمان مستباح لخفافيش الليالي ولأنياب الضباعِ
إن زوجي تتعذب
ويراني الناس طفلاً - كل يوم - يتقلب
آه مما يزعمون
لستُ يا سادة طفلا إنما الأوغاد ما زالوا يُغشّون العيون
بغبار حاقد التربة خداع مراوغ

فاذا إبصاركم للحب مشبوه وزائغ
هكذا الدنيا حوالينا تعرت للخصوبه
بينما يستسلم الانسان في دنياه للشيطان مرتاداً دروبه

***

أيها الحب لماذا لا توافيني بورده
في دمي شوق إليها وصباها كم سباني
وبأعماقي لها عُشّ نمت فيه المودة
إنني أرجو لقاها حيث أحيا مطمئنا قبل أن يُطوى زماني
أيها الحب لماذا لا توافيني بمجدافين في البحر الجموح
وبقربي سحرُ عينيها وتهليلةُ روح
أيها الحب لماذا لا توافي طيرَ روحي بسماءٍ للأغاني
أتسامى في ذراها وأنادي في علاها كل أسراب الأماني
ها هنا الدنيا حوالينا تعرت للخصوبه

بينما يستسلم الإنسان في دنياه للشيطان مرتادا دروبه
فابتسم لي أيها الحب وفَجِّرْ في كياني
نبعك الصافي الملامح
وازرع دوما وردتي يكتبُ شذاها في دمي أبهى المعاني
وانتشلني من زمان يترك الحالم صقرا صارخ النظرة جارح
....
نادني من آخر الدنيا أَطِرْ يا حب عطشانا لأجتاز إليك
كلَّ أهوال المنافي والصحارى والسدود
إنني رهنُ شعاع مؤنس كم أتشهاه زمانا من يديك
فمتى تحيي الأماني ومتى تدنو الوعود؟!

«٢٨ يوليو ١٩٧٦»

حصاد المصادفات

خمس من السنوات جمعها الحنين النائمُ
لما صحا متفتحا في برهة اللقيا النديه
حيث التقينا صدفة وتلعثمت لغة ثريه
وتجمعت من فوقنا سحبُ.. وجو ساهِمُ
واهتزت الطرقات تشكو وقع خطْوات المطر
فتنبهتْ أشواقُنا
للكلمة الأولى التي اهتزت لها أعماقُنا
وتوقعَ القلبان أن يصحو مع الليل القمر
واستيقظتْ روحي وجن جنونها بك يا صديقه
وبقصة الحب الرقيقه
في ظل الماضي كنا اثنين نسيرُ معا
كنا اثنين
الواحد منا إن دَمَعَا

ينشطر الثاني شطرين
يا صفو ماضيّ الذي أحيا الليالي السالفه
يا نبض أشعاري الحزينه
مهما أكن أحببت بعدك في حياتي العاصفه
فإنك الأولى.. وذاكرتي المكممة السجينه
لم تنسَ وجهك في متاهات السنين الزاحفه
أو بين تجار المدينه
أو تحت أنقاض الرؤى والذكريات الراعفه
فلتقذف الدنيا عواصفها على روحي الأمينه
فإنها لا تشتهي أن تنتهي إلا لديك
مهما يكن من أمرها
إذ أنها - يا حلوتي - تهفو لزهرة عمرها
تهتز في دوامة الذكرى إذا لمستْ يديك
إن حاصرني كذب الحاضر
أحلم أني بين ذراعيك

يتبسم لي ملكٌ طاهر
وأحب العالم في عينيك
ولمحتُ في عينيك ينبوع الصفاء الأول
متجددا.. لم تطمس الأيام منه نقاءه
فجزعتُ من فرحي ومن خطو الشتاء المقبلِ
وعلمت أن العمر عانق خوفه وشتاءه
قد كان قلبي عاشقا.. دنياه نجمٌ.. يجتلي
وكنت أنت سماءه

....

وسألتِني - والوقت يمرق - هل تُرَى لمس النهار
صحراءك الجرداء من بعد التفرق والشرود
وسألتني: ما الوقت؟
إنا قد كبرنا... والصغار
يترقبون الأم في شوق إلى الصدر الودود

....

ويغيب وجهك في زحام الناس.. والصخب الكذوب
وأنا أجر خطاي.. والأشواق تُدمي.. والغروب
يندس في قلبي.. وأوراق بلا عددِ
تَسْود في الأعماق.. والأيام تعدو.. والكروب
في عالمي.. وبرئتُ من ضيق ومن حسدِ
وضحكت من زمني الغضوب
وأضأت ذاكرتي وعدت معانقا دنيا رقيقه
فهتفت يا أبهى صديقه
إن ذكرني بالمستقبل
خطو الأيام على جسدي
آخذ كفيك ولا أسأل
عما قد ألقى من كمدِ

«٩ ديسمبر ١٩٧١»

الغابة والطير المجهد

أتجول في غابة شَعرك يا صاحبتي
فأرى كيف ترق الصخرة، يولد ينبوع
ويفيض على الخدين دموع
تتآلف أنغاما.. لتعانق أغنيتي

* * *

دمعك مرآتي المجلوه
فيها أبصر آمالا ضائعة.. تتمدد
قرب الماء تطارد كِلْمة حب حلوه
ولذا أسقط كالطير المجهد

* * *

أسقط كالطير المجهد أنقر ذاكرتي

وأعريها بعد استحياء
تتكشف وقتتذ عدة آبار جوفاء
تخرج منها أشباح تستنزف لغتي

* * *

يشهق عمري.. وأصابع كفي تنحدرُ
نحو الغابات المنسيه
أهربُ فيها من نفسي.. يبتهل الشجرُ
«بالله كَفَى تجوالا.. فالأرض صبيه»

* * *

تحملني الريح إلى نفسي
وأعود إلى أرض يستنزفها الأقزام
وهنا أشهد قلبي يسقط تحت الأقدام

في الصخب وفي وقد الشمسِ

***

أتوارى في الظل الزائف

وأفيق لأبحث عن قلبي.. عن أغنيتي

أستطرد في قلقي.. ألمس نبضي الراجف

أتجول في غابة شعرك.. يا صاحبتي

***

أتجول إذ تُسكر روحي لغةٌ عذبه

صمتك ينطق أعذب لغة فوق الأرضِ

ولذا نبقى نتقلب في وهج الرغبه

نلعق حينا ملح الرفضِ

«٢٢ يوليو ١٩٧٢»

هذا هو الليـل

* غبار الشوارع يسعـل، هذا هو الليل، صمت العمائر صمـت المقابر: سيانِ، قلبي يشم رماد النعـاس، وريح تهب، وروحي تطارد حلما عصي المنال.

* وفي طـرقـات التسكـع، في طـرقات التـوهـم رحـتُ أسير، وذاكـرتي تستعيـد ائتلاف خطـانا وإيقـاعـه في الزمـان الضحوك، ورحـت أسير وحيـدا إلى الحلم أمضـغ خبز التنـاسي، وأحمل هـم التفتت، أحمل هـم الجبال.

* وكنت تخونين حيناً، وحينا أراك الوفية، حين تحسين همي، وتربد آفاق روحي، ويجفو صحابي، وتُفتح في الليـل أبواب سجن جديد تبشر أهلي بِسُكنى، وكنت.. وكنت.. ولكنّ وجهك غاب، فعاد لخطوي التسكع،

عاد لروحي التوهم.. عشت الليالي أجر الظلال.

* وَخُيل لي حين رحت أسير وحيدا بأني سألقى صديقا يعانقني، أو عدوا يلاحقني، وبأنيَ أسمع طقطقة النار في ضلعِ غصن هشيم، تذكرني حين يخبو اللهيب بكلمة حب أضعتُ حياتي فداها فضعت، وظلت لغيري تقال.

* لماذا عشقتك؟ ضوء المصابيح يهزأ، صمت السماء يقول: كفاك.. وعد للحقيقة.. عد للرجال الذين تسوخ خطاهم خلال التغرب من أجل قرش يضيء ليوم يجيء، ومن أجل لهوك، من أجل زهوك أنت الذي تستجم على شاطىء الذكريات، لتبكي وتضحك أنت الذي تستطيب السهاد بليل التسكع ليل التوهم تذكر أنك كنت وأنك صرت، وتمضي وحيدا لتطفو بفقاعة من جموح الخيال.

* لماذا عشقتك؟ ظل السؤال يطاردني باشتهاء وصمت السماء يقول: كفاك وَجُدْ بالعطاء لمن أنبتوك زمانا إلى أن شببتَ، وغن لهم في زمان

التغـرب مـن أجل قـرش يضيء ليـوم يجيء، وإن شئـت حبا فـأحبـبْ وأحببْ إلى أن تقـول كفاني ولكـن تَفَتَّحْ لنبـض الزمـان ودع عنك هـذا السؤال.

* تَفَتَّحْ لنبض الزمـان، وثبتْ بخطو الرجال خطاك، وأطلـقْ مناك من الأسر، واحلمْ بحـب بهي الملامح، واحضن بحبـك أعماق هذا الـوجود وحطم بـه ذل تلك القيـود، وغَنِّ مـع الناس حـرا طليقا كـأنك تقهـر قهرك، تبدأ عمرك، تفتح صفحة حـب جديد تخط عليها الأماني، وحين تغنـي تفتـح.. تفتح وغـن بغير انخـذال.. وأقـدمْ لتكشف كـل تـلال الضلال.

* تفتحت.. فَتَّحْتُ عينـيّ، هذا نهار يجيء، ونهر الأكاذيب تسبـح فيه الجرائد، يشرب منـه المذيعون، والسـاسـة الأوفيـاء يصبون فيـه المزيـد، وبيني وبين الحقيقة سور صفيق الحجارة يصرخ: أنت تريد المحال.

* تفتحت.. فتحت عيني.. كنت أحب، ولكننـي اليوم أكره.. أكره هذا

النهار المريض، وحين سَيُشفى سأعشق حتى الحصى والرمال.

* سيندك سور.. ستضحك في الصبح أبوابُ بيت جديد تبشر أهلي بسكناه، نيرون كان يطارد، كان يعلق فوق المشانق أحلام كل الرجال، كان يقوض.. يحرق، ثم اكتوى باللهيب، وزال.

* غبار الشوارع يسعل، هذا هو الليل، صمت العمائر ليس كصمت المقابر.. قلبي يغني لصبح سيأتي، وريح تهب وروحي تعانق حلما بهي الجمال.

«٣٠ أكتوبر ١٩٧٢»

الجواب العبوس

تجاهلتُها حين مرت أمامي
وكان الشباب طريقا طليقا يضم كلينا
وها إنني الآنَ أمضي وأسأل نفسي: لأينا؟ ؟
فقد كان شيء يثير اهتمامي
وضاع مع الليل حين أبحنا له أن يضيع
وفُتْناه ملقى على جبهته
ينادي كلَينا وما من سميع
لأنا.. لأنا تركناه.. كل إلى وجهته

***

لماذا افترقنا؟
يقول لنا الشعراء الكسالى بأنا احترقنا.

وأن الزمان يفرق بين المحبين يوما إذا ما اشتهى
ولا بد للنار أن تنطفي في حنايا الصدور ولا بد للحب من مُنْتَهى
أهذا جواب يقال لنا؟
أهذا حقيقه؟!
يظل التساؤل - رغم التفرق - يمضي بنا
يظل التساؤل يمضي بنا حيث تطفو رؤى الذكريات الغريقه

***

وكنا أليفين.. كنا رفيقين.. كنا حبيبين.. كنا السعاده
ولكنْ تمطى التغير فينا ودَسَّ على خافقينا البلاده
لماذا افترقنا..؟.. وظل ظلام المدينة يمضغ قلبي طويلا
ظلام ثقيل.. ولكنه لايُحَس على صفحات الكتب
فتبا لها كاذبات السطور
وتبا لمن يكتبون ومن يسمعون عويلا

ولا يسألون لماذا..؟ وتبا لكل الشهب
إذا لم تُرِقْ نارها فوق صدر الظلام لِتُنطق هذا الفتور

* * *

لماذا افترقنا؟ لماذا تجاهل كلٌّ صديقه؟
أهذا لأن الكواكب ليست تشُاهد ظهرا؟
أهذا لأن السعادة ليست تدوم ولا تغمر الكونَ دهرا؟
أهذا تراه لأن الصديقه
سترحل يوما لتجمع مالا وفيرا وتبقى لتملك قصرا
وتبقى لتقطف - حين تشاء - ثمار الحديقه
ويبقى الصديق يجوب الشوارعَ عاما فعاما ليكتب شعرا
ويقطف في الحلم زهر حديقه؟!

* * *

لماذا تجاهل كلٌّ صديقه؟

لماذا افترقنا وضاع مع الليل شيء أبحنا له أن يضيع
وفارقَنا الحلم بالشمس بالبيت بالطفل بالأمنيات الطليقه
لماذا افترقنا؟.. ودق الجواب العبوس جدار السكون الصديع
لأن الصديقة يوما ستحيا هناك ويحيا الصديق هنا
وتسقط روحان.. روح هناك.. وروح هنا
فروح تظل هناك مدنسةً دون رغبه
وروح تهان هنا حيث يحيا الصديق ويمضي ليسأل ربه!!

«١٩ يونيو ١٩٧٣»

الكلمة والموت

يا وردة رويتها بدمي وتسألني المزيدا
إني احترقت لكي أراكِ
ولكي يظل إلى جوار خطاي أُنْسٌ من خطاكِ
إني احترقت لكي أراك فيغتدي قلبي سعيدا

* * *

وتطول مشيتنا السعيده
تحكين أنت عن الرجال ومن أحبك منهمُ
تحكين أنت عن الفساتين المطرزة الجديده
وأضيع في كلماتك المساء.. روحي تُعْدَمُ

* * *

«إني أحبكِ».. واكتسي بالزهو وجهكِ يا حبيبه
وتغلغلتْ عيناك في عينيّ.. والريح الخصيبه
استغرقتْ نشوى رطيبه
وتبسمتْ لِتَفتّحِ الأحلام في روحي الغريبه

* * *

وظللتُ أرتقب التألق والتفتح في هواها
وأحث أيامي وأمضي ضارعا أبغي رضاها
لكنها لاذت بصمت غامض أخفى نَدَاها
و«أحبكَ» احتبستْ على الشفتين وانتحرتْ رؤاها

* * *

وتشاغلت بحديثها حتى مع الرجل الغريب
لتفيق في غابات روحي غمغماتُ ظنونها
ويلفني الأفق الجديب
وأنا أعد دقائق الزمن العبوس بدونها

* * *

الكِلْمة انتحرت على الشفتين، والسحبُ البخيله
تسخو على الأرض الندية، لا الظمية.. والنقود
تأتي لمن معه النقود.. فيستزيد بلا حدود
والموت للفقراء والشعراء والمثل النبيله

* * *

هي يا أساي كمن سمعتَ حديثهن عن العهود
هي يا أساي كمن عرفتْ
من أخريات قبلها أثقلن قلبك بالجمود
هي يا أساي كمن عرفتْ!!!

***

لا تفتح الأبواب للماضي فيأتي.. يقلقُ
لا تفتح الأبواب إلا للنهار.. إذا أتَى
وادفنْ كآبتك الثقيلة في الجوانح صامتا
واسخرْ من الحب الذي كانت خطاه تشقشقُ

***

كم قلتُها: لا أنت عاشقة ولا أنا أكذبُ
فأنا أحس بها تخبئه الصدور من الظلام
ويقول صمتي المترب
أحسبتِ أن حكايتي أولى التجارب في الغرام

***

تتفحم الكلمات في شفتيّ، والزمن الرتيب
يهوي إلى البئر اللعينه
يهوي ويربطني بصخرته ويشتعل اللهيب
ويحوم حولي غدركِ المجبول من دنيا ضنينه

* * *

وقرأتُ في عينيك ميلاد الزوابع والعواصف
وعرفتُ كيف يساوم الانسان بالحب الصبوح
فتجمعتْ سحب المخاوف
لكنني آثرتُ أن تمضي الحياة.. ولا أبوح

* * *

لو كنتِ لا تدرين ما كان العذاب ولا العتاب
لكنه قدري المعاندْ
أبدا يصب النار في روحي سدىً وسواي باردْ
وسواي يغتنم المغانم.. ثم ينتظر الثواب!!

«٢٢ يوليو ١٩٧٣»

مرثية الكلمات الميتة

للكلمات حينما تخرج من شفاهنا رائحة الأجساد في رقدتها الأخيره
فحاذروا أن تنطقوا إلا من الأعماق في رحلتنا القصيره
فنحن قد لا نلتقي ثانية.. وربما تطلبنا قبورُنا
من قبل أن نتم جملة وقبل أن يرى خيبتَنا غرورُنا

***

أيتها الأكذوبة المتربة الكفين
يا امرأة من الحصى تُرجم في الليل بها موائدُ الأحبه
ها أنذا أراكِ إذ تنفلتينَ فجأة من لعبة للعبه
ناشرة شباكك الملساء في شطين
ثم أراكِ خلسة تنتفضين رغبه
عبر الحديث الناعم الذي يمس القلب كي يشطره شطرين

***

أهكذا تطحننا الشوارع المألوفة الإيقاع والملامح
ويعرف الأصحاب أننا بلا مأوى
أهكذا يعيش في عالمنا المعذّب الرائع من يهوَى
تثقله حاجته للمال كي يتسع الطريق للمطامح
أهكذا نقول للآمال: لا جدوى
ما لم تكن جيوبنا ناطقةً بغير ما تحسه الجوانح

***

أخطأت يا جوهرتي لأنني من غفلتي عانيت في حبي كثيرا
اسمك كان غنوتي، ووجهتي في وحشتي كانت إلى ديارك
وفرحتي بالناس والأشجار كانت إن أنا سرت إلى جوارك
وكنت - مثل العاشقين - أرتجي بيتا صغيرا
أخطأتُ يا جوهرتي لأنني غرقت في أشياءَ لا تفيد
وكان لا بد من البحث عن المفتاح للبيت الذي أريد

***

كل القلوب أَغلقتْ أبوابها وصارت التجارة الدنيئه
تنخر في أرواحنا
أين المنى البريئه؟
وأين من - بحبه - يحنو على جراحنا؟!

* * *

تهدر في ذاكرتي برعدها وبرقها خواطري السجينه
تهدر في ذاكرتي.. تعبث بالسكينه
تقول لي بحرقةٍ: ألريح تفرد القلوع
وأنت لا تمشي
فلترتحل بلا خنوع
أو فأتِ بالنعشِ

* * *

عشقت في طفولتي شواطىء المحال
عشقت نجما لامعا، عشقت شوقي للرحيل في مدائن الخيال

وفي صباي كنت أعشق المثال حينما أراه مجلوا
أخلقه في لحظة، وبعدها أهدمه من نظرة ترهقني أو كِلْمة تقال
وجاء عشقي لك يا جوهرتي أثمنَ ما ملكتُ في رحلتنا المرهقة القصيره
أنبل ما عرفته.. وكنتُ مزهوا
لأنني عشقت في عينيك عالم الجمال
والآن.. والعواصف المشبوهة المثيره
تقتلع الأشجار إذ تهب في اتجاهنا
فلتحذري أن تنطقي إلا من الأعماق
ليستريح القلب من مرارة الاخفاق
ويثمر انتظارنا
فنبتدي رحلتنا معا إلى جزائر السكينة القريره

«١٤ أغسطس ١٩٧٣»

أغنية إلى الرجال

مباركٌ وثوقكم بالنفس والوطن
مبارك نضالكم.. مبارك إقدامكم على اقتحام النار
لتركلوا المحن
وتهدموا الأسوار
مبارك تكبيركم من بعد أن طال السكوت
وارتعشت أصواتنا وانبهمت كأنها قد أصبحت مرايا
تعكس ما تنقشه أعماقنا من قصصٍ تعرفها كل البيوت
أبطالها الضحايا

***

إنطلقوا عاصفةً تقتلع الذلة والهوان من نفوسنا
تزيح طين النكسة الكالح عن رؤوسنا

إذ تنزع القيود
من قدمَيْ سيناء
وتكنس الوهم الذي حاول اليهود
أن يغرسوه بيننا ليقلِبَ الميزان والأشياء والأسماء
انطلقوا عاصفة تهزأ بالسدود
تقول في انطلاقها: أين هم الأعداء؟!

* * *

انطلقوا إلى الأمام
لأننا نرفض أن تلتفتوا إلى الوراء
فنحن من ورائكم، قلوبنا تَعْضدكم مهما تكاثف الظلام
واحترفت عيون بعضنا الرجوع للبكاء

* * *

لا تسندوا آمالكم على جذوع المعجزاتِ والرؤى البهيه

فكل شعب خاض في زمانن معاركَهْ
لم ينتظر رجالُه أن تهبط الملائكَهْ
مهلكةً أعداءهم بنارها الخفيه

* * *

مصر التي كم ألقمتكم ثديها وباركتكم روحها الأبيه
مصر التي كم صبرتْ وصابرتْ تسألكم أن تدفعوا غول الظلام
عن صدرها الشرقيّ حتى يقبل النهار بالأغنية النديه

مصر التي كم سهرتْ في صمتها وحزنها لن تصبح الضحيه
لن تقبل اليوم السلام
إلا إذا تخلصت سيناء من أغلالها.. والمدنُ القصيه
عادت إلى أصحابها.. فانطلقوا إلى الأمام
تلك هي القضيه

«١٤ أكتوبر ١٩٧٣»

من أجل تلك اللحظة

ما أطول الطريق يا رفاقنا المحتشدين في خطوط النار
الشهداء عانقوكم، صنعوا منكم قذائف
فانفجروا - من أجلهم - لتقصموا ظهر المخاوف
وتنقذوا الأشجار

***

يا جندنا الثوار
الشهداء عاهدوكم أن تعيشوا بعدهم لتكملوا المسيره
وتوقفوا الأعصار
فترجع الشمس إلى بلادنا أميره

***

والفقراء قاسموكم خبزهم وملحهم لتصبحوا الطلائع
فخلِّصوا الصبية الأسيرة التي طال اشتياقهم إليها
لتخفق القلوب في الحقول والمصانع
وينشد الرجال أغنياتهم لديها

***

والأمهات قد جلسنَ صامتاتٍ في البيوت
يرقبن أنباء انطلاقكم إلى سيناء
لترفعوا أعلامنا وتطردوا الأعداء
وتخلقوا - بطردهم - نهارَ بعثٍ لا يموت

***

والشعراء أوقدوا قلوبهم وانتظروا ميلادَ روح ثائره
تعيد للأشياء نبضها، وللمدى اتساعه، وللجباه
عزتها.. وللنهار عشقه للقاهره

حيث الشفاه الظامئات تشتهي الحياه

***

كم صاح صوتُ اليأس في المهاجرين الضائعين
«لا.. لن تعودوا فاكتبوا وصاياكم وأخبروا أبناءكم أن الديار
ضاعت ولن تعود إلا في المنام فالأعداء أحكموا فرض الحصار
لا.. لن تعودوا فامكثوا وَسْطَ الخيام قانعين!»

***

والآن.. والوجه القبيح
يسقط في الوحل على أيديكم المظفره
فلتذْكروا أننا كم قد صبرنا واحتملنا عصرنا المر الشحيح
من أجل تلك اللحظة المجيدة المطهره

***

للريح أن تنام

للبحر أن يهدأ، للصخر العنيد أن يلين
وليس للثوار أن يرتقبوا المنام أو ينتظروا السلام
إلا إذا ساروا على طريقهم مظفرين

***

يا إخوتي كل الذي من أجله عشنا وغذته الرؤى الثوريه
نتركه وديعة غالية لديكم
فلترهنوا من أجلها أرواحكم ولتحفظوها حرة لديكم
فإننا - بعزمكم - نحتضن الحريه

«١٦ أكتوبر ١٩٧٣»

أحذية على الرمال

أحذية غريبة بغير أقدامٍ على الرمال في الظهيره
والجثث المحترقه
كانت إلى بلادنا تسعى لسحق الحب والطفولة الغريره
كأنها في سعيها قافلة من الأفاعي الجهمة المنطلقه

* * *

كانوا ضحايا وهمهم وخلَّفوا زوجاتهم يبكين والأبناء
يستحلبون اليتم في البيوت والشوارع
لأن آباءً لهم قد حملوا المدافع
ليقتلوا أبناءَ غيرهم ويرجعوا بخمر النصر من سيناء

* * *

كانوا يُعدون الهدايا
قنبلةً لكل طفل نائم يحلم بالرغيف والخضره

ويحسبون أن ما نشهده من الضحايا
سيُقعد الهمة عن تتبع الطغاة حتى تسقط الثوره

* * *

نفس الوجوه أُحرقتْ من قبل في فتنام
أصحابها كانوا يحبون انتظارَ طفلةٍ عائدة لبيتها
ليركلوها في حقول الأرز بالأحذية الغريبة الأقدام
ويذبحوها معلنين أنهم من أنبل الفرسان بعد موتها!

* * *

أصحاب هذه الجثث
قد خدعتهم فكرة وأقنعتهم قادة بأنهم منتصرون
وها هم الآن هنا مفتوحةٌ أفواههم كأنهم يستفسرون
عما تراه قد حدث؟!

«١٨ أكتوبر ١٩٧٣»

حوار مع الدم الذي أريق عام ١٩٦٧

كم قال لي الدم المراق
لقد سقيتُ الأرض يوما.. كيف تنساني
وتترك الكِلْمة - لا المدفع - تنعاني؟
ألست واثقا بأن الكلمات ترتدي أقنعة من النفاق

* * *

لشد ما طاردتَني في الصحو والمنام أيها الدم النبيل
لكنني... واآسفًا
كنت أريد مدفعا، ولم يكن لديّ غير كِلْمة معذبه
إيقاعها هزيل
وروحها تغص بالصواعق المحجبه
لذا تراني قد جلستُ تائها مرتجفا

* * *

كانت خطوط العجز في أوجهنا تنشقّ

والسنوات باهته
وكانت الرؤى تغيم بالأسى في دمنا والصحراء صامته
تعكس موتَ الحقّ

* * *

وكان أن سكتُّ وانكمشتُ مكرها
وحينها أرادت الأشجار أن تغني
أفشيت سرها
ثم اتهمتُها - بكل قسوة التجني
بأنها خائنة لكل ما تحسه نفوسنا المنكمشه
لأنها تطرب للأغنية السعيده
وتستمد - عادة - غناءها من جهة غامضة بعيده
وقلتُ: أبعدي غناءك السعيد عن خطى بلادي المرتعشه

* * *

لم تكن الأشجار قد غنت، ولكني انتفضت غاضبا

وفجأة أشعلتُ فيها النار ثم لذت بالحسرة والدموع
وبعدها - يا ويلتي - أخرجت نفسي شاحبا
من بين أشجار تفحمت ولم يعد لروحها هنا رجوع

***

تثاقلتْ أيامنا الشائهة الملامح
والجوع يطحن القرى، وأوجه المنافقين تلعق التضليل
وتشتري الكذبة بالكذبة، والتصريح بالتسبيح والتهليل
وتنصب الشراك ثم تنحر الذبائح
وضعتَ يا دم بلا معنى على الرمال
في الصحراء الصامته
وانتظرَ الرجال
واندس في العروق ملحُ السنوات الباهته
ملح بلا شكل ولا طعم يظل يفسد المطامح المرتقبه
وكان لا بد وأن ينفجر الشروق

بالقلق الهادر في مظاهرات الطلبه
والأمل الطاغي بان تنطلق البروق
وكان لا بد من الموت لكي تنطلق الحياة في مسارها
وكان لا بد وأن يستيقظ الرجال
ويكنسوا انتظارهم ويبدأوا القتال
ويدفعوا دماءهم مخلِّصين أرضنا الحلوة من إسارها

* * *

يا أيها الدم الذي أريق فوق أرضنا في الزمن المر البعيد
ها نحن قد سرنا
انطلق الرجال للقتال، والدم الجديد
أكسبَكَ المعنى
فكان أن أشرقتَ في سيناء والجولان بعد الليل والصمت البليد
وكان أن باركتنا مستقبلا أحلامنا في وطن حر سعيد

«٢٤ أكتوبر ١٩٧٣»

أغنية حب للسويس

حين تقاتل الحجارةُ التي تسقط من بيوتك المهدمه
وحين يسقط الغرور
أمام هذه المداخل التي تُرِي العدو جانبا من القبور
وحين ننتهي إلى مدرعات الغدر إذ تحشرجتْ محطمه
نعرف كم تحترقين الآن من بيت إلى بيت ولا تستسلمين
نعرف كم تستبسلين

***

فليقبلوا بغدرهم، فانهم شراذم النازية المنسيه
وإنهم أعداء هذا الأمل السامي بأن تنطلق الشعوب
وتوقف الحروب
ليغمر الإخاء قلبَ الكرة الأرضيه
فليقبلوا بغدرهم، ولتسهري فانهم لن يتركوك سالمه

إلا إذا تساقطتْ أجساهم على يد الرجال من أحبابك
وآمنتْ قلوبهم أنك لست نائمه
ولن تنامي لحظة، ما دام للعدوان أذناب على أبوابك

* * *

أيتها المدينة الساهرة التي عشقت صبحها وليلها
وحينما عانقتها نقشتُ في قلبي الحزين شمسها وظلها
وحينما أبصرتُ في الشوارع الخاوية الجنود والأحجار
تمايلتْ، وكلمتني أصغرُ الأشجار
قائلة: لا تبتئسْ.. فنحن لن ننهار
أقول: يا سويس يا قديسة غاضبة تعمدتْ بالنار
بيوتك التي تهدمت سَتُبنى من جديد حين تلقَى أهلها
فليقبلوا - أعداؤنا - مع الحليف الغادرِ
ولتسهري وتَذْكري بأن في دمائنا طاقات شعب صابرِ
يعرفُ أنك التي ما خدعتْ قلوبنا يوما بعشقنا لها

«٢٨ أكتوبر ١٩٧٣»

أمطـــــريـنـــــي حبـــا

حبـــذا لـو كـــان التـلاقـــي قـريبـــا
فـــالليـــالي قـــد بـاعـــدتنـــا مـــرارا
واختفـــى مـاء النبـــع عنـــا غـريبـــا
وتفتتنـــــا وحشــــةً وانكســــــارا
وتـــرقبنـــا أن نـــــلاقـــي حبيبـــا
تخفـــق الـــروح حين يــــأتي انبهـــارا
وانتظـــرنـــا عَـــلَّ الـــرؤى أن تطيبـــا
ثـم ضـــاع العمـــر الجديـــب انتظـــارا
فســـألنـــا ليـــل الأســـى أن يجيبـــا
كيـــف شِخْنـــا ولم نصـــادف نهارا؟!

***

ها هي الوحشة الحبيسة تصحو
فاصمت الآن يا صديقي المنافق
أنت لما كاشفتني باح جرحُ
بالذي لم تَقُلْ وشبت حرائق
توغل الريح في أسانا وتمحو
عبقَ الورد من قلوب الحدائق
والليالي قالت قد انهد صرحُ
بينما أنت تزعم النبع رائق
ثم لما تهنا ظللت تلحُّ
بالذي لم يَعِدْ به الحب طارق

***

أمطريني حبا فإني انتظرتُ
في صحارى الصمت العبوس وتهتُ

إننـي عشـت مكرهـا واحترقـتُ
قبـل لقيـاك فـاشهـدي كيـف كنتُ
كنـت أرجـو أن يجمـع الشمـلَ بيـتُ
حين يلتـف في مـدى العمـر صمـتُ
كيـف بـاللـه لحتِ لي فـابتسمـتُ
ونسيـت الـوجـه القـديـم وسرتُ
في دمـي وعـدُ فـرحـةٍ منـذ ذقـتُ
طعـمَ أنـوارك التـي قـد ضممـتُ

«٦ يناير ١٩٧٤»

يا عشاق العالم غنوا..

يا عشاق العالم.. غنوا معنا شوقا للحريه
وأضيئوا النور ودكوا السور وقولوا للفرحة: أهلا
وأزيحوا الخوف مع الأنقاض وقولوا: لا
في وجه طغاة البشريه

* * *

يا عشاق العالم غنوا ولتشتبك الأيدي ولنصعد بالفقراء
جبل الآمال القدسيه
ولنسخر من دجل الكهان ومن أوجه كل اللؤماء
ممن يكبر عالمهم في يوم معتل
يوم معتل تتوالى فيه الخطوات الهمجيه
ولنُصلح دوما ميزان الكون المختل
ولنفتح آفاق الأحلام الفضيه
لا في خَدَر النوم الخداع

لكن من شوق جموع الناس للقيا الأرض السحريه
ولكي نتلاقى دون وداع
ونظل نسير لكي نبعد شوطا عن مملكة الأشباح الوهميه
ونظل نسير.. نظل نسير
نحيا أياما.. ثم نضيع.. نضيع مع الأيام المنسيه
لكنْ يبقى منا أنا كنا للفرحة خير نصير
يا عشاق العالم غنوا الآن فإنا منذ صحونا
وتنفسنا رائحة أخرى غير الرائحة الملعونه
وتعلمنا لغة الدم، والنيران تشب
أدرك كل منا أن الطرق المأمونه
لا يسلكها غير الجبناء
فتسابقنا - في طرق النار - إلى لقيا الأرض المحزونه
لنقبل تربتها شوقا ونهدهد أرواح الشهداء
ولنحمي النور ونحمي الحب

«١٨ يناير ١٩٧٤»

العـــودة إلى الســـويـــس

ترحب بي حين أمشي شوارعُ مشتاقةٌ.. كم تجولتُ فيها
وأفتح صدري.. كأنيَ طيرٍ سجين يعود إلى عشه
وينسى أساه على قشه
فيهمس للعش في سكرة العشق: لستُ أرى لك عشي شبيها

***

أحبك حين تباعد بيني وبينك أذرعة لا تطاق
أحبك حين تثير العواصف حولك حقدا وشوكا ورملا
أحبك في كل حين ولست أخاف الفراق
لأني أحبك أكثر حين أشمك - في البعد - وردا وفلا

***

وكم فرقونا.. وكم باعدونا

ولكننا لم نزل نستطيع احتمال الهوى واحتمال الرزايا
وفي كل يوم نزيد ولوعا، نزيد اشتياقا، نزيد جنونا
ونعرف أن طريق المحبة وعر.. ويسقط فيه الضحايا

* * *

جننتُ زمانا.. وكان يطاردني وجهها حين ألقَى الصحاب
فتعبس كل الوجوه ويمتد بين القلوب
وبين زمان التفتح سور
وكنت إذا ما انفردت بنفسي
أمد يدي لكتاب، وأقرأ بعض سطور
ولكنّ وجه التعاسة كان يطل عليّ.. فأطوي الكتاب

* * *

وهذا الصباح
رجعت ورحتُ أفتش وَسْطَ الخرائب عن زمن ضاع مني

أقول بأن الطريق طويل
ولكنني عاشق لا يبالي
وقد عشتُ حينا غريب الديار أداسُ بأقدام سود الليالي
وآن لوجه التعاسة أن يغرب اليوم عني

* * *

ستصحو السويس
على أغنيات الرجال وهم يكنسون بقايا الظلال البليده
ويصحو الخليج على غمغمات القوارب تسعَى
وتصحو المزارع. حقل يعانق حقلا، ويزداد كلُّ بهاءً
ويخضر زرعا
ويصحو التفتح.. يصحو الصغار وهم يَعْمرون البيوت الجديده

«٢٦ يناير ١٩٧٤»

الميــلاد الجديـــد

* عشقتُ ابتسامك حين ابتسمتِ، فقلتُ لقلبـي: تمهل.. فإن الطريق إليها مليء ببعض الحجار، وفي الورد شوكٌ يشق ثياب الأغاني.

* وكنـتِ الصـديقة يـومـا، فكـوني كما كنـت ألقاك حين أنـوء بهمـي، ويصفر غصني إذا ذكـريات الأحبة شدت وثاقي، وألقـتْ على شاطىء العمر بعض حطام الأماني.

* أضعتُ مع الشعر دفـء الشباب، وفي سنـوات الضياع تلمست وجه التي يستقر لـديها المسافرُ، لكنني لم أزل في طـريقي الطويل مـع الشعر، يخنقني إن كتمت، ويجبرني أن أعاني.

* لماذا إذن عدت أسعـى إليك؟! أهذا لأني أحاول أن أسعـدَ الآن بعد الذي قـد أضعت مع الشعـر طول الطريـق؟ وبعد تعلق روحـي بروح

الأسى واعتقال الهوى في جميع الموانى؟!.

***

* تنفستُ صوتـك حين أطل الصباح دفيئا، وردد أغنيـةَ الشمس حين تحاصر صمت النعاس الصدىء.

* تنفست صـوتك رغم تكـدس بعض المخـاوف، رغم مسافـات هذا البعـاد الطويـل تنفسـت صوتـك، أحسسـت أنـك في البعد والقـرب سيانِ: يشتاق قلبـي إليك، ويهفو خيالي إلى وجهك الشـاعري، فأمشي إليك بفرحة طفل بريء.

* تَحرر من أسْر كل المخاوف حين استقر لديك، ليعلن في النور ميلاد حـب جموح الرغـاب، طمـوح الملامح، يبقـى يهيـب بنا ان نغنـي، وأن نتحدى الزمان الرديء.

«١٨ فبراير ١٩٧٤»

مشهد الغروب على البحر

على شاطىء البحر كان النهار يبعثر آخر ذراته الهامده
وتتكيء الشمس متعبةً فوق صدر المياه تحاول أن تستميت لتبقى
ولكن ُسدًى....
فها هي تسقط في البحر حيث يكفنها الموج ثم يواصل رحلته الشارده
وقرب التقاء السماء مع الموج يولد شبه سوادٍ خفيّ كأشباحِ غرقى
ويمتد.. يمتد.. حتى يحاصر روحي، فأبكي، إلى أن تلوح
وجوه صحابي، فنمضي سويا نحاول قهر الأسى، أو نثرثر كي
نُغفل المشهدا

تبعث في صبح اليوم التالي الشمس
وأقول لمن يطرق في الصبح الباب
أين الأصحاب؟

الأصحاب افترقوا بالأمس!!

أُثبِّتُ قلبي بصدري، وعنوانَ داري بجيبي وأخرج.. أسعى -

أطارد صمتي بأغنية من أغاني الحياة يرددها في الليالي الصحاب

وعند الظهيرة أمضي الى البحر، حيث أرى الشمس تسعى وتمعن في

الأرض لسعا

وجمراتها تقهر المستحمين والنائمين على الأرض - مندمجين ومغتربين -

وفي البحر ملح عتي، وفي القلب ملحُ

أشد عتوا، يوشوشن روحي ثم يضج، ويعلن أن نهار النضارة غاب

فأهتف بالمستحمين والنائمين على الرمل: أنتم تموتون صرعى

ألا تسألون لماذا؟ إذن فامرحوا يا وجوهاً تغيب خلال الضباب

أتشاغل بالعبث المجنون بأصداف البحر

بحفيف الأغصان الجافة والخضراء

وأقول لروحي - وأنا ألمس بعض الصخر

فلتنطلقي حتى لا تنتظري جثة أحد الأحياء!

يداهمني بالنعاس غريم قديم - جديد، ولست أراه

وذات صباح سَيُهرع أهلي إلى أصدقائي

يقولون: «إن فلانا تخاذل رغما عن الأغنيات».. ويخلو مكانُ

فلان ليأتي سواه

فيجهش بعض من الأصدقاء: «رأيناه أمسِ يُغني، ويرنو إلى

نجمة في السماء»

ويبقى المكان

وتولد شمس الصباح، وتغرق في البحر، ثم تعود مع الصبح

تولد.. إلا فلان

هو ذا يرقد رطبا في الأرض الصخريه

يخرج - في زمن ماَ - قطعة صخر

تتقاذفها أيدي الصبيه

فوق شطوط البحر

وتبقى الحياه

تجدد دوراتها باشتهاء، وُتزج من ذاتها في سخاء، لِتُغنى بميلاد أطفالها

ويبقى - على الرغم مما نراه - جياع يحيلون إشراقة المتخمينَ

شحوباً، ويبقى جياع يغنون للمتخمين، وفي الليل

يفتح كل نوافذه المغلقات، فيصحو أساه

ويبقى أناس على الأرض يقتتلون لكي يرقدوا جنب أطلالها

ويبقى شقيّ ينادي أخاه، ويصرخ فيه: «لماذا - ونحن على الأرض -

نبقى نغوص بأوحالها؟»

وتبقى قصائدُ حب تمجد - رغم عذاب الحياة - الحياه

«٢٠ أغسطس ١٩٧٤»

مدخرات الليالي

سأنتظر الشمس رغم اجتياح الغروب وأنتظر النار رغم احتشاد الرماد
وأسعى إليك برغم احتجاج وجوه الصحاب الغضاب لعل الهوى
يستعاد

فمنذ افترقنا حسبتُ بأني سأشرد يوما
وبعد الشرود أعود لحالي
فأغمض عيني وتنعم روحي براحة بالي
وأهتف كان غرامُكِ وهما
ولكنني يا أميرةَ شعرى عرفتُ حرائق ليل السهاد
وأن غرامك داء نبيل تغلغل بين خلايا دمي
وطاردني في زحام الوجوه بغير اتئاد
وألقى ظلال الأسى المعتمِ

***

بأجنحة الذكريات أرفرف رغم احتشاد الصحاب جواري

وحين أرفرف حتى العياء، ويعتصر الروحَ جوعٌ مقدس
ويمتزج الحزن بالليل وحشين يشتركان معا في حصاري
أرى شفتيك على الأفق تبتسمان وألمح نبع المنى يتنفس
فأذكر تاريخ قلبي وأذكر كيف عرفتك أول مره
وكيف تشهيت فيك الطفولة رغم التقلب منذ عرفتك أول مره
وكيف تمنيت لو كنتِ أنت بهاء الهوى الأول المستقر بروحي الغريبه
لأهمس أول كلْمة حب أرددها في حياتي انبهارا بأبهى حبيبه
وكيف تمنيت لو عشتِ قربي لحد النهايه
لأهمس آخرَ كلْمة حب لحسنك قبل ختام الروايه

***

بأجنحة الذكريات أرفرف.. آه من الذكريات ومني
تلوحين لي في الخيال برغم غيابك عني
ويمضي خيالي إلى صخرتين على كتف البحر في «كيلبترا»

صعدنا إلى الصخرتين معا كنت أنت بملبسك الأخضر الساحر اللمسات

ملاكا طهورا بهي الخواطر والقسمات
أفاضتْ عليه طبيعة مصر من الشرق سحرا
وكنتُ جوارك طفلا يغار وقلبا تنفس حبا وصار التنفس شعرا
وأخرجتُ قلبي - بشعري - من الأضلع المحكمات
لأصنع منه مظلةَ حب تقيك من الشمس والهمهمات
، وتعبر ذكرى لِتُبعث أخرى
ويمضي خيالي ليسرد كيف صمدتِ لطيش الهواء الجموح
رأيتك جالسة - في هدوء الملائكة - تبتسمين
ورحت وأنت على الرمل قربي تحلّين شَعرك، والنسمات
تداعب جهرا أرق جدائله الناعسات
وكدت بحبي أبوح وأكشف عمق الجروح
سمعتُك وقتئذ تسألين

«أأحببتني يا صديقي؟ أم انتشت الروحُ بالبحر والأغنيات؟»
فرحت أحاول أن أستعيد حكايا الصبا من كهوف السنين
وأغفيتِ أنت قليلا على الرمل تنتظرين
ولما صحوتِ همستِ بأنك نمتِ انتشاء بصوتي وبالبحر والأغنيات
وحين تلفتُّ نحو البلاجات آخر مره
رأيتك تمشين جنب المراكب ذاهلة الخطوات
تقولين شيئا وتخفين أشياءَ عاشت ببالي بلا كلمات
ففاض من القلب في السر طوفانُ نار، وكدتُ أرقرق عبره
وفوق رصيف المحطة كاد التكتم يُفلت مني مرارا
وخُيل لي أن قلبك يبكي برغم التبسم فوق الشفاه
وعدنا لأن الزمان البخيل يمر وليس يطيق انتظارا
فآه من الذكريات.. وآه..

***

أأنسى؟ وكيف سأنسى ونحن بجلساتنا في المقاهي

وتكرار جولاتنا في البلاجات، تكرار سهراتنا في الملاهي
كمن يعصر الخمر من كل عنقودِ كرمٍ يمر عليه بلهفه
ليكتنز مدخرات لليالي المنى والفرح

***

....
كأنكِ جسر إلى المستحيل
أمر عليه وبالحب يعرف قلبي الطريق بغير دليل
وبالحب نصبح نحن ملائكة نستطيب الحياة برغم الزمان البخيل
ورغم الزمان البخيل الذي يحتوينا بأعصابه القاسيه
أظل أناديك يا نائيه
لأن المحبة أقوى من النار والمستحيل

«٨ أكتوبر ١٩٧٤»

وتشهد السنوات

عشقت حدائق الليمون في شفتيك منذ سَرَتْ إلى روحي روائحها
وعانقتُ الذي عشناه مؤتلِفَين تجمعنا حدائق عالم أخضر
وكنا نعشق الدنيا وتبهرنا ملامحها
وكنا – من قرار القلب – نضحك أو نثرثر.. والمساء الرحب
يدعونا لأن نحكي وأن نسهر
وكنا – في سذاجتنا – نغني أو نُشيد قصرَ أحلام.. ونسكنه
ونغمر جوه الصافي بموسيقى أمانينا
ونمرح في جوانبه إلى أن نلمح الحساد بالأحقاد آتينا
فنهجر قصرنا الوهمي كي نُخفي عن الحساد فرحتنا.. وننتظرُ
تفرق شملهم عبر السراديب الخفية حيث لا يبقى لهم أثرُ

***

كبرنا.. آه يا ليلى.. من الشبح الذي أخفته فرحتنا عن القلبين

كبرنا بعد فرقتنا وضاعت أجمل الصفحات
وأغرانا التطلع والتلفت للوجوه بأن نتوه ونهجر القصر الذي شدناه
من سنوات
لريح البعد تطمره وتشطره إلى شطرين
كبرنا نحن ما عدنا صغارا نحسب الأيام بالدمعات والضحكات
كبرنا بعد فرقتنا وصار الحب عملاقا جموحا أرعن الخطوات
يوجه روحي العطشى إليك برغم فرقتنا
وينشر في دمي - رغم الأسى - عطرا خرافيا يذكرني بفرحتنا

***

أتذكرنا - برغم البعد - يا وجهَ الخيالات الجميلة والرؤى الحلوه
أتذكرنا..؟ وماذا لو نسيتَ!! فان صمت الحب أغرانا بأن ننسى
إلى زمن فضلَّتْ عن عوالمنا خطى النشوه
أتذكرنا.. وقد عدنا نجرجر خيبةَ المسعى

تباعدت الخطى.. كلٌّ تولى في طريق.. والأسى الباقي يحاصرنا
ويجلدنا.. وأشباح السراديب الخريفيه
ونحن نسير والماضي يلاحقنا.. ويغمر روحنا شجوا رماديا..
وُيب صوتنا دمعا
فكيف نسير يا وجها تفتح في طفولتنا وأسكرنا - بلا خمر -
من الروح الربيعيه؟
أسائل صخر أيامي لماذا كانت الصحوه
فإني كم أريد النور يأتيني.. فلا يظهر
ولا تلقى خيالاتي حدائق عالم أخضر
كأن نهاية التجوال تُسْلمني إلى هوه
* * *
أحبك في زمان ضل فيه الحب فانطلقت به الضحكات فاترةً بلا
نبض ولا أعماق

أحبك.. تشهد السنوات أني كم كبحتُ جموح أشواقي إليك
وسرت مغتربا بلا وطنٍ
وقلت لعل وجه الحب يذكرني ويصحبني
فكم ناديتُ روحك منذ أغلق صحبك الأبواب في وجهي وضاقت
ساحةُ الأحلام بالأشواق
أحبك.. آه يا ليلى.. وتعترض الخفافيشُ البليدة حيث لا نحيا
ولا نحظى من الزمنِ
بغير لقاءِ أحبابٍ تلاقوا في شتاء غائم اللحظات والآفاق

«٦ نوفمبر ١٩٧٤»

أقـول أحبـــك

طفـولتنـا تستعيــد ربيـع النضــارة رغـم الخطــى العـائـرات إذا
ما التقينا

فمدي يديك إليّ وسيري بقربي ولا تسأليني لأينا
ولا تسأليني لماذا أَحَبك قلبي الظمى
فيكفي بأنا نسير مع الصبح جنبا لجنب
وأنك تبتسمين إليّ
وفي بسماتك أنشق أنضر باقات حب
ويكفي بأنك تنتشرين خلال خلايا دمي كانتشار الشعاع البهيّ
وأنك رغم اجتياح جحيم المسافات أقربُ من كل وجهٍ قريب
لديّ

***

أقول أحبك ليس لأنك أذكى وأنقى من الأخريات
وليس لأنك منهن أجمل
وليس لأنك طفلةُ قلبي التي كم تغنت بها الأمنيات
وليس لأنك مرفأ عمري الذي كم تجول
ولكن لأنك حبي فحسب
أقول أحبك ثم أسير وأحلم أنا نسير مع الصبح جنبا لجنب .

***

أقول أحبك بعد ازدحام الرؤى بالدخان
وكم قلتُهَا في ليالي الطفولة منذ التقينا على الود والشعر ذات مساء
وكنا صغارا بدهشتنا في العيون ونظرتنا للزمان
يغيم الشتاء
فنحلم فيه بدفقة خير ونفرح حتى كأن المطر
خيوط حريرية من نسيج مُوَشى يجيء ليكسو عرايا الشجر

وفي الصيف كنا نتوق لجمع شعاع القمر
لنصنع خيمة حب يقيم بها المتعبون فيرحل عنهم عناء البشر

***

أقول أحبك.. ما من قصيده
يبرعمها الحب إلا وروحي تناديك فيها
وحين اكتست بالوساوس آفاقنا - منذ غبتِ - فلم تسمعيها
سهرتُ أردد في الليل بعض مقاطعها للصحاب فتجهش روحي
الشريده
وها نحن بعد انفلات الطفولة منا نعود لحيث التقينا
تعودين أنت أسيرة ظل تدوس خطاه على الذكريات التي ترقد
تدوس خطاه على صدرِ حلمٍ أضعنا نضارته من يدينا
تدوس خطاه علينا و إن كان لا يقصدُ

***

أقول أحبك رغم جحيم البعاد فإن طفولتنا تستعيد النضاره
إذا ما التقينا
ووجهك نبع من النور تشرق منه الطهاره
وإن كان قلبي يعود ظميا ويسأل: ماذا تُرَى قد جنينا؟!!

«١٠ نوفمبر ١٩٧٤»

أشواق الورد العطشان

يا سيدتي يا ذات العينين المسكرتين بما في النظرة من إيقاع الألوان
يا كرمةَ حب أعشقها
وأمد يديّ لأقطف منها في فرحة طفل نشوان
لا يرجفه إلا صوت الحراس وميراث الحرمان
فتشب النار بأعماقي وتكاد الوحشة تحرقها
لكني حين أراكِ أغني منتصرا.. ويحاصر مَرآك الأحزان
يا أغنيةً أتنفسها وأخفُّ إليها أين تكون
أتملاها مأخوذاً بالحُسْن برغم الشجن المترقرق في النغمات
فأنا مفتون
طوحني الحب وألقاني طفلا فوق شواطئك المغمورة بالذكرى
والخفقات

يسألك: لماذا جئتِ إلى الدنيا قبل مجيئي.. وتكدست السنوات
مترملةً قبل لقانا، واندفعَ إلى أعماقي خنجرها المسنون
حتى انطلق الوجه الساحر وانتزع الخنجرُ من أعماقي
فتنفستُ طويلا.. وانطلقتْ تسعى في إثرك أشواقي
وهنا ابتسم الوجه وقال بإيمان: «إنا حين نجود بفيض الحب
تتداعى الجدران وتنهد.. فتصبح دنيانا أحلامُ القلبين
لا نفزع وقتئذ حتى لو سرنا في طرقات الرعب
بل نلمس قلب الأشياء ولا نسألها كيف؟ وأين؟!»

* * *

في اليقظة - يا حبي - والحلم
في نبع الماء يفيض وفي غضب البركان
في وجه الطفلة حين يزغرد بالدهشة دون عناء أو هم
في صورة أُمّ تحتضن الأطفال وتشبعهم دفئا وحنان

في سفن الشجن تجيء من الماضي والحاضر والحب الأول
في صخب شوارع مزدحمه
في أغنية تتجول في أنحاء الكون المحزونة والمبتسمه
في المطر الساقط من أجفان الليل على قلبي المثقل
يتملكني وجهك كالسحر ويأخذني حبك للنور
لأحطم جدران الوحشة وأمد إلى الأحلام جسور
فانطلقي عبر النشوة للزمن الآتي
يا ذات العينين المسكرتين بما في النظرة من إيقاع الألوان
لا تخشي شيئا وانطلقي رغم هدير القلق العاتي
فبقربك - يا حبي - إنسان
أغراه الحب بان يحيا قربك حتى يبعد قلبك عن طريق الرعب
فيفيض خيالك أشعاراً تترقبها سفن العشاق ببحر الحب

***

قلبك بستان
يورق في روحي ممتلئا بالغبطة والأحزان
فيه الورد وفيه الشوك وفيه الشجر الأخضر واليابس.. والنبع السكران
وترفرفُ فيه بأجنحة الماضي موسيقى لا أتبينها.. من أين تجيء
وأغار كثيرا.. وأفضل ألا أسأل من أين تجيء
لكني في الوحشة أهمس: ضميني في رفق وحنان
وأذيبيني نغما في إيقاع الألوان
فأنا في زحمة بستانك - يا سيدتي - ورد عطشان

«٢٣ ديسمبر ١٩٧٤»

العالم في قربك

* في الليل أراك مرفرفة.. تتوحد في روحك موسيقى من عبق الأزها ر المزهيات بنبع الماء.. وصدق القلب... وسحر الشعر.
* أعشقك ولا أهمس.. «يا حبي...» إذ أجلس - رغم النشوة قربك - مزدحم الصدر.
* تترصدني أحزان خافية حيناً أو بادية حيناً ويزلزل أعماقي إعصار من ضجر العالم يطرد أمني ولذا تثقلني أعباء متلاطمة كمياه البحر.
* لكنك حين تمسين بنظرة حب أعماقي أصفو إذ أطفو فوق الموجة مبتسما وأقول: «أحبك ياحبي» لا غير.
* فأنا لا أملك غير الحب.. وأشعار أترقبها تولد.. حين تعلق روحي في مخلب جمر.
* وأعود أراك مرفرفة تتوحد في روحك موسيقى من عبق الأزهار.. فأنفض قربك أعبائي.. وأحس بأن الحب يشق الصخر، وأني - في

قربك يا مؤنستي - سأشق الصخر.

* لكنْ عفوا يا مؤنستي.. هل أجرؤ أن أسأل

* لو لم تكن الأعباء تزلزلني هل كنت أحبك في هذا الزمن البائس!!

* حيث الحب بضاعةُ تجار يحترفون التمثيل ويلهون مع المخرج في توزيع الأدوار وفي الزينة والملبس والمأكل؟!

* لو لم تكن الأعباء تزلزلني هل كنت أحبك يا ذات الوجه المتهلل والصوت الهامس؟

* * *

* قولي ما شئت.. فإني قد خنتُ ضفافاً كانت لي من قبلك.. وارتحت إلى لمساتك تنفض أعبائي وتُنضر لي كل الأشياء.

* قولي ما شئتِ.. فإن العالم في قربك - يا حبي - أغنية متآلفة النغمات برغم الوحشة والأعباء.

«٢٧ ديسمبر ١٩٧٤»

مرثية الطفل الذي جاوز الخمسين

«إلى روح الشاعر محمد الجيار»

يا حبيبي نحن أحببنا وعانينا بما فيه الكفايه
بيتُك الصامت يشهد
كم سهرنا فيه نشكو ونداوي الجرح بالجرح إلى أن نتنهد
وإلى أن أسدل الغيبُ ستار الموت فاجتزتَ سراديب النهايه

***

كم سهرْنَا يا حبيبي وتجولنا بقرب النيل صيفا وشتاء
وتأملنا السماء
حين تصفو أو تغيم
ولمحنا في فروع الشجر الذابل ظلا لغريمٍ مستديم
فتشاءمنا وقلنا إن عصف الريح أقوى منَ أغاني الشعراء

ثم عدنا نتهادى وتحدثنا عن الحب وأنشدنا القصائد
وتنفسنا طويلا وشهدنا الفجر يحبو في ابتهالات المساجد
فتفاءلنا وقلنا إن نبض الشعر أبقى من متاهات الفناء
لم أكن أعلم أني يا حبيبي لن أراك
لم أكن أعلم أني يا حبيبي لن أراك

* * *

لستُ أرثيكَ فإني ذاهلٌ حتى العياء
إنما أرثي زمانا شاردا ضاع انتظارا
لضفاف الحلم نجتاز إليها ألفَ بحر من دموع ودماء
ولشمس الحب تخضر وتصحو ثم تجتاح نفوس الأدنياء
ولطفل يولد اليوم فلا يبكي انكسارا
مثلما نحن بكينا منذ رُبينا صغارا
لست أرثيك وإن كنت أرى عبر الفناء

قطعةٌ من ذكرياتي وشبابي تتوارى

***

تلبس النار ثيابَ الذكريات الغافيه
كنتَ طفل الشعر تلقي في ذراعيه همومك
كنت تخشى أن يلومك
فتعيد البيت تلو البيت مراتٍ لتجتاز بقربانك جسر الهاويه
كنت طفلا جاوز الخمسين يشكو من دعابات الأصدقاء
ثم يشتاق إليها إن تولوا عنه ليلا حين ينفض اللقاء
كم تخاصمنا وألقاك فتنسى.. أو تلاقيني فأنسى.. والمدينه
نصف أهليها يصب الزيف والزور بأكواب الضغينه
نصفها الآخر جائع
يتلوى في الشوارع
وحشةُ الليل التي كم كنت تشكوها إلى الصبح تداعتْ دون آه
واحتوتك الوحشةُ الخرساء في ظلمةِ قبرٍ فيه صمت حجري

أنت يا من كنتَ قلبا مستهاما بالحياه
وعدوّ النوم في الليل لماذا بعتَ دنيانا بنوم أبدي؟
لماذا يمهل الموت أناسا كاذبين
ويولّي من أضاعوا العمر بحثا عن نهار ضاحك للآخرين؟!

* * *

هكذا متّ وحيدا وغريبا دون أن نحظى بلقيا من جديد
غبتَ عن عيني فراحت قطعةٌ من ذكرياتي وشبابي تتوارى
غبت عن عيني ولكن لن يغيب الحب من قلبي الشريد
وسألقاكَ قريبا - مثلما كنتَ تراني - حينما يدنو الغريم
فانتظرني يا حبيبي وانتظرْ ذكرى زمانٍ شاردٍ ضاع انتظارا
وانتظر حبي المقيم...

«٨ ابريل ١٩٧٥»

وجهها والمسافات البعيدة

ما تحدثنا عن الحب وإن كنا انطلقنا في أحاديثَ كثيره
عن شروق الشمس في البحر وعن طير تناديه جزيره
ليغني في سماها
موقظا نهرا من الأشواق للنضرة يمتد.. فيخضر ثراها
وتلاقينا مرارا وائتلفنا وامتزجنا جلسةً في إثر جلسه
فتوارت سفنُ الماضي وراح الأفق المسكر يمتد طليقا
والغناء الصامت انداح من الروح رقيقا
منذ ناديتُكِ همسا وأنا أنظر مفتوناً إلى عينيك خلسه

***

فجأة ألقتْ خيالات من الماضي ظلالا واستباحت قسماتي
وجه مرآتي انجرح

هكذا في لحظة ضيعت أزهى كلماتي
واشتياقي للفرح
....
....
آه يا جرحي الجديد
في شروق الشمس موسيقى يناديني إليها وجهُكِ الرائق كالنور
على زهرةِ فُل
فأغنيك وإن كنت أغني خائفا من ذكريات تجرح الوجه السعيد
أو ضباب فيه طعم الخيبة البكماء في مشهدِ إحباطٍ وذُل
لا تقولي: «ولماذا يا صديقي تستعيد
ذكريات تتعرى في لظاها دون ان تفتح أبوابك إلا لنداءات
القتامه»
أتقولين لتمثالِ عذابٍ: حَيٍّ شمس الصبح وانعمْ بابتسامه

وتفاءلْ بالجديد؟!!
إنني حاولت أن أحيا ولكني وجدت العالم الأهوج يطويني ويستل النضاره
ووجدت الموجة الرقطاء تمتد وتعلو بالوجوه الكالحه
ووجدت الحب مبذولاً لمن يدفع أكثر
في حوانيت التجاره
وتعثرتُ مرارا حين مس القلبَ خنجر
وأنا أجتاز طوفانَ كلابٍ نابحه

***

منذ أن كنت صبيا ورغابي جامحه
كانت الدنيا بيوتا عضها القهر وأكواخا نراها مستكينه
وأنا كنت أحب الوردة الحمراء والأطفال والقمح المغني في ابتهالات السكينه

وتنقلتُ بأشواقي جريحا حيث شبت أغنياتي صائحه

طلـــع الفقـــرُ علينـــا مـــن ثنيـــات الخداع
أيها المكبـــوتُ فينـــا سرْ بنـــا فـــالحقّ ضـــاع
إنهم عـــادوا فقـــالـــوا إنما نحـــنـــن رعـــاع
فتـــأهـــبْ لانطـــلاق وتـــأهـــبْ للصراع

هكذا سرتُ جريحا فإذا جئت أغني كالعاصفير الطليقه
أنكرتْني ذكرياتي وتداعَى - في خيالاتي - ركامُ البارحه
أسألي - يا نور عيني - أصدقائي عن عذاب البحث عن شمس صديقه
كلنا يحمل جرحا مستكنا ويداويه بملح الصبر.. والأفْق صقور جارحه
فإذا كنا نغني فلأنّا نحلم اليوم بأيام ستأتي وبآفاق جديده

هل تُرى أنت سعيده؟!!

***

ما تحدثنا عن الحب وإن كنا انطلقنا في أحاديث كثيره
والأحاديث جسور للقاءات ولكنّ المسافات تطول
وبرغم الجرح - يا حبي - فإنا نستطيب الملح من أجل الوصول
نحو شطآن الجزيره
لنغني في سماها بعد أن نجتاز طوفانَ الكلاب النابحه
يومها يضحك قلبي ونرى الشمس وترتد الوجوه الكالحه

«٥ مايو ١٩٧٥»

الآمال.. والموت المزخرف

بعينيك آمالي التي يرتجيها العمر مذ بات قلبي مؤرَقا
وتعشق فيك الروحُ نضرة أيامي ونبض كآبتي
كأنك وعدٌ في عيون الجميلات اللواتي نأى عنهن ركبُ صبابتي
وجئتِ فجاء الوعد كي يتحققا

***

أريدك قربي – آه – لكنّ أمواجا من الخوف تُقبلُ
فنحن التقينا فوق أرض مدماة بها الحب أعزلُ
يخوّضُ في المستنقعات وبالأحجار يرشقه الأوغاد أيانَ يرحلُ
وبالغش يُسحلُ

***

أخاف من العدوى وأن تكذب النجوى وأن تشهد الأحلام موتا
مزخرفَا

يعلمنا أن الحياة بها تسري فنبقى نهللُ
فما زال فينا من نراه يضللُ
وما زالت الأشجار تثمر حيَّاتٍ ويصعق سجنُ الأفْق طيرا مرفرفَا

***

تقولين لي: حاذْر.. ستفتح بابا للهواجس تدخُلُ
تنفس شذى روحي ودع عنك ظلا يستطيبك عابسا
صحيحٌ بأنا حين نشهد أقمار البراءة تأفلُ
تداهمنا الحُمَّى.. ولكننا لن نصلح العالم الذي تكوَّمَ يابسا

***

رفيقةَ أحزاني هو الفقر يغتال الحديقة في الروح التي تتفتحُ
هو الفقر طاغوت يطوحنا مثل الغصون المخوخه
فكيف سنفلحُ
إذا نحن أحببنا فسرنا خفافاً فوق أرض ملطخه؟!

***

تشهيت فيك الوعد.. قلتُ: حبيبتي
وأطلقت عصفوري الظميّ من العش الذي كم تبعثرا
لعل مع الأيام تثمر لقياك ابتساما منورا
يلاقي أناشيدي فتنفض أوراقَ انتظاري حديقتي

***

على أننا لسنا نسير كما نرجو.. فكم خاب مأملُ
وماذا سنفعلُ
سوى أن نشد الأزر.. قلبي يناديك ابتهالاً ويأملُ
وقلبك يسقيني الأمان من النبع الذي ليس يبخلُ

***

أصاحبتي.. قلبي بحبك مأسور ترنم مغرما
فلا تلفظي قلبي إذا تهت في الأرض الشحيحة مرغما
وها هي آمالي بعينيك زَهْرات تفتحن أنجما
فلا تتركيني أسأل الريح عنهما

«١٩ أغسطس ١٩٧٥»

دمت للحب ...

لـون خـديـكِ أم الفـل تفتَّـحْ		أم تراني ذبتُ عشقا ليس يُشرحْ
هـا هي الخضرة تكسـو عـالمي		بعد لقياك ويبـدو الكون أفسحْ
أنــت نسقـتِ بقـربي بـاقــة		مـن حنـان كلها أنشــقُ تنفـحْ
فــاستريحي يــاحيــاتي إننــا		بعد جولات مع الـوهم سنفرحْ

* * *

أنـت روح تحتـوي أفْـق حيـاتي		حينها لحتِ أفـاقــت بسماتي
واهتـدى الحلم لأنغـامِ نجـومٍ		سكبـتْ إيقـاعهـا في خفقـاتي
فارتقت روحي سمواتٍ تجلتْ		في مدى عينيـك تهدي خطواتي
يـا مثالا شـاعـريـا صغته مِـنْ		عطـش الـروح فأحيـا أمنيـاتي

* * *

كفُّـكِ الحلـوة نــاداهـا خيـالي		في ليـال أطلقت مـوجَ المحـالِ

كنت فيهـا منهكَ الـروح إذا ما رحت أطفو طـوحتي في الضلالِ
بين أوكــار نفـوس خُــربـت لم تعــد تعشــق أقمارَ الكمالِ
جئتِنـي فامتـدت الكف التـي بعـد لقيـاهـا هـدتنـي للجمالِ

***

جئتِ إشراقةً روحـي في صباها قبل أن يـوغل فيهـا ما شجـاها
جئتِ والصمت خريـف في دمي فـرسمنـا لـلأناشيـد شفـاهـا
وامتلكنا النـاس بالحب وطـرنا كـالعصـافير تغنـي في عـلاهـا
لا تغيبـي عــن عيـوني فغــدا يبعد الموت خطـانا عـن ذراها

***

كـم ليالٍ أرهقـتْ قلبـي فذابـا عاشهـا يشكو إلى الصخر العـذابا
ووعـود أسكرتْ روحـي ولكـن كلها غـابتْ وأهدتْ لي اكتئـابا
والتقينـا فــإذا بي نــاعــس تحت أشجار المنى أبهى شبابـا
وإذا وجهـك يسمو بي مـلاكـا مؤنسا يعطي غـدي النور مذابا

***

أنـت مـرآةٌ لأحلامـي النـديـه وابتســـام في ليـاليّ الشقيّــه
دمـتِ للحـب ودامـت جنـةٌ عطـرها يسكـر أعماقي الخفيَّـه
من تُرى أنت ؟ صباك المزدهي لـفّ روحـي بغـلالاتٍ بهيَّـه
من ضياء القمر المشبوب عشقا صـاغك الحُسْـن وأهداك إليّـه

« ١٣ مايو ١٩٧٦ »

لبنـــــان
والدماء .. وفيروز

حين تغفـو مـع الغيـوم سمائي		يرتـوي نبعُ غـربتي مـن دمائي
فاعـذريني إذا جفا القلـبُ غصنا		ورده يكتسي بثـوب الـريـاء
يـاوحـوشـاً تـآلفـت يـوم تهنـا		واغتنـت مـذ رمتْ بنـا للـوراء
هـل تمس الـرؤى البهيـةُ أرضـا		كم غـزا شوكُهَا خطـى الأوفياء

***

بـاتت الأرض مسرحـا للصراعِ		بين ليـل الـزنا وطهـر الشعـاعِ
فادفنوا الشمس مـرةً لو قدرتم		إنها في القلـوب رغـم الضيـاعِ
واسحلـوا اليوم أنفسـا كم أحبـتْ		منـذ شبت بـلادهـا بـاندفـاعِ
أنتـم الخاسرون يـاحشـدَ بـومٍ		يتباهـى من شـؤمه بـالأفاعـي

***

آهِ لبنـان والأفــاعـي تتـاجـر		بالدم الجاري في بحـور المجازر
مسخَـتْ أرضك الـوديعـة قبرا		مـوحشـاً مبتلى بكـل مغـامـر

هكذا يطحن الرصاص كيانا عربيا تقاسمتْه المحاور
بتَّ تدمى ولم يعد لك منجى من هلاكٍ إلا بميلاد ثائر

***

ما دعاة التقسيم إلا «ثعالب» طائفيّ فيهم وفيهم أجانب
فانقعوهم في سمهم وتلاقوا تستعيدوا الدبار من كل غاصب
لاتراعوا فالموت في الحق بعثٌ وغدا ركبكم سيطوي المصاعب
شهداء النضال غابوا كراما بعد ما زادوا للسماء الكواكب

***

ليل بيروت ساهر يترقب ولفيروز سوف يصغي ويطرب
وأنا نبضُ شاعرٍ يتشهى عود ترنيمها المفتّح كوكب
فاعصفي ياعواصف الغربِ وارمي فوق لبناننا الثعابينَ تصخب
نحن بركانُ نقمةٍ إن تلظّى والفدائيون احتشادُ تأهب

« ١٧ مايو ١٩٧٦ »

مرثية العاشق المعنى

« إلى روح الشاعر صالح جودت »

* يرحل العاشق المعني .. فنرثيه.. ولكنْ قصائد العشقِ تحيا في حنايا أحبة السحر سحرا .

* لم يمت من وعي الحياة ، وأضني القلب حبا مفتِّحا زهرات الحلم في الشمس زهرةً بعد أخرى .

* هكذا الشاعر المحب يولي ... إنما منه نفحةٌ تتبقى في قلوب العشاق دهرا فدهرا .

* فالقلوب التي اصطفته تناديه .. وتحييه رغم ما أمطر الموت فوقه حين مرّا .

***

اهتدى الشاعر منذ البدء للحب مقيما بالخيالات سماء وقصورا
وعروشا
كان لمّاحا ذكي الروح ، نشوان كحلم بلبلي يتراءى في مقاصير
السماء
روحه السكرى تحب الناسَ ، والوجه نقي ليس مكسوا رتوشا
وبعينيه هدوء شاعري وصفاء
كان يلقاني ويلقى الناس والدنيا بشوشا
كان .. ياما كان .. لكنْ أنشبتْ أظفارها الأيام في قلب ولوع
بالتصافي والغناء
أسكنتْ فيه خدوشا
فهوت أحلامه الخضراء في جوف الفناء

***

* يا «أبولو» نعى نسيمُ أغانيك قلوبَ الذين كانوا يغنون

ويسقون وحشةَ الروح شعرا .

* أين « ناجي » وأين « طه » وأين « الهمشري » الذي استجم بحضن

الريف وارتاد جدول الحسن طهرا .

* كلهم غابوا تاركين خيالات الأماني ... وأنجم الليل تسري ..

فاستراحوا من الأسى .. واستمرا .

* هكذا عربد الأسى ياصحابي في ضلوعي « فصالحٌ » غاب

كالطيف وشدّته هوة الموت قهرا .

***

آه كم كنت أحبُّهْ

كان - رغم الداء - يلقاني بشوشا كلما طرت للقياه الثريه

كنت أصغى في التلاقي وهو يحكي في هدوء ويشع الصدقَ قلبُهْ
وائتلفنا كالمرايا واختلفنا في قضايا « واختلاف الرأي لا يفسد للود
قضيه »
كان ينبوعَ حنان يتراءى للحيارى في زمان جامد النظرة مشبوه
الهويه
رفعت أعلامَهَا فيه الظلال الثعلبيه
آه كم كنت أحبُّـهْ
كان قلبا شاعريا واصطفاه اليومَ ربُّـــهْ

« ١٣ يوليو ١٩٧٦ »

هي والبحر .. والليل

للبحرِ ذاكرة من الملح المراوغ باهته
والبحرُ .. آه .. البحر كان صديق أيامي التي ارتحلت إلى مدن
بعيـــــده
في موجه اغتسلتْ نجومُ صباى وارتسمتْ على خفقاته صور
ســـــعيده
واليومَ آتي .. دون أن يتذكر البحرُ الوجوه .. ملغما روحي بأغربة
الظلال الشامته

***

هذا أنا يابحر .. فاذكرني كما تتذكر الجثثَ الغريقةَ والحطام
مرتْ عليك رؤى الدهور وما سئمتَ من الترقب والمقام
يا طولَ صبرك .. أيها المتجبر النهم الذي ألف المحبة والمكائد ..
والتودد .. والخصام

فأنا سئمتُ من الضياء كما سئمت من الظلام

***

الطفل شابَ ولم يزل يرنو إلى السر الخبيء
في طيِّ موجك .. أيها القاسي لماذا تكتم السر الذي يطويه
صدرك بالدهور .. ولا تبوح
كقلوبِ من أحببتهن وقد شربن مع التبلد أكؤس الزمنِ الرديء
إني أحبك .. فاغتفر لي ماتفجره الظنون فملء أيامي جروح

***

عبر امتداد الشك ألمح ماتفتقَ تحت موجك في الليالي من يقين
ببصائر العشاق حين يرون ما يتعشقون ويشتهون ولو خيال
فاكشفْ عن الكنز الدفين
يا أيها البحر المحاصر بالمحبة والرمال

***

إني عشقتُ .. فهل تُراها ترتضي في العشق شاعر

قالوا لها في قلبه الأمواج صاخبةً تثور ودائما تتقلب
حقا .. لكم تتقلب الأمواج في قلبي ولكن حينما أصحو على عبث
الأحبة با لمشاعر
فالصدق مرآتي التي أمشي بها وتشي بِمَنْ رغم المحبة يكذبُ

***

اسكندرية لا ترى البحر المحاصر يرتوي منه العطاشَى للمحبه
عبث .. فإن الموج أنبأني .. بأن بهية القسمات ناعسة يُنِّور حسنُها
الغافي «جليم»
اسكندرية .. فاشهديني ساهراً .. ماعاد يسأم .. فالنضارة والنعيم
في قربها .. وتثاؤب السهر الطويل أحبه ... ما دامت الأحلام
يوفدها الأحبةُ للأحبــــــه

***

أغمضت عيني برهةً ...
أتأمل الوجه الجميل وقد غفـــــا ..
فأشـــــاع في الليل النداوة والأمـــان

قلبي يهفهف في شذى وجه تورّدَ ناعما
كطيـــوفِ أمســـية شذيـــــه
يا للخيال يقرِبُ الأحباب للأحباب أن بعدَ المكان عن المكان
وتكدستْ سحب التغرب تحجب الدنيا البهيه

***

سيري جواري في غدى ياشمسَ أيامي وياصفو الليالي المقمره
سيري جواري ياغدي لتضيء في أعماقك الخضراء أنقى جوهره
إني عشقتكِ واحةً بعد ارتيادي بالتعاسة للصحاري المقفره
فتفتَّحي قربي .... لننعم بالثمار المسكره

« ١٨ يوليو ١٩٧٦ »

حينما يصبح الحلم سيفا

☆ صدرت الطبعة الأولى من هذا الديـوان عام ١٩٧٨ .

إهـــــداء

إلى من قالـوا .. «لا..» في وجوه القراصنة فتعـذبوا وتغربوا لكنهـم ظلوا مـؤمنين بأن مصر عـربية وظلـوا يحلمـون بشروق شمس الـوحدة فـوق الأرض العربية من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي.

حسن توفيق

مدخل الى القصائد المهاجرة

هذه مجموعة من القصائد التي انبثقت في الفترة الممتدة مابين عامي ١٩٧١، ١٩٧٦، وكم كنت أرجو لهذه القصائد - باعتبارها زهراتي التي تعهدتها بالسقيا وتفتحت في حدائق جحيم معاناتي - أن تتنفس في المناخ الذي أنبثقت على أرضه الحبيبة.

ولما لم يتح لي أن احقق لها ما أرجو تركتها جزع النفس تهاجر إلى أرض أخرى يتسنى لها ان تتنفس في مناخها. وعزائي أن الأرض الأخرى ليست غريبة ولا ضنينة، فهي أرض شقيقة للأرض التي انبثقت فيها وستعطيها الدفء والحب، وهذا ما يجعلني أتصور ان هذه القصائد المهاجرة - على اختلاف اشكالها وتنوع ملامحها الفنية التي تخلقت عبر ست سنوات - لن تستشعر الغربة، لانها هاجرت بعد ان طوردت وارغمت ان تظل مكممة، منذ أن ادانت حفنة المرتزقة وكشفت الاقنعة

عن أوجه اللئام الـذين جلسـوا على أرائك النعيم المختلسـة يتأنقـون ويتزينون في هدوء مستفـز ملعون، وهم يرنون الى ملايين الفقـراء الذين يحترقون ويحترقـون دون ان يسلم من الإحتراق مما يملكون سـوى حبهم للأرض وإيمان قلوبهم بـأن الغد المجلو النور لابـد أن يأتي منتصراً مهما يطل غيابـه ومهما تتعدد محاولات حبسه في قمقم التضليل فـالغد سيأتي حينما يصبح الحلم سيفاً!

يونيو - حزيران ١٩٧٦

ح. ت.
القاهرة

الضياع في المدى القاسي

اتسخت ثيابُكَ الخضراء يانيلُ
وفاضت الشطئان بالجرذان والعتمه
وباضت البغضاء في قلوبنا وبعدها جَدّتْ أباطيلُ
فانداحت الضوضاء في القاع وفي القمه

***

قال لنا الخليفه
في لحظات اليتم والنزيف والمراره
قال لنا : «غنوا وناجوا نيلكم مبرعم الأشواق للحضاره
في سكرات الحب والتواصل الشفيفه
غنوا.. فإن النغم المشمس في قلوبكم
يسألكم أن تطربوا..
وتشربوا هنيئاً

اندمجوا في غنوة واحدة رهيفه
وحينما تأوون للفراش - يا أحبتي - فلتكن السقيفه
واحدةً... ولتكن الأحلام حلماً واحداً مخضوضراً وضيئا..»

***

الشعراء الحكماء انطلقوا في مجلس الشراب والمكايده
مرددين غنوة واحدة مزوّره
عن الزمان الرائع الذي تضيء قلبَه جوهرةٌ منوره
لكنهم - واحسرتا - غنوا بلا مكابده

قالوا في السـر
الروح غريبـه
والزمن المـر
يغتصب حبيبـه

وحين عَرّشتْ على حدائق الأسماع غنوة الزمان الرائعِ
انتهز الأعوان والصبيان والكلاب ريح الفرص المواتيه

فانطلقوا سواسيه

مصفقين هاتفين في وثوق القانعِ!!

نعم.. موافقون

نعم.. موافقون... والتجويع للذي يقول : لا

موافقون أن يظل البؤس صائلاً وجائلا!

نقول : عَمِّي للذي ترضى به الأمُّ.. نعم.. نعم موافقون!!

....

ياموجة الأحزان

كم فيهم الليلة ياطارقتي من خائفٍ أو خائرٍ أو جائعِ

ياموجة الأحزان يارفيقة الذين لم يغيروا الوجوه والثياب

والألـــــوان

اندفعي... وأغرقيني في مداك الفارعِ.

....

همس الجمهور

الزمن المـــــر

يغتصب النور

يختطف الحـــــر

ياهمسات الخوف في نبض القلوب المؤمنه

اندفعي.. وارتفعي

شُقِّي ضباب الأزمنه

اندفعي.. فالموت يكنس الضعاف.. والخليفةُ الحكيم لايعي

ياللكابـــــوس

النيل عصـــــاه

ينخره السوس

ينكـــــره الله

تمتد كف في الظلام

تخنق صوت الحق.. تلقيه على صدر الرغام

تُسْلمنا قسراً إلى المجامر السريه

تذيقنا الويلات والحنظل والمرّا
تمتد كف من حديدٍ أسودٍ قبضتها الماكرة الوحشيه
ببطشها تشطرنا.. أحبابنا في مدن ونحن في أخرى
حينئذ نصنع من أوجاعنا قبرا
ندفن فيه جثة الشهيدة : الحريه

الحريـــــه
ألقت بالتاج
سكنتْ نفسا
الحريـــــه
اشربْ كأسا
اشرب والعنايا حجاج

***

يا أحكم الناسِ
لا الحب روانا ولا تواصل القلوب

فاترك لنا ظل الضياع في المدى القاسي
وانعسْ فإن الفجر لن يعانق الأغصان في أرصفة الشحوب
مادامت الجرذان في العتمةِ، والعتمةُ ترتمي على الشطئان
مادامت الأغصان
مشدوخةً، والغنوة التي نظل ننشدُ
تغص بالبغضاء... والأصواتُ تستحم في نشازها المقامر
وخلف كل جملةٍ يرقد ثعبان، نرى أنيابه حناجر
تطل من أعماقنا - هاتفة - ترددُ

***

يا أحكم الناسِ
اترك لنا شجوننا... وغنِّ - إن شئت - مرارا
وحدك غنِّ .... وامنح الغنوة والحب دثارا!!
لكنْ - إذا أذنتَ - لاتجثمْ على صدري وأحزاني وأنفاسي

١٣ يوليو ١٩٧١

نبوءة في الحلم

(١)

الغرفة تبدو - للناظر من بعد - كالمقبرة المنسيه
ودخان سجائرنا الداكن يتلوى في أحشاء الليل
أشباح الصمت الوهميه
تتسلق جدرانَ الغرفة .. تتعلق في حبل مبتل
برذاذ الموت
من منا يجرؤ أن يقطع أطراف الحبل، يضيء النور
يثقب هذي الجدران، يجوب الشارع مشدود القامة مسموع
الصـــوت
من منا يجرؤ أن يمضي لملاقاة الذئب المسعور؟!
هل نمكث في الغرفة زمنا
نبكي في صمت.. والأيام تظل تدور

نترقب أن نسمع خطو الغيب المخمور
تعصرنا الوحشة إذ نذكر أحبابا.. إخوانا.. أهلا .. وطنا؟
يا أصحابي.. من يتكلم؟
من يتألم - يا أصحابي - إذ يتكلم؟!
لا شيء سوى سحب التبغ البكماء ورائحة الأشباح على الجدران
فالكِلْمة صارت عرجاءَ
لاتجمعها الأحرف ... ولذا تتعثر في كل الأركان
والليل سقاها همًا هرما ... ودماءَ

(٢)

نغرب عن غرفتنا ساعات
نتجول في الشارع أو في المقهى أو في الملهى أو في الحارات
في الشارع دم
في المقهى دم
في الملهى.. في كل الحارات

في الليل... وفي مر الساعات
ينبثق الدم
ينبثق الدم
.... نخطو.....
نخطو ....
وعيون الذئب تطاردنا .... تعقبنا .. والليل يطول
نخطو..... نخطو ...
أسفلت الشارع يسخر من وقع الخطوات عليه. يقول:
«هذي خطوات المقهورين
وعيون الذئب تطاردهم لتمرغهم في قلب الطين!»
يا أصحابي.... فلنتكلم
الصمت مهين
فلنتكلم ولنفعل شيئا يبني. كي لانتهدم
فلنتكلم بالقول وبالفعل لكي نحيا نتقدم

لاشيء سوى قطرات الصمت وأجنحة الزمن الدامي
تُطوى فوق رؤوس الأصحاب، الكلمة صارت عرجاءَ
والليل سقاها همّا هرما ودماءَ
لاشيء سوى الزمن الدامي

(٣)

أتحول للغرفة وحدي.. أغفو.. أحلم
بالحب... وبالوجه الملهم
وبآلاف الأشياء الحلوة والمره
أحلم بالأزهار وبالأطفال وبالنور
أحلم ... حبي يلقاني فرحاً... أحلم أن أكسر صخره
أحلم بفلسطين الحره
وتطاردني غيمة حزن فإذا بي إذ أحلم
أحلم بالأموات وبالأشباح وبالدنيا ترتد إلى سور
لاتخرج منه سوى الصرخات تقول لأحبابي: «هيا...

هيا افترقوا.. ودعوا العتمة تكسو الدنيا
هيا افترقوا... فالحب هنا سلعة تجار
هيا افترقوا الآن إلى ان تطوي كلا منكم يومًا كف الحفار»
أحلم وحدي
لكني لا أحلم وحدي بهبوب الريح
كل صديق من أصحابي يحلم مثلي
بهبوب الريح..
نحلم بالريح تهب علينا إعصاراً يقتلع الصمت
بالريح.. تدق مطارقُها كلَّ الجدران
بالريح تجرجر أوراقَ الصحف الصفراء على الأسفلت
نحلم بالريح تطوّحُ في الطين بأوسمة القتله
وتدق بقبضتها عنقَ الذئب الخوّان
وتشد إلى قاع النسيان
كل البلداء من الأعوان

نحلم بالريح..
نحلم....
بالريح.....
بالريح تهب على الطغيان

٢٢ يوليو ١٩٧١

تهمتي أنني أعلن الحب

أَدرِكوا مرةً أيها القادمون
أدرِكوا أننا نحن لسنا العدو
فلماذا السجون؟
ولماذا العتوّ.. ؟!

....

فاجأ الشرطة الغنوةَ المشمسه
فاجأوها تسير خلال الضباب تشق الضباب
فاجأوا كل ماكان نوراً و إن كان في قمقمِ
فاجأوا كل حنجرة يابسه
وهي تهتف باسمكِ – يا مصر – دون اضطراب
فاجأوا حبنا.. وامتطوا صهوةَ العالمِ المعتمِ

***

أنت يا قلب مصر الحزين الملامح
آه.. كم كنت في كل يومٍ تسامح
كلَّ من يطفيء الشعلةَ الطاهره
في صدور الشباب
كلَّ من يولج الطعنة الغادره
تحت سِترْ الضباب
أنت يا قلب مصر
آهِ من نبضك الخافت المستضام
آه... مُلَّ المقام
بين قوم ينامون في كل عصر
فاغضب اليوم مره
اجعل الأرض جمره
اغضب اليوم.. . واقذفْ شواظ الغضب
في الوجوه التي تستطيب الكذب
***

عندما تُخنق الكلْمة الصادقه
والهتاف المدوي يضيع هباء
عندما تُجهض النار في صاعقه
ونرى الخوف يُبعث فينا وباء
عندما نرتدي أجمل الأقنعه
لنداري بها قبحَ أعماقنا
عندما نحبس الحب في قوقعه
حيث يذوي أسى نبضُ عشاقنا
عندما يسلب الحقدُ أمنَ الطريق
ونرى كيف تستعجل القاهره
أن تسير بنا
نحو شيخوخة المدن الغابره
عندما....
عندما....

وقتها ما الذي ترتجي ياصديقي
ما الذي ترتجي؟!!
اغضب اليوم مره
أَشعل النيل ثوره
اغضب اليوم واقذف شواظ الغضب
في وجوه الطغاه
قل لهم: «لا...» وكن صرخةً تقلقُ
وانتبه ياصديقي
قل لهم: «لا....» وكن قبضة تخنق
وانتبه ياصديقي

***

إنتبه فأنا منذ أن قلت «لا» لم أعد آمنا
قيل إني عميل لهذا وذاك فطاردني في طريقي الافتئات
تهمتي أنني: أعلن الحب للنيل والأغنيات

وأرى النيل مستسلما ساكنا
فأغنّي... لكي أوقظ النيل مستبشرا بالحياة
تهمتي هذه ! فهل الحب يجعلني خائنا؟!!

***

أنت يا أم أجيالنا الماضيه
أنت ياحلم أجيالنا الآتية
أنت لم تنكريني وقد راق للطغمة المتخمه
أن تمص الدماء
ها هنا باشتهاء
حين تمضي لكي تطمس النور بالزور أو ترجمه
ثم تهدر بالخطب البارعه
عن شروق الصباح
بالمنى الرائعه!!
بعد خوض بحار ليالي الكفاح!

أنت يا أم أجيالنا أنت لم تنكريني َمره
فأنا الحب للنيل... والحب ثوره
إسمعيني إذن وافتحي لي طريقي
واتركيني أغني
وانتبه ياصديقي
إنتبه ياصديقي هنا.. وأعني
فالصباح اختفى في ضباب الضغينه
والأغاني سجينه
إنتبه فأنا منذ أن قلت : لا
للذئاب التي تهتك الأرض نهبا وزورا
للذين نراهم يهدّون فوق الأرامل دورا
صار قلبي جديرا بأن يُبتلىَ

***

إنهم يسبكون الأكاذيب في كل صبح يجيء

حيث يغوون أفكارنا خلسة ثم يستأسدون
إنهم يُقبلون
من بعيد لكي يطردوا من هنا كل وجه بريء
إنهم يسكبون الزمان الرديء
فوق أحلامنا ثم يستبشرون
إنهم حين يخشون هول السقوط
يطلقون الضباب المراوغ في طرقات النهار
يجعلون الشوارع كالأخطبوط
يفرضون الحصار....

٢٨ فبراير ١٩٧٢

اختبـــــار

* لم يخن عينيـك قلبي.... حين نـاديتـك يـوما ، وارتحلـتُ الآن أبغـي وجهـةً أخرى لحبـي.. .. لم يخن عينيك قلبـي، إنما الفوضـى وأوراق الخريـف المرّ ظلت تتهـاوى في طريقـي. وبـأعماقي تهاوت أغنيـات الحب عطشى، فليـالي الصبر طالـت واكتست بـالصمت، حتـى أن بعـض الناس قـالـوا عن حفيـف الشجر النـاعـس جرمٌ في حقـوق الوطن الغارق في وحل الضغينه.

* ها هـي الخيبة تمتـد وتمتد ، ولاصـوت هنا يعلـو على صوت مـواخير البغايا تتبـارى في فحيح الجنس في الليل، وتنسى ان صـوت البؤساء الآن مكنوس على الـزمل ، فآه يابـلادي... ها هي الخيبة تمتـد وتمتد ، ونبـض القلب يحتـد على الصمـت ، وسيف الحمـق يـرتد إلى صـدر المدينه.

* إنها في كل ليل يلجم البؤس أغانيهـا ، وتنهار أمانيها هشيما شاحب

اللـون، رياح الموت تـذروه هباء ، والـدم الصـامت يَسـودُّ ويجري في حواريها الطعينه.

* صمت الحق طويلا حين نادينـاه في الليل: «أغثنا».. صمت الحق ولم يسمع لنا، والطـرقات الآن تخلو، فقراء الأرض نامـوا، ورجال الشرطة الان ينامون حزانـى مثلما نحن رقدنا، والليالي تتوالى كظـلال فاترات تتـداعى فـوق مستنقع ملـح، أليالي تتـوالى... سنة تمضي.. وأخـرى تولد الآن لتمضي، ثـم تأتي سنوات غيرها.. تـأتي وتمضي مثلما جاءت. فـآهٍ يابـلادي.. صمت الحق طـويلا، فتكلـم أيها الإنسان ، واهجـر نومك الآسن، وارفض أن تظل العمر ظلا للّيالي الفاترات المستكينه.

* أنت لاتملك قصرا إن تكلمتَ سينهد على رأسـك أنقاضاً، ولاتنشدُ أمرا فيـه جرمٌ إن تكلمت لكـي تكشف وزراً، أو تكلمتَ لكـي تُطلع فجرا من رمـاد الظلمة الرعناء، فـاهجر نومك الاسـن، أَنشدْ في ليالي الصمت والتضليـل.. أنشدْ اغنيات الحب للنـاس وللأرض، تمردْ... وتفتـتْ شَظْيـةً بين الشظـايـا، وتكلـم.. وتكلـم.. فـالليـالي تتـوالى

بـالخرافات، وآهٍ يـابلادي إن إنسـانك وجـهٌ جاحـظ النظرةِ.. ظـلٌّ هـامدٌ.. عبر ليـالٍ تتـوالى دون أن تنجـب إلا طغمة تعلـو علينـا، إن إنسانك يهوي دون أن ينطـق.. آهٍ... إنهم قد أخرسوا فيـه لسان الحق يوماً ثـم أخفوا أغنيات الحب في مخزن منهو باتهم كيـلاَ يغنيك ... فآهٍ يا بـلادي.. هكذا قد ظللتنـي الخيبةُ السـوداء.. فابكي واتـركيني إن تلفت حـواليّ بهمي، واعـذري إن قلت فلنـرحلْ إلى الصحـو، كفانـا ماتجرعناه من رعب وزور وامتصاص لأمانينا الدفينه.

* لم يخن عينيك قلبي حين ناديتـكِ يومـا، وارتحلت الآن أبغـي وجهة أخـرى لحبي.. لم يخن عينيـك قلبـي، فـارتحالي عنك في الحق اختبـار لهوانا، ولصدق الحزن في قلب أغانينا الحزينه.

١٦ نوفمبر ١٩٧٢

كنـا وكـان

* وجهان لنحب النبيل!! فكيف ياروحي نتوق إلى الطهارة، كيف نحس - إن نمنا - بما نرجوه من صفو الأمان؟!

* الروح ضائعة، رذاذ البحر بلَّلها، وطعم الملح يملأ حلقها، والوهم لطخ أُفْقها، والوحشة ارتشفتْ بقايا الكأس... آهِ من الزمان.

* كنا وكان....

* واليوم إذ يهوي إلى البئر اللعينة جبنا، تبقى معلقةً ظلالُ جراحنا، تبقى معلقةً مع النغم المحاصر لايموت وليس يحيا، حيث يُسمعُ وقعه يندس في أيامنا، متسللا لمنامنا، نحن الذين نخاف من شمس النهار.. لأنها تُبدي لنا الوجه المدان.

* كنا وكان....

* وتلفَّتَ العصفور... لم يبصر له إلفاً، ولم يبصر له عشا فظل

يهيـم في الأفـق المديـد الموحـش القسمات، حيـث سرت مـع النسمات رائحة الدخان.

* واليـومَ إذ يهوى إلى البئـر اللعينـة حبنا، تبقـى معلقـةً ظـلال جراحنا الحيرى، فليـس لهذه البئر اللعينة من قـرارٍ نستجير به أن ارحم بؤسنا، واحجـب عن الروح الجريحة ماتراه مـن المذلة في المدى، وانظرْ.. فقد تغضنـت أحلى الوجوه ولم نعد نلقَـى دليلا منذ جئنا مـن مكان في الجحيم، وعادت الخطوات ثـانية إليه تقول : ليس لنا سـواه وإنه أندَى مكان!!!

* في لفحه ظلت طوابير الضحايـا الصامتين تمر، حيث يظل في أحشاء وحشتهـم ينادي أنبيـاء العصر: لص بارع، ومفـوهٌ باع الحصـافة للطغاة ملفقـا، ومقامرٌ رهـن الكرامـة واستكان، وفارس فقـد الحصان وساخ في الصحـراء يستجدي الأحبـة أن أعينوني علي الـوحشِ الخرافيِّ الذي اختطف الحصان.

* كنا وكان....

* واليوم أشهدكـم - وأنتم كثرة - تتبادلون الهمس : ما جدوى كلامك؟! إننا نهوى السكوت، فوفر الآن الكلام ، وعذ لـدارك آمنا، واهدأ فإنَّا لن نهان.

* يا أيها الحكماء لا تهنوا إذنْ ولتقطعوا هذا اللسان.

* الصمت صار حـوارنا اليومي في زنـزانة الموتى الذيـن يراهم الأحياء مقتنعين بالشيخـوخة الحمقاء، مستمعين للأكذوبـة الممطوطة النبرات يسكبها لهم : وغدٌ فقير الروح، معوج البيان.

٢٧ نوفمبر ١٩٧٢

كان لها صـــديق

أبصرتها تبكي....
وصرختها الحبيسة تُرجف الشفتينِ....
كان لها صديق
خطفوه من أحضانها..
ألقوا به في الجبهة، انطلقتْ مع الصبح الوليد
رصاصةٌ نهمه
في صدره رقدتْ فنام وعاد محمولا على نقالة هرمه
عادوا به للدار في الليل الترابيِّ الصفيق

***

أعطوه نيشانا يخلد موته.. قالوا شهيد
وتنبأوا بالجنة الخضراء يسكنها وتفرشها ملائكةٌ له

ولسوف يشهد أهله

يوم الحساب يخف مشتاقا للقياهم وينبض شوقه أغلى نشيدْ

من أجل من مات الشهيد؟

قولوا لها....

قالوا لها من أجل أن يحيا الوطن

قالوا لها ....

نحن الذين نجود بالغالي وندرك أنه الكنز الوحيد

أرواحنا من أجله - لوتعرفين - هى الثمن

***

رقد الشهيد بقبره متأملا فيما يراه

* الجنة الخَضراء مغلقة... وحارسها السعيد

يضاجع الآن امرأه

* المرأة اضطجعت ليدخلها النعيم، وأنت يا أحد الحزانى

البائسين تشاءبتْ أحزانك البكاء، روح الجنة الموعودة ابتسمتْ....
وقالت : إنني لم أعرف الأحزان يوما فابتسم تجد الطريق مرحبا، تجد الحياة مضوأه

* الجنة الخضراء مغلقة علي أسرارها، وسطاء ربك أفسدوها – مثلما فسدتْ حياتك – هكذا تثب الرشاوي في طريقك للدخول، وما لديك سوى الأسى ، والباب أُغلق... فالعن الآن النعيمَ، وسر إلى قلب الجحيم فإنه سيرق للروح الحزينة.. هكذا رقد الشهيد بقبره متأملا فيما يراه.

***

* لا..... ليس من أجل الوطن

* رقد الشهيد بقبره .... لكن لأن الله شاء بأن يموت، لكي يعيش أكابر العرب الكرام منعمين بما حباهم ربهم، متصدقين على بنوك الغرب، غاب صديقها من أجل أن تزدان تيجان الملوك، وتسكر

الأيام زمرة بائعي أجساد نسوتهم وتجار الأغاني والوعود الكاذبه.

* رقـد الشهيـد بقبره.. والجنـة الخضراء قـد كُشِفَـتْ مـلامحهـا الخفيـة، غـاب نجـمُ حيـاته في القبر، يـا أحبـابـه انكفئـوا على الأرض الذبيحة واصمتوا، ومع الأسى انتظروا سدى... فحياته الجرداء ليس لها ثمن.

* رقـد الشهيد بقبره.. ويظـل ينتظر الأحبـةُ ثـأره، وتظل تطفـو الأغنيات الصاخبه.

***

* أبصرتها تبكي بلا جدوى

* تلهو بها الأحزان، والصحف الشريفة تجدل الأنباء - لاهيةً - بأقلام تُـؤجر في ليالِي العهر، حيـث تسوّد الصفحات، تحكي عـن قدوم الخير - والدنيا تناطحها قـرون الشر - ..... آه .... ونحن ليس لنا هنا .... حتى التراب.

* رباه .... أنقذنا وأنقذها، فإنـا في المجاهل لا نرى دوماً سوى وجه العذاب.

* أبصرتها تبكـي سدى... ويقول لي المتفقهون : لتنتظر.... هذا جناح الليل يهبط ناعما، وستهبطُ الآن الحبيبـةُ غابةَ الشفق السخية، إن هـذا الليـل يـأتي ناعماً وبحضنـه القـاني يصـب الحب - في شره - على أرجاء أجساد النساء هناك من أمثالها .. ليخفف البلوى!!

٢٩ نوفمبر ١٩٧٢

السـقوط

* الخوف - بعد الفرحة البلهاء - صار غطاءنا الشتوي، يحمينا من البرد العتي، ويرعش الأمل الممزق بالخناجر ، والدماء تنزّ من حلم لنا.. عشنا له ... نعطيه من أرزاقنا، نسقيه من أشواقنا، ندعوه أن يعلو إلى آفاقنا.. لكنه - في آخر الأمر - انزوى ، وتمددت أعضاؤه في غرفة الصمت الثقيل.

* والمتخمون تجمعوا متفائلين بما سيأتي - من خلال الريح - من خيرٍ لكل البائسين النائمين بلا عشاء أو غطاء .. في شوارع لم تزل طينية القسمات، يعصرها التطلع للنهار المستحيل.

* أعمارنا ضاقت بنا، فتسربتْ كالماء من بين الأصابع، ليس هذا النور نورا فاصمتوا يا أيها الشعراء، ولتتكلموا يا أيها المتحذلقون، وألهِبوا ظهرَ العبيد مبشرين بمولد الزمَن الجميل.

* هذا زمان العهر، فارتدُّوا إلى الجدران يا شرفاء، وليطلقْ عليكم

نارَهـم كلُّ الذيـن تجمعوا وتواثبوا مـن كل جُحر غـائر، كانوا بـداخله يعدون الـوباء لكل مـن لعن الوبـاء، ملوحـاً بالحب للإنسـان، بالحب الذي يعطي الحياةَ، وليس يبخل بالكثير أو القليل.

يا أرض غطينا

بالعشب واسقينا

نحن انطوت فينا

أغلى أمانينا

* الـريح جـاءت ترتـدي سودَ الملابـس، وَهْيَ تعـدو في الحواري العابسه.

* وتقول : إن الحق بات مؤرقا مـن بعد أن أغفى، وقام ليبصر النيل الجليل وقد تكـدر وجهه، حيث ارتضت مصر العريقـة أن ترى الفقراء في طرقاتها يتسـاقطون ولا معين ويصرخون ولا مجيب، لأن مملكـة الغيوم تقوم، والأشجـار تهوي، والنهار يموت في آفـاقنا متفحماً وملطخـاً بدم القلوب البائسه.

* غـامـتْ وجـوه النـاس، وانكفـأت على الطـرقـات كـلُّ أرامـل الشهـداء، يبكين الذيـن تبعثـرتْ أجسـادهم راضين، والتجـار عـادوا ينهشـون اللحم، والغـربان بـاضت حـرةً، من بعـد أن دفعت رشـاوي للصغار وللكبـار وكل مُـلاّك الأراضي، ليس هذا النـور نوراً يـاصحب .

فاصمتوا، وتوقعوا للعنكبوت بأن يحط معششاً فوق العيون الحارسه.

* تتاءب الأحـزان في كل الجهـات، ويشهق الصمـت المخضب بالعويـل، مسائلا كل الظلال السـود عن وجه النهار وكيـف يأتي؟... كيـف يأتي... والـذئاب تكاثـرت واللحـم منتثر على الطـرقات ينتظـر السقوط، ومـا لدينا غير حب دافـق يعطي الحياة، وليس يبخـل بالكثير أو القليل.. فكيـف يا شمسَ المنى لم تطلعي.... ؟! أليرتمي الحكماء في كهف الأغاني اليائسه؟!

عادت أغانينا

في لون وادينا

مكسوةً طينا

والوهم يطوينا

* ماذا لدى الكلمات يا نهراً تكدر وجهه؟! ومن الذي يرضى بأن يبقى ببئر الصبر مشدودا ومشدوها تحاصره الأفاعي... تملأ الوادي العليل؟

* يا حبنا فلتنطلقْ... ولتطلق الطلقاتِ لا الكلماتِ، إن جميع أرصفة الصباح تضيق بالناس الذين تحجرت آمالهم، من بعد أن عاشوا مع الحلم الجميل، وحاولوا أن يطرقوا أبواب عالمهم، لينفذ من كُواها النور، منطلقاً مع الماشين في الزمن البخيل.

* ياحبنا فلتنطلقْ.... قبل ارتحال الناس للمعلوم والمجهول من طرقاتهم.. فلتنطلق متفلتا من أسرك الدامي الذليل.

* وليبحث الأحياء في هذا الزمان عن البديل.

١٤ فبراير ١٩٧٤

الأرض والروح الغاربـــة

* الأرض كانـت مهرةً، لايمتطيها المعـدمون الهاربون مـن الجحيم إلى الجحيم، ومن قرى متشرنقات بالعذاب إلى مدائن شاسعه.

* جاءوا إليها حـالمين - بمالديهم من صفاء الـروح - منتظرين أن يلقـوا عـن الأكتاف عـبء الخوف مـن قهـرٍ خـرافي طويـل، بـات في أرواحهـم متمددا - في عـزة السلطان حين يـرى رقيق الأرض مـرتجفين من مَرآه - جاءوا حـالمين بكل مايتخيلون ، مؤملين بأن يـروا وجه الحياة الرائعه.

* جاءوا ، وجاءت مثلهم أنقَى صبايـاهم، وكنّ منورات كالبدور، وهانئـات بالشباب المستطـاب - فويلهن - وحـالمات .... آهِ ... جئن إلى المدائن حالمات بالبيوت الوادعه.

* جـاءوا.... ولـو يـدرون بـالمجهـول لارتـدُّوا إلى نخـل القـرى ، وتنفسوا الصعـداء، واندفعوا إلى طين المزارع يلمسـون الأرض في شوق،

وينسـون الأسى في الأمسيـات المقمرات على ضفـاف الترعة السمـراء، حيـث يرددون الأغنيـات المنسيـات، ويسخـرون من الليـالي السـود في أسماقهم، ومن الهموم الجائعه.

جاءوا إلى السخره
لكنهم لا يسألون
من يمتطي مُهره
يلهو بها المتطلعون

* خوفو العظيـم أفاق من إخلاده الـدهري للنوم الطويـل، فغادر الهرمَ الذي يهواه منطلقا مع الماشين، منبهراً بما يبدوله، مستنشقاً في الجو رائحة الأغاني الهاربه.

* كـانت أغـاني الليل تسري للطـريق وتلهـب الأعصاب ، حيـث يفوح عطـر الراقصات مشعشعـاً بالخمـر ، والأجسادُ صامـدة على كل المقاعـد ، والعيونُ تئـن من ثقل السهـاد ، وكان قَـوّاد والنساء يـزايدون ويجأرون بأن أسعـار النساء قـد ارتدت ثـوب الغلاء، كما غلـت أسعار

كـل الحاجيـات خلال حـرب السـادس الـدامـي الذي قهـر الملاهـي الصاخبه!!

* خوفـو العظيم تشـاقلتْ قـدماه، وانطفـأ الحنين المستكن بـروحه الخضراء للشمس النبيلة والنهار الضاحك القسمات، فالتمسَ النجاةَ - لتهرب الأشيـاء من عينيـه - منذ تَأمـل الغربـاءَ في كل الملاهـي ينثرون المال - في زهـو - على أجسـاد نسـوتـه اللواتي جئـن مـن كـل القـرى مستبشراتٍ حـا لمات بالبيـوت، وكن حين أتين .... آهِ .... كما البـدور منـورات ... أين أيـن الآن مَنْ كـن الأميراتِ اللـواتي يخلب الأبصـارَ مـرآهـن؟!.... كيف تـدحـرج النيـل الـذي يهواه خوفـو؟!..... أيـن قَبْضات الرجال الغاضبه؟

* خـوفو مضـى متخبطاً في ليلـه، متسائلاً : هـل هذه مصر التـي أحببتهـا؟ أم أنني أخطـأتُ حين مشيـت وحـدي فانطلقـتُ إلى بـلادِ غيرها؟ .. أم أنه البصر الكليل بفعل آلاف السنين الضائعات؟ وكيف يأتي الآن في الليـل الدليـلُ؟ وإن أتاني مـاعساه يقـول ؟! ليست هـذه

مصر التـي أحببتها. وهَـوَى على الأرض الذليلـة غـاضباً ، فتشققـت ، وتشبثت - من عارها - ببهاءِ روح غاربه.

ياويله مما بـــه

فلقد تولى صامتا

والناس من أصلابه

ورق تبعثرَ باهتا

* خوفـو مضى متخبطـا، وأطل نابليـون في صلفٍ، وجنـد الشرطة اقتحموا جلال الأزهـر المحزون، وانفقأت خلال البطـش آلاف العيون، إلى أن انطـوت الظلال مـريضة، فـاصطفت الحيتـان والغيلان تنتظـر انفتاح الدور منذ بللت طرقاتنا سحب الوعود البارعه.

* والأرض ظلت مهرة، لايمتطيهـا المعدمون الهاربون مـن الجحيم إلى الجحيم، ومن قرى متشرنقات بالعذاب إلى مدائن شاسعه !!

١٦ فبراير ١٩٧٤

فكـــرة !

* سيارة عبرتْ، ومـر السائق المملوء بـالخيلاء، مـر ملوحا بيـديه، واختل التوازن فترةً، حين استدار الى الوراء، مهدمـا بيتًا على سكانه، ثـم ارتمى في حضـن زوجته الغـريبة، خـائفاً ممـا سيأتي في غـد، حتى أطـل صباحُ يـومٍ باهت فمضى إلى أعـوانه، يتقبل الكلمات، حيث تُـزف كل مدائح التجـار - كاذبةً - إليـه، وحيث تنهمـر الوعود بـلا حساب، آه يازمنَ الأراجيف الملثمة الوجوه، وآه من صمت الرجال الطيبين.

* لا الأرض مورقة، ولا سحب الوعـود تجود في الليل البطيء بقطرة من مائها، وظلالُ كل الناس تُسْلم للقضاء أمورها وتغوص في أرزائها، والكِلْمة انشطرت - على قدر الرؤى - شطريـن : شطرٌ صارخ متوجع يخفيـه صـاحبـه على طـول المدى والآخـر انكشفـتْ مـراميـه الخبيثة، ياصـدور القائلين تمزقـي او فانطقي، فـالخائن المشبوه يكتـب عن نهارٍ لايجيء، الخائن المشبـوه يكتـب، والجرائد تستجم على الـرصيـف مـع الـذباب، وطلعـة الحب النبيـل يطارد الحراس مـرآهـا، وتخنقها أكـف

الغدر بين تشدق المتشدقين وضِحْك أصحاب الكروش الشامتين.

من طول ماعانَى

من غصة الحرمانْ

يستنطق الآنـــا

أحجارَك الإنسانْ

* سيارة عبرتْ، ولم يعبر سـواها، يافتات الأغنيـات ستُنْصب الآن الموائد كلها، وستشبع الفقـراء من كل القرى ، فهنا بلاد الـوهم يُشْبعها فتات الأغنيات، هنا بلاد الخوف تَغْصبهـا الذئاب الضاريات، وترتضي أن تلمع السكين في حدقاتها حتى تراها تستكين.

* وهنـا بلاد الـرعـب حيـث تحاورَ الوجـه الشفيـف مـع الوجـوه المذعنات، وحينما غَنَّـى ... رأى الأسمنت والأحجـار قد حلَّـت مكان قلوب كل السامعين.

يا كِلْمة الحب الغريبه

مسي بجمرتك الحجار

حتى نغني للحبيبه

ونفك من ذل الإسار

* ياكلمة الحب امتطي ظهر الشـوارع والميادين الكبيرة، واصعدي - مشتاقـةً - فوق المدارس والكنـائس والمساجـد والمقاهـي والبيوت، وقَبِّلي كل الذين أتوا إلى الأرض العريقـة، قادمين من المحطات البعيدة والقريبة، كي يروا وجه التي كـم ألقمتْهم ثديها وقد اشتكت من دائها، وترقبت منهم خلال الليل أن يأتوا لها بدوائها.. ياكلمة الحب اهدري - دوامةً - في كـل دور الجامعات، وحَدِّثي عـن يومنا الآتي برغـم البؤس يسطـو في الظـلام على هـدوء منـامنـا، ويهزّ قبضتـه العتيـة في وجـوه السائرين.

* سيجيء يـوم تزهي فيـه القصائدُ حـرةً، ويردد الإنسان فيـه غناء عُشّـاق النهـار، الخائضين بحـار هـذا العـالم المنهـار، منطلقين للشـط الأمين.

١٠ مارس ١٩٧٤

الأرض والعشـــاق والمرتزقـــة

(١)

نافورة من دم .. أطرقتُ أشهدها من شرفة الأرقِ
تكاد ذاكرتي تصطك من مائها المشبوب بالحُرَقِ
والماء - هذا الدم القدسي - يطلب أن يسخو الضحايا بهِ
يشتاق دوماً لأن يسمو بأصحابهِ
يهتاج إن لفنا الصمت الأنانيّ في وادٍ من القلقِ
فالصمت مستنقع ينداح في أرضنا البكماء يرويها
ويُبعد النور عن آفاقِ أحبابه
مكبلاً خطوات العاشق الطفل بالأسوار يُعْليها

(٢)

أصداءُ غناءٍ محترقه
أهي الصخب المعتاد من الناس البسطاء

حين يجوبون الأرض - على أمل - وينادون الله لكي يمطرهم ذهبا
ويعودون إلى الأبنية الشوهاء المختنقه
حيث يصبون اللعنة فوق رؤوس الزوجات ، ويشكون الهم
وهمْ في الليل يشدون الأغطية على الأبناء
ويفيقون مع الفجر يصلُّون لمن أعطاهم ما يشبعهم....
لكن ما أعطاهم ذهبا؟!

أصداءُ غناء محترقه
أهي الريح الهوجاء تعابِثُ أغصان الشجر العجفاء .. وتنبح
تمتدح الصحراء
حيث الرمل تدفق ذهبا
أما النيل المغلول فقد أصبح يشكو الأرض الشبقه
.ويمنّ عليه وجوه القوم ببعض القمح وقرض كساء
ليعود الخصبُ لما نضبَا..
أصداء غناء محترقه

ماذا في الليل .... ؟ .... لعل الخوف من الشفقه
ينداح دوائر في نبض رجال سقطوا تحت قطار الصخب الأجوف
ويفيض أنينا يحسبه البلداء... سعاده
فيخفون إلى قصر منغلق ويقولون بصوت منطلق للرجل المترف
«فلتنعم بالأكل وبالملبس فالناس هنا تخفق بالفرحة كالأغصان المياده»
.... ماذا في الليل؟... لعل الريح.. لعل الريح...
ماذا في الليل؟.... لعل الخوف....
لا .... ليست هذي غمغمة للريح
لا .... ليس هو الخوف الخجلان من التجريح
هذي اصوات المرتزقه
أشباح البؤس تصب على الطرقات وفي الحجرات غناء المرتزقه:
«أعطنا الفرصة حتى نتغنى بنهار لن تراه الأكثريه
وانفتاح للصوص سوف يأتون خفافا من بلاد أجنبيه
باذرين الوهم في ودياننا حين يسوقون الجماهير الشقيه

بفتاتٍ من نقود وكثيرٍ من وعود وأمانٍ زئبقيه
أعطنا الفرصة يوماً وترقبْ ماتوافيك به الدنيا الدنيه
إننا نركع للمال ونحيا في ارتقاب للينابيع السخيه
فإذا نحن شبعنا وتجشأنا تثاءبنا وأنكرنا الرعيه
ونسينا غيرنا ثم انطلقنا نتبارى في القصور المرمريه»

(٣)

أهكذا يفتح التجار عالمنا بالغش والعفنِ
وتُسحب الأرض من أقدام عشاقها
في السر والعلنِ
وتشتكي زهرةٌ حمراء للحق من تلطيخ أوراقها؟
أهكذا دائما نشتاق يا فقراء الأرض للأرضِ!
والأرض تنهشها الغيلان في نهمِ
يامعول الرفضِ
متى تشق جدارَ البؤسِ والألمِ؟!

- «تعليق» -
يترنم في الليل القمر المخنوق بأحلام الجوعى
والجوعى ضاقوا بالجوع وبالوهم وبالهم
تترحم في الليل الأفعى
تترحم في الليل على من ماتوا بالسمّ!!
(٤)
إنسانُ كل القرى في الصمت يمشي غريبَ الروح والبدنِ
والناس في وطني
يغالبون الأسى بالضحكة المره
ويحصرون المنى في لقمة مره
لكن إذا ثاروا
يثور في الأرض إعصارٌ له ثارُ
تنهار مرتفعات الغش والعفنِ
نرقى بعالمنا رغماً عن المحنِ...

- «تعليق» -

قلبي على الطفل الذي سيولد، الطفل الذي سَيُقتل ، الطفل الذي سيأخذ الثأرا

قلبي عليهم.. إنهم أطفالنا، والدم إذ تسمو به النافوره

يُفتِّح الورود في الحدائق المهجوره

مصطحبا إلى الحياة عالما حُرًّا...

(٥)

نافورة من دم أطرقت أشهدها من شرفة الأرق

تكاد ذاكرتي تصطك من مائها المشبوب بالحُرَق

والنار باردةٌ في جمرة الشعر رغم البؤس في الطرقِ

والنار تنهشنا....

النار تنهشنا....

النار تنهش في غصن... بلا ورقِ!!

١٢ أغسطس ١٩٧٤

حينما يصبح الحلم سيفاً

رغم زهو الضباب
والليالي التي تنفث السم في موكب الصاعقه
تضحك الأرض: في كل حقل غلال
يضحك الورد والقمح والبرتقال
حينما تمنح الغيمةُ العاشقه
ذاتها للتراب
فامنحيني السلام الذي أرتجيه
في ليالي العذاب
امنحيني الهوى وانطلاق الشباب
وامتلاء الكيان بحلم ينادي نهارا يعيه
وافتحي كل باب

كي ترى النورَ أيامنا الآتيه
وامنحي للسؤال الحزين جواب
«كيف لم يعشقَ النورُ في الصبح أيامنا الذاوية؟!»

***

«كيف لم يعشق النور في الصبح أيامنا الذاويه؟!»
في السؤال اغتراب
فاشهدي ما أقاسي من الحبس في غربتي الداميه
واشهدي في الصباح نباح الكلاب
إنها تنهش الشمس والحب والأمنيات الحبيسه
بينما ينعم اللص بالتحف الضائعات النفيسه
حيث يحيا طليقاً بغير عقاب
آهِ يا غربةَ الروح في وحشة القمة البارده
إننا نمتطي صهوةَ الحلم.. لكنهم يسرقون
لاتقولي لروحي : «وما الفائده؟!»

إنهم - في غد - لن يقرّوا عيون
لن يمسوا بسوءٍ منانا إذا احتدم المعترك
حينما يصبح الحلم سيفا يشق بطون الكلاب
حينما تعبر الكلْمة الهاويه
فأزيحي المنى عن خبيء الشرَك
وامنحيني الهوى وانطلاق الشباب
وافتحي كل باب
افتحي كل باب
كي ترى النورَ أيامنا الاتيه

٢٤ ديسمبر ١٩٧٤

هوشي منّه يتكلم

فرحتي تنساب موسيقى وروحي سنبله
اقطفيها وابذريها في حقول الوطن المنبت أشجارَ الدماء
واضحكي ياحلمَ عمري حينما أَطلعُ أرزا يرتجيه الفقراء
إنهم لم يستريحوا مذ تواصوا في الليالي بامتلاك القنبله
ليعيش الكادحون
في قراهم بملكون الحقل والنهر وأشواق ملايين الأحبه
لنهار فيه شمس لايغشيها طغاة برداء من جنون
وضمير لايبالي تشرب السوءاتُ نخبه .
إضحكي ياحلم عمري واكنسي ياريحُ أوهامَ النعاج - العملاء
إنها صارت ذبابا منذ أغرتهم بدولاراتِ سامِ الحاتميه
وبسيقان نساءٍ في مواخير سخيه

اكنسي ياريح... إن العالمَ الرائعَ ملكٌ لرفاقي الفقراء

***

يشهد الموت الذي ألقته أعتى الطائرات
يشهد الأطفالُ مذبوحين في الدور وتاريخُ عويل الأمهات
يشهد الحقل المسمم
أن تاريخ نضال - ملء روحي - يتكلم
كانت الأرض ضحيه
دنستها كل أنياب الذئاب الأجنبيه
ثار عمال بلادي وانطلقنا لنناضل
انطلقنا لنقاتل
إن عمال بلادي ليس بالصبر تواصوا إنما بالبندقيه
ولهذا عادت الأرض إلينا بعد أن صدت رياحَ العنصريه

***

ها هي الأرض تعود

هاهي الارض عروس في ذراعيها الورود
ها هي الأرض تغني.. آه ما أحلى الغناء
بعد تقديم قرابين الضحايا الأوفياء
إنما عيد رفاقي حينما نجتث ظل الموت حتى نتقدم
حينما تنشف في الشمس مناديلُ الأرامل
حينما ندفن أحزان اليتامى ويعود الخصب للحقل المسمم
حينما نمضي طوابيرَ لتشييد المنازل
حينما ترجع «فتنام» مع الأيام جسماً واحداً غير ممزق
إن روحي لاتحاد الوطن المشطور شطرين أراها تتشوق

***

ها أنا مت فقيراً غير أني لم أكن يوماً مسيح الغادرين
ما أدرتُ الخد يوما للطغاة المجرمين
ما تلهيتُ بشعبي في أراجيح السياسه
ما تأنقت لأبد ومثلما تبدو الطواويس ولم أعشقْ رئاسه

لا.. ولم أخفضْ جبيني أبدا إلا لأطفال يتامى دامعين
فتبسمتُ أخيراً إذ أتى النصر مهيبا بعد أهوال السنين
يارفافي الثائرين.
ها هنا أو في بلاد الأصدقاء الطيبين
حين يختار ضميرُ الحب شكلَ البندقيه
ينزع التاريخ أنيابَ الذئاب الأجنبيه

٧ مايو ١٩٧٥

في انتظــار أخبـــار الغـــد

(١)

* الريـح مكممة، والأشجار المترهلـة الأغصان تناور كـي تتشبث بالأرض المطعونة، حيث تحاول أن تبقى طولَ الأزمان.

* والأغربة المتسلطـة احتشدتْ في ملعب مدرسـة «الجيل الآتي»، وائتلفتْ في بـوابة مستشفـى أمراض القلـب، وحطت كـي تنقر جبهـة صحفي حرّ حاصره الطوفان.

* والعالم متسخ القسمات، وسكتنـا تتساقط فيها أحجـارُ الكذب الضـاري، ولأن جموح النـار يـزلـزلنا، وصحـاري اليـأس تبلبلنـا عشنـا نتأرجح ، حيث يباغتنا مابين الضحكة والضحكة.. وجهُ الأحزان.

* لم يبق لنـا شيء نرجوه، لهذا لانفعل شيئـاً.. وتركنا مـن يفعل... يفعل... حيـث تكاثرَ نسلُ الأوغـاد، وحيث تلذذت الحنجرةُ الممقـوتة أن ترجم بالغيب لتربك سكتنا، ويطل من التابوت التـاريخ الوثني.. يطالبنا بصكوكٍ تلتمس الغفران.

قال صديقي - ضجرا - نحن كفرنا بالتاريخ الوثني
ويظل علينا أن نختار
ماذا نفعل
فلتغمد شعرك في وجه الصلف الهمجي
وسأحمل في كفي المنجل
ولنتقدم بجموح النار
فالساحة ألقتنا فيها ليكون حوار
مابين الأشجار المترهلة الأغصان وبين دم يبعث إعصار
ماذا نفعل؟!
إلا أن نَقتل أو نُقتل!!

(٢)

* جثث متساقطة الأسنان

* ظلت في الغربة تستجدي، حتى جلبت معها بعض الأطقم بالعملات الصعبة، وأتتنا كي تنزع أثواب الناس، وتعطيهم بدلا منها

الأكفان.

* ومضت تتنبأ – في الليل – بـ(أخبار الغد»...!

* «أسعار السيارات الخاصة والشقق المفروشة والثلاجات، وأسعار الجسد ستهبط.. فليسعد كلُّ جياعك يا مصرُ، وبشرى يافقراء بليلة قَدْر تؤنسها بالحب ملائكة الرحمن، ولكن لاتنسوا أن الأيام ستأتي بالبرد، وأن شتاء العام الآتي سيكون شتاءً مجنوناً، فهلموا للسوق الحرة حتى تجتلبوا الأثواب المستوردة المتألقة الألوان.

* بشراكم يافقراء ولكن فلنقلعْ أظفار الحقد.

* ولنهجرْ أوحال الدنيا لنخف إلى ملكوت السعد..»

جثث متساقطة الأسنان أتتنا الآن

مترنحة – لا من أثر الهم – ولكن من أثر الخمره

وتظل تثرثر بالفكرة تتلوها الفكره!!

* ... قال صديقي – والهم يكدر جبهته السمراء، ويكسبها الحقدُ جموحَ النار – تعال لتشهد في الساحة جثة كلب منفوخ كالقربة..

يهذي و «يفكر» في الجلد وفي العظم، وبعد الهذيان المضني ينبح جنب كلابٍ لصوصٍ طفحوا كالقيح على الجسد المعتل بأوبئة الصيف، وقال صديقي - بتوقعه للأحداث - سيبقى الكلبُ الأجرب ينبح في الليل إلى أن يسقط من فمه طاقم أسنان.

* بقي الكلب الأجرب ينبح قرب الأوثان:

* «ماجدوى السد العالي؟!... فليُهدْم.. ولنغمرْ بالوحل طموح الباني، ولنشهد - زوراً - أن الشيطان الراسي في العتمة هو من أغواه بأن يبني ليسمم احشاء التربة، ولكي تترامى آفاق الخيبة، فيجوع الناس ويرتحلوا بحثا عن لقمة خبز في شتى الاوطان!».

حين سمعنا هذا الكلب الأجرب ينبح قال صديقي ماذا نفعل؟

إما أن نَقتل أو نُقتل

قلت لهذا الصاحب: مهلاً ... فأنا شاعر...

* لايملك غير الكلمة والأحزان، وإيمان الشعراء بأنّ غداً مجلوّ النور .. سيولد من أحشاء الغيب.

* فتعال لنلمس نبض الشعب.

* ولنعرف سر البركان الغـافي ... ومتى يُلقي بالحمـم المصهورة في مستنقع هذا الليل الفاتر..

* وتقـدمْ كـي تنزع أغـلال الـريـح، تقـدم بـالنار الخصبـة.. نـار الثورة... ولتـأت النار بها معها وبمـن معها كـي تحرق تابوت التـاريخ الوثني الجاثم في أرجاء الساحة، ولنتوحد - نحن جميعاً - في هيئة بركان هادر.

* وليحتشد الفقـراء جميعاً كـي يأتي غدنـا المجلو النـور على إيقاع الشعر وخطوات الأمل الثائر.

* فالأشجار المترهلة الأغصان.

* لن يحرقها.....

أو ينزعها....

أو يقطعها.....

غير الإنسان.

٢٠ مايو ١٩٧٥

الظـــلام في الظهـــيرة

أمشط شَعرَ الأمنيات المطارده
وأُطْلقها في كل آفاق أيامي فتمضي وتنساني
وفي آخر العمر المكبل تلقاني
وتصطف أسراباً تعيرني بالشيب بعد اغترابي في جحيم المكابده
فيمضي صديق فاقد النطق ينعاني
وحين يغيم الليل تُبعثُ أحزاني
أقول لها ماذا تريدين مني يا رفيقة أيامي وهل تذكرين اللهو
بالناس والعالم؟
وهل تذكرين الله؟ كيف تدحرجنا على الأرض أجيالاً
وهذا العناء الجامد الوجه يسبينا ويصنع أغلالاً
تذيب الأسى فينا وتُبقي قضاء الله بالحب يغوينا ليقتص من آدم

ونحن حيارى في صحارى مآسينا وأحراش ماضينا
وبعد خمود النار تخبو المنى فينا
أيكفيّ بأن نحيا
وأين هو الحب الذي كان ينسينا صحاري مآسينا
فها نحن نحيا يا رفيقة أيامي ولكن بلا حب تفيض به لقيا
فكيف نغني إن أتى الليل واشتقنا لبعض أغانينا؟!

***

غيومٌ هي الأفاق لكنّ أحزاني القديمة - رغم البعد - تذكر عنواني
تقابلني وجها لوجه... وتمشي في متاهات أعماقي
تقول بأني قد كبرتُ وضاعت في ليالي الأسى الضاري مفاتيح إشراقي
ولم أسأل الدنيا لماذا جرى هذا.. ولم اعرف الجاني

***

أقول لها : كانت يد الله ممتده

وكان علينا أن نخف للقياها ولكن أتي غولٌ تعرت له الدنيا
وأرقدها جنب اللئام فراقتهم ورحنا نحثُّ الخطو نبحث عن مأوى
وحين تعبنا قال آخر أصحابي : رحلنا بلا جدوى
وكان ظلامٌ زلزل الروح في قلب الظهيرة فانهارت من الرعب مربدّه
وراحت يدُ التجار تقصي المنى عنا، وصارت هي العليا

٢٦ مايو ١٩٧٥

مرثيـة الفـارس الذي رحــل

طــه عــرفتــك كــوكبــا وضـــاءَ

مــا جئــت أبكــي مــن أضــاء سماءَ

أنـــت الـــذي علمتنـــا أن الفجـــائع

ليـــس يسقيهـــا الأبـــاة بكـــاء

أنـــت الـــذي علمتنـــا أن الشـــدائد

لا تـــزلـــزل للـــرجـــال رجـــاء

يـا مــن أزحـت عـن العقـول ظـلامها

فتبرعمـــت أحـــلامنـــا أضـــواء

وهـدمـتَ أسـوار الجهـالـة خـائضـا

بحـــر المتـــاعـــب واحتملـــتَ عنـــاء

إني أرى رغـم التبـاعـد روحـك الـ
ـتفتتْ إلينـا تنقـد الأخطـاء
فلتقترب منـا فـإنـا عصبـة
تتبـادل التطبيـل والإغـواء
متحـذلقـون إذا البـلاد تمزقـت
لبسـوا الحريـر وأدمنـوا الصهبـاء
وتنـافسـوا في البعـد عـن أدوائهـا
وتحولـوا عـن بـؤسهـا غـربـاء
وتعللـوا بجحيـمِ أزمنـةٍ خلـت
وبـأنهم قـد أنجبـوا أبنـاء
هـم يكتبـون عـن الجيـاع سـدى ويخـ
ـفون المطـامـع في الصـدور ريـاء

أو يكتبــون عــن الســجون تكــدســت

فيهـــا الجماجـــم واكتســـت أشـــلاء

أو يكتبــون تملقـــاً عـــن ليلـــة الـــ

ـــقَذْرِ التـــي تعطـــي العـــراة كســـاء

فلتقترب منـــا لأنـــا قـــد نسيـــ

ـــنا الفكـــر فـــانـــدفـــق الظـــلامُ وبـــاء

***

هـــذا الكفيـــف الأزهـــري الأســـمـــرُ

روحـــي تظـــل بنـــوره تتطهـــرُ

مَـــنْ علَّـــم الكتَّـــاب أن لهم خطـــى

تخشـــى صـــداهـــا طغمـــة تتجبر

هـو مـــن ضفـاف النيـل نبت شـامـخ

وجـــذوره إصرارُ مـــن لا يُقهـــر

فـــالفقـــر سجـــن هـــدّه إصراره
وأهـــاب بـــالفقـــراء أن يتحـــرروا
أعطـــى الحيـــاة وإنما أغلى الـــذي
أعطـــاه كـــان إبـــاءَ مـــن يتفكـــر
كـــم بـــاح بـــالـــرأي الجريء ولم يقـــل
إن السجـــون تـــذيـــب مـــا لا يُصهـــر
كـــم بـــاح بـــالـــرأي الجريء وإنـــه
في عصرنـــا مـــا نـــرتجيـــه ويـنـــدر
أهبـــطْ إلينـــا مـــن سمائك ممسكـــاً
بـــأعنـــة الفكـــر التـــي لا تحُصر
إنـــا نسير على ركـــامِ وســـاوس
والكـــذْب يـــورق والـــزعـــانـــف تظهـــر

إنـا يُقبِّـــلُ بعضنــا بعضــا ونعــــــ
ـــــلن حبنــا وبكـــل حفــل نسهـــر
ونظـــل بين بشـــاشــــة وهشـــاشــة
والحقـــد مــــلء عـــروقنــا يتنمـــر
ونظـــل بــالملــق المعتــق نــرتقـــي
ككـــلاب صيــــد تُشترى وتُــــؤجـــر
ويظـــل في الليــل البغـــاة يــريحهـــم
أن يبـــذل البسطـــاء كــــي يستثمـــروا
فلتقتربْ منــــا وأشهـــرْ سيفـــك الـــ
ــــــسامي على ليــلٍ نـــــراه يُسمـــر
* * *
يـــا أيها النبـــع الـــدفـــوق صفـــاء
لـــك في القلـــوب حـــدائق تتراءى

خاصمتَ من خاصمتَ لكن الرؤى
لم تنهمر آفاقها بغضاء
أحببتُ فيك تفتح الإنسان للـ
أيام منذ رضعتَ أنت إباء
قلبٌ تجوّل في القديم وما رأى
أنّ الحياة تؤوله القدماء
كانوا أناساً مثلنا أخطاؤهم
أخطاء من قَبِلَ الحياة رداء
كم أخطأوا وكم ارتقوا لكنهم
نقشوا لهم عبر المدى أسماء
قلب تجول في القديم وإنما
ما أشبع الزمن الجديد عداء
كم جال في الشعر القديم منفضا
عنه الغبار تفهما وذكاء

وأضـــاء للشعـــر الجديـد طـــريقـــه
مـــــذ أشرقـــتْ أبيـــاتـــه أنـــداء
يـــــا أنبـــــل المتشككين تحيـــــة
مـــــن شـــــاعـــــر لم يعـــرف النعماء
عـاشرتَ مـــن يتعـذبـون ومـا أشحـــــ
ـــتَ الـوجـه عنهـم مـذ عـرفتَ رخـاء
فلقـد جعلت العلـم شمساً أطلقـت
في أفقنـــــــا العلماء والأدبـــــــاء
شرف الكتـابـة أن نعـانـق عصرنـا
نمشي أمـــــامـــــاً لانعـــــود وراء
وبمصر نـــزهـــو والتجـــدد نحتفـــي
فلقـــــد أرانــــا كــــوكبـــا وضـــــاء

١ نوفمبر ١٩٧٥

الصـــبا الضـــائع

* للقلوب التـي شهدتُ صباها لغـةٌ من حدائق الأنبيـاء، انتقت الألفاظَ التـي ترتضيهـا، وانتقتْ مـن أحلامها بـاقة فيهـا نجوم ثـرية، نثرتها في سخاء على خطى عاشقيها.

* والقلوب التي شهـدتُ صباها مالها اليـوم ترجم الوردَ بـالطوب، وتخطو - بغلظة - قرب نهرٍ كم سقـاها، وفتَّق الخضرة المعطاء، وانساب عاشقا يصطفيها.

* أيها النهـر أنت مـازلت تسخـو، إنما مـن شهدتهم قـد أضاعـوا مهرجـان الصبا، وصاروا قلـوباً ليس فيهـا سوى رماد الأمـاني، ونعوش لأنجمٍ أهدر القهر ضياها، فخاب من يرتجيها.

* صاح بعض الصحاب : ياقوم ناموا، واتـركونا فإننا لم نعد نعشق منذ اشترى الغريب الأراضي، ومن الغرب جاء من يبتنيها.

* اتركـونا.. فإننـا قد غرقنـا في سيول الـوعود منذ شببنـا، والخطى المثقلاتُ بالعقـم أبقتنا حيارى، تغلغل الـوهـم فينا، حيث ضـاع العمر الشقي انتظـاراً للـرعـود التـي أبـت أنْ تـدوي في سمانـا، لتصعـق الصمت.. آهٍ يـا حياةً تبعثرتْ دون جـدوى.... هكذا يولـد الأسى في دمانا، والمنى الراقدات تحت الزرايا هي أثوابنا التي نرتديها.

* أيها النهر أنت مـازلت تسخو.. والرجال الملثمون تـواروا، بعدما أطلقوا الرصـاص على أغلى الغصون التي نَمَتْ (مذ تلقيتَ ابتساماتها وعشت لها) ثـم استباحـوا معابـد الشمس مخمـورين في الليـل واشتروا جوقـة من بلداء الشعـور، عاثت فسـادا في الشطوط التي رسـا البؤس فيها.

* وحدك العـاشق الذي ظل يسخـو، وحدك العاشق النبيـل، كأن الناس صـاروا حجارة، ليـس فيها خفقـات، وليس فيهـا اتقاد ، وكـأن النمور قـد داهمتنا، وعلى الأرض طـوحتنا وشدّتنـا إليها، ومصـت الدم

منا، ثم ألقتنا أعظماً تزدريها.

* فاسمحوا لي - ياسادتي - أن أبث النهر همّي، وأحتمي بخيالاتي فقد صرتُ متعباً، والمراثي أشعلتْ جمرة الأسى في كياني، والخفافيش عششتْ في غصون كن بالأمس موعد العاشقين البسطاء، الذين كانوا بني مصر، وكانت قلوبهم تفتديها.

٢٧ نوفمبر ١٩٧٥م

البحث عن الحق الضائع

تنفســـت أحــزان الجيــاع مجامـــرا

فقلــت لقلبــي لا أريـــدك شـــاعــراً

أريـــدك خبــزا في يـــد الجائع الـــذي

تمرغ في طين المذلـــــة صـــاغــــراً

فـــلا خير في الـــدنيـا إذا أنــت فتّهــا

لأنيــاب أغــوال أجلّـــوا العـــواهـــرا

هـــم المغـــرقـون النـاس في الليـل بـالمنـى

وهـــم مُـــدّعـو حـب يفيـض بشـــائرا

ولكنهـــم يخفـــون خلـــف ظهـورهـــم

مكـــامـــن ليـــلات صقلـــن خنـاجـــرا

«أبـــنّ لـــك البـــدر الـــذي لا تـــريـــده»

وأخفين بـــدرا عشـــت تهواه ســـاهـــرا

ألا أيها القلـــب الشقـــيُّ بما تـــرى
تطلَّـــعْ فـــإن الكـــون أمســـى محاذرا
فما النـــاس إلا بعـض أحجـــار معبـــد
وكـــم شيـــد الكهـــانُ منهـــا المقـــابـــرا
فـــأيمنهـــم لـــص تطـــاول بـــاسطـــاً
يـــديـــه على أرض الجيـــاع محاصرا
وقـــال لهم : عيشـــوا معـــي يـــا أحبتـــي
فمالي غنّـى عنكـــم ومـــاكنـــت كـــافـــرا
هـــو الـــدين يهدي كـــل نفـس مـــريضـة
يـــؤلفنـــا عشقـــا يـــزيـــد الأواصرا
وداس على الأرض الـــذبيحـــة يبتنـــي
عليهـــا مـلاهـــي الليـل مـــاشـــاء سـافـــرا

فـــزاد الأحبـــاء الجيـــاع قيـــودهـــم
بـأخـرى لكـــي يُثـري الـذي جـاء طـاهـرا
أهـــذا هـــو الحب الـذي تـــرتـــدونـــه
وكيـــف تحب الشـــاةُ ذئبـــا منـــاورا
وأوســـط كهـــان الحقيقـــة مـــوكـــلٌ
بـــزرع الليـــالي - كـلّ فصـــل - عســـاكـرا
يقـــول : تـــوسطُنـــا لنغمـــر دربنـــا
مـــن الغـــرب زينـــات تشـــع جـــواهـــرا
ونمضي إلى الشرق المعمـــر نمتطـــي
حصـــان اشتراكـــي «تمنجـــل» ثـــائرا
وأيسرهـــم يحيـــا حيـــاة منعّـــم
يعيـــش على ذل الجيـــاع مشـــاطـــرا

ويمضي إليهـــم متخماً متعـــاظماً
بسيـــارة غـــريبّـــة النســـج طـــائرا
ويشعـــل سيجـــاراً يـــوجـــه تبغـــه
إلى رأسِ خصـــم يلتقيـــه محاورا
على أننـــي ألقـــى وجـــوه رفـــاقـــه
مـــن الطيبين النفـــس هـــاجـــت مشـــاعـــرا
قلـــوب مـــع الإنســـان تحضـــن عصره
بـــإشراقِ أفكـــار تضيء منـــائرا

....

أقول لقلبي والغيوم على مصر تُغشي الخواطرا
هو النيل يسقيني من الحب دوماً ثم يضحك سائرا
ويسقي عروق الأرض بالخصب حتى تستفيق نواضرا
هو النيل يغري من يروح مهاجراً

فيرجع شاكرا
إلى الأرض يحيا في ثرى مصر زاهرا
هو النيل يسقي إنما كنْ مثايرا
ألست ترى أن «العصا في يد الأعمى يروم بها هديا»
فتعطيه ناصرا

«أبر له من كل خدن» يزين اللؤم منه النواظرا
«وإن غيرّ الإِثم الوجوه فما ترى»
على الأرض إلا قلبَ وحش يراه الناس كالزور غادرا
هو النيل ياقلبي...
فحركْ جناحيك انطلاقاً لحقٍ...
تحتويه مناصرا

٢٣ أبريل ١٩٧٦

لست ضد الديـــن

لســت ضــد الــديــن لكــنَّ الظــلال الخانقــه
علمتنـــي منـــذ أن كـــانـــت سمائي رائقـــه
أن نـــور الـــديـــن يخبـــو إن تغشتـــه الخرافـــه
بـــأبـــاطيـــلَ لكهـــان يـــريـــدون انحـــرافـــه
كـــي يلمـــوا المال بـــالـــزور ويحمـــوا ســـارقـــه
بفتـــاوٍ تحجـــب الحق وتُنسي خـــالقـــه

***

لســـت ضــد الــديــن لكـــن وجــوه البــائسين
أورثتنـــي نقمـــة حمراء تجتـــاح الـــذيـــن
عللـــوا النـــاس بصبر صـــار مفتـــاح المذلـــه
أنهم في جنـــة تحوي السماوات المطلـــه
ســـوف يحيـــون حيـــاة الـــوجهـــاء المترفين
إن اضـــاعـــوا العمـــر يحيون حيـــاة الـــزاهـــديـــن

***

لست ضد الدين لكن انطلاق الحب دين
فلنشيدْ جنة في الأرض تسقي الظامئين
باذرين الأرض قمحا جاعلين الناس إخوه
ولنعمرْ جنة الأرض بإصرار وقوّه
يتساوى الناسُ في الميلاد والموت المهين
فلماذا قلةٌ تنعم دون الآخرين؟!

***

لست ضد الدين لكنْ بشكوكي جئتُ حائر
فأنا أفْقٌ بلا حد وأشواق تغامر
جئت مثل الناس أسعى في متاهات الزمان
باحثا عن خطوة أخرى لإيقاع الأمان
إن يكنْ هذا مصيري شأن محتومي المصائر
فلماذا إن انا جئت لأحيا قيل : كافر؟!

٢٦ مايو ١٩٧٦

صرخات المقتــولين القتــلة

﴿ أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ﴾

«قرآن كريم»

صفحةٌ بيضاءَ جاءت كل روح وافده
فلماذا سودتها همهمات المغرضين؟!
هكذا سيقت منانا، والذي كان نبيلا لم يعد بعد نبيلا فا لمياه الراكده
تنشع اليوم مع الطين على كل انطلاقات العقول المارده
آه ياعصر التوابيت لماذا نحن نحيا ميتين!
فِعْلنا أن نشرب الشاي على المقهى ونطوي ماعنانا محبطين
أو نلف الحزن في التبغ ونشكو لكئوس الوهم فوق المائدة
أو نلاقي من يثرثر
بأحاديث عجاف ونكات شارده
كلها تكشف أنقاضا وترجو أن تغير !!

* * *

هـا هي الأرض بســاط سنـدسي تحت أقدام البغـايـا وكـلاب الأثريـاء المتخمين

والخفافيش ينادي بعضها بعضها وتلهو في الوكور الحاقده
والجواسيس يصلون على أرواح أغلى الشهداء الضائعين
ويلمون جنيهات لأيتام رعتهم ليلة القَدْر ومنتهم بدنيا واعده!
وعلى الأرض ظلال لصقور تنهش الحق وتمتص الدماء
من ضحايا تعساء
أرهقتهم حفر الجوع فزاموا في زوايا الطرقات المعتمه
يعشقون القتل - في غل - إذا لم يقنع الجائع منهم إن رأي الموتى بأشهى جمجمه
إنهم يستقبحون اللحم - لحم الميْتِ - لكنْ ماتراهم يفعلون؟!
جوعهم يشفع - يارب - لهم .. أو فلتقدهم لمتاهات الجنون!!

***

أنت يا أمي الجريحه

تسكنين الطابق السفلي من بيت تعيس أسلمتْ جدرانه الروح
وشقتها الزوابع
وعلى الباب كتابات لأرباب المنافع
وذئاب أطلقتها شهوة القتل فخفت للميادين الفسيحه
تتبارى في العواء
وتطيل الحمد «للعدس الأباظي» لتحيي شعراء بلداء
أتخموا الأحشاء واصطفوا سكارى في يمين الشارع المكسو طينا
يتباهون بطين
زاعمين الطين شمسا والمتاهات فراديس ليطفوا فوق أمواج الضلال
السائده
صاح قلبي مذرآهم: صفحةً بيضاء جاءت كل روح وافده
فلماذا سودتها همهمات المغرضين؟!

٢٦ مايو ١٩٧٦

مأدبة دموع مع أكتوبـــــر

** أكتوبـر الشعب الذي أعطـى بغير مزايـدات، وارتمى في النار يـرفـع جبهة الإنسـان في أرض العـروبـة، نافضـاً طين المذلـة في سنين النكسـة الغبراء، محتـدم الكـرامـة، رافضـاً صـور التـواكـل والتخـاذل والجمود.

* أحبابنا الفقراء والبسطاء راحوا يرفعـون الراية العربية الخفقات، والمصرية اللمسات، منـدفعين - رغم قنابل المتنمرين الأثـرياء وعصبة اللؤماء - فوق رمالك العطشانة القسمات، والمأسورة الذرات ياسيناء.. كي يسترجعـوا الأرض الحبيبة، زارعين على جبين الدهـر في قلب المدى الآتي لهم أغلى الورود.

* اللـه يا أغلى الـورود تفتحي، فقلوبنـا ظلت تنـاديـك اشتياقـا صابرا، ودمـاؤنا كم «بسملت» وسقتـك مذ عطشتْ غصونـك، حيث أطلقنـا منانـا، وانطلقنا في طـريق ليـس فيه سـوى الجماجم والحجـارة

والترصد في الظـلام..... ورغم هذا تـرتجي أرواحنا لـو أننا نبقى بـأردية الجنود ، ولانعود إلى الضفاف الآمنات تـريحنا، إلا إذا طلع الصباح وقد توافدت الوعود.

* الراية العربية ارتفعتْ تقـول : الله أكبر يا عروبة، نعبر الأزمات خانقة وضارية، وتعلو مصر شامخة وباسمة، كما كانت على مر العصور المفلتات مـن الزمان، ونقهـر البؤس الـذي اجتاح المحبة بعـد أن ناش القلوب، مهددا بمخـالب الفقر العريق ضفافَ أحـلام الجياع النائمين علي الحصى، والسائريـن على دروب القهر حيث تشدهـم أهواءُ قطّاع الطريق إلى السجود لهـم على أرض الجدود.

الراية ارتفعت هنا.
لكنهم واحـــسرتاه
خدشوا الأخوّة بيننا
وتقاذفوا كدر المياه

* هذا الذي يتساومون عليه عبر فنادق المدن البعيدة، في ضباب اهمهمات الخائنات، وفي مهاوي الغش والجوع المشبع بالتآمر ... آه ... حيث تفوح رائحة الخمور ويرشف الزعماء من أبناء يعرب عارَهم، إذ يخطبون امام جمهرة الشعوب، ويهددون ويعلنون بأنهم لن يهدأوا إلا إذا ارتحل اليهود، وفي أقاصي الأرض يستَبِقون في جشع اللصوص، ويرفعون كؤوسهم في نخب إسرائيل، كي يستجلبوا مزقا مفتتة تطوحها يد الأعداء، ثم يفاخرون بأنهم قد حرروا الأرض السليبه.

* هذا الذي يتساومون عليه ... آه... هو الدم العربي سالَ يطهر الأرض السليبة راضيا، ويقرب الحلم البعيد بأن تُفك ديارنا من أسرها، ليعود إشراق الوجوه إلى الحياة، مهلاً للقاء دنيا ينعم الأطفال من أبنائنا بالحب في أرجائها، سعداء مبتسمين في وهج المصانع أو على خُضر المزارع، حيث يحيون الحياة عدالة وتحررا ونضارة في ظل آمال

رحنيبه.

رمضان ما ولي من الأعماقِ
إن كان قد ولى من الآفاقِ
فدع المقامر خدروه بعظمة
«مشتاقة تسعى إلى مشتاق»

* اللعبة انكشفت، فهم يتساومون مع اليهود على الحدود، ولن ينالوا مغنما زرعوه في أوهامهم، وسيخسرون ويخرسون لأنهم عبثوا بأقدار الشعوب، وراوغوا، وتهالكوا - رغم المدى الدامي - على أغبى مجالسِ أنُسهم، وستر كل الأجيال سيرتهم، وتلعنهم أجنة عالم آتٍ ... يريد الحب - لا الأحقاد - للإنسان في الدنيا القريبه.

يا ويلنا مما نـــــراه
أكتوبر الغالي يلوح
بالحسرة اشتبكت خطاه
وبروحه تعوي الجروح

* جاءوا يـذيقون الفـدائيين مالم يستطـع مكر العـدو بأن يـذيق. فـويلهم!.. إذ يحسبـون بأنهم أبطـال أمتنا المهـدمة الحوائط، والمهـددة الخرائط.

«عيد بأية حال عدت يا عيدُ»
بما زهى أم بقتل فيه تهويدُ
أبناء يعرب في أرض بها اقتتلوا
واجتاح من عاش يا بيروت تشريدُ

* يا أرض لا تتخاذلي رغـم العناء من السهاد، ومـن مجازر من أتوا كـي يقطعوا مـن لحمـك العـربي عِرْقَ الحب... إن الحب بـاق.. رغـم مايطفو على هذا الخصم من الغضب.

* ولتـأتِ يا أكتـوبر الغـالي.. لتلقَى أمـة العرب التقـتْ، وتوحـد الحشـد الكبير يسير في أرض العـروبـة، ينبـت الآمـال، رغـم الصخـر والمتربصين بها تحققه الشعوب.. بلا خُطَبْ.

٦ سبتمبر ١٩٧٦

قصائد عاشقة

☆ صدرت الطبعة الأولى من هذا الديوان عام ١٩٧٤

أراك

أراك بقلب مشمس النبض يهواكِ
وأصحب أحلامي معي عند لقياكِ
وأهفو لمرآكِ
كأنَّ ملاك الشِّعْرِ شاقته دنياكِ
فما شقَّ قلبي في صباي بحار الحب إلا وناداكِ
ولا مسَّ أيامي ربيع تُندّيه المحبةُ لولاكِ
طريقي إلى الأحلام حبي وعيناكِ
وإني وإنْ طالَ المدى لستُ أنساكِ

«٤ نوفمبر ١٩٧٤»

أغنية للحب

لا تنتظري مني أن أرسم وجهكِ في كلمات الشعر
أو في غرف الأحلام إذا فُتِحَتْ في الليل
لاتنتظري مني هذا.. فعبير الفل
قهرته الأيام الحبلى بظلام القهر

***

كلماتُ الشعر إذا رسمتْ وجهاً صار الوجه رموزاً
دوماً تخفيه
في أقنعة متحذلقة لايعرفها إلا الشعراء
غرفُ الأحلام إذا آوت حباً صار الحبُّ كنوزاً
لكنْ في التيه
ولذا لايعرفها البسطاء
وأنا لا أبغي أن يولد حبي في أقبية برّاقَةْ

يتسكع في بوابتها الشكُّ الأعمى
يطلق سهماً
ينفذ في أحشاء الصدق.. فيطمس إشراقَهْ
لكني أبغي أن نتصارح
حتى يولد حبي فوق الأرض الصلبه
يولد صلباً في وجه العالم.. يفتح للدنيا قلبه
وقتئذ نملك أن نتسامح

***

قالت : «واصِلْ بالحب غناءك.. فالدنيا من غير غناء
تبدو جبلاً جهمَ القسمات
والناس حجارته الصماء
ياحبي.. ما أقسى أن ترتطم الأحجار سدى والأرض موات»

***

حبي.. يا كنزا لايفنى أو يتبددْ
يا كل وجوه الأطفال بهذا العالم تتجمع في وجه قدسيّ
إني أبغي أن أُسْكِنَكِ القَلبَ المجهدْ
لكنْ أخشى أن تتعذّب عيناك بما يحويه من الهمّ الأرضيّ
قلبي يتفتت من أجل الأطفال الجوعى في هذا الكوكب
قلبي ينضح ضيقاً ومراره
حين يواجه ناساً شادوا للبغض مناره
حين يواجه ناسا يتسلق أفواهم أكتافَ أخيه إلى مأرب
حين يواجه ناساً صاروا بالصمت حجاره
قلبي يتفتت.. ياحبي.. هل من مهرب؟!

***

عيناك سمائي المبتسمه
آهٍ .. لو تُبعدُ عمري عن أحجار الأرض المختصمه

أرجع طفلاً أحبو في قبتها.. وأنادي
«أمي.. حبي قمر أخضرْ
يتفتح فوق حقول الوادي
يتفتح يا أمي.. يتفتح.. والدنيا معه تسهرْ...»
... ويرفرف قلبي كالعصفور المبتلِّ
بندى الطلِّ

***

آهِ... سقط العصفور جريحاً
جرحته الأحجارُ الحاقدة، وكان فراغُ الأفقِ فسيحاً
لكنَّ يديك الطيبتين تلقفتاه.. وفي حب وحنو
أمسكَ بهما..ولذا طاب الجرحُ ولم يبق سوى أن ندنو أيَّ دنوّ

١٦ يونيو ١٩٧١

البئـــر والظمـــأ

أَنْ أُسعِدَ لكنْ لا أَسعَدُ أو أَعشَقَ لكنْ لا أُعشقْ
يبدو هذا قدَري دومًا
أرقبُ أمواجَ العمر تفتتها الصخرة يوماً.. يوماً
وأنا أعدو.. ألهثُ.. أبحثُ عَلِيِّ أكشفُ بئراً مغلقْ
يضحك فيه الماء الرقراق
لكن عبثا أتغلغل في كشف الأعماق

***

حين انبثق الحلم المقمر.. روحي غنت حتى طربَتْ
صوت الحلم الفضي تَفَتَّحْ
لكنَّ الزمنَ الجهمَ تقيَّحْ
أعماقُ الأرض وقد شربَتْ كأسَ الظلمة حتى تعبَتْ
أغرتْ قلبك أن يُنصت لكن لا يُنشدْ

أغرت روحك أن تَسعدَ لكن لا تُسعِدْ
ولذا سقطتْ كلماتكِ في شَركِ الظلمات
حين بعدتِ قليلاً عنّي
كلماتك كانت تتراءى موسيقى رائعةَ القسمات
كنت تجيدينَ التمثيل، وكان الحب يُكذِّبُ ظنّي

***

حين بعدتِ قليلاً عني أطرقتِ طويلاً
كي تنتزعي - من أضلاعي - قلبي المغرم
وتجولتِ... تجولتِ خلال البعدِ هنا وهناك طويلاً
كي تنتزعي أفئدةً أخرى.. لا تعلم
أني لك - وحدك - كم غنّيتْ
وبأني - حين بعدتِ - بكيتْ

***

لا بأسَ على العشاق.. ولا بأسَ عليّ
ما دمتِ بخير
لكنيّ أطمعُ أن تدَعي قلبي.. ذلك أن لديّ
أحزاناً أخرى تَنشدُ فيه المأوى بعد عَناء السير
أفلا يكفي أن القلب تَنَاهَشَه الطير
أفلا يكفي أحزانُ الناس تعشش دوماً في عينيّ

***

قولي كلْمةَ صدقٍ مَرّه
فأنا أظمأ للصدق كما تظمأ عيني حين تراكِ
وأنا أظمأ للصدق كما تظمأ زهره
للطلِّ.. وبعضِ الأشواكِ
قولي كلْمةَ صدقٍ مَرّه

تجديني إنساناً نضراً صافي النظرات
يكشف هذا البئر المغلق
يسبر غوره
وتتئذ أعدو كي أنقذَ كلماتِكِ من شرك الظلمات
وأحس بأني لستُ الإنسانَ المرهق
مهما تكن الأحزانُ ثقيله
مهما تكن الأيامُ بخيله

«٢٨ يوليو ١٩٧١»

لم أحببتـــك ؟

أسأل نفسي أحياناً - والزمن الباقي
من عمري يمرقُ.. والشجره
تتآكلُ .. والروحُ النضره
رغم الوحشة تسكبُ نوراً في أعماقي -
أسأل نفسي : «لِمَ أحببتك حين عرفتُكْ
لِمَ أحببتُكْ؟
ولماذا أستمهل دوماً أيامي الآن
وأجاهدُ أن أنسى ما كان؟»

***

أسأل نفسي حتى أتأرجح في حبل سؤآلي زمناً
أتأرجح إذ أرهق نفسي.. روحاً .. بدناً
وأعود بغير جواب إذ أتأمل وجهك مبهوراً
أتأمل وجهك.. والفرحةُ تولدُ تغمرُ نهرَ حياتي

فأغني للزمن الآتي
وأحسُّ العالمَ مغموراً بالحب، ومكسوًّا نوراً

***

قبلَكِ كانت لغتي مِرآه
متآكلةً.. ينضح من صفحتها بؤسي
متصدعةً.. تنعكس عليها أيامي.. أبصر نفسي
في صفحتها.. أبصر وجهاً معروقاً يخذلني مَرآه
أبصر أكداسَ الخوف وأحجارَ اليأسِ
تسقط في مستنقع عمري.. وتَحُدُّ مداه
قبلك .. قلبي هذا كيف التفَّتْ في شرنقةٍ دنياه
تنتظر شروقك ياشمسي..!
هذا ما كـــــان
أقسم بالنور وبالعتمة – قبلك حقًّا – هذا ما كان

***

حقًّا.. إني أحببتُ مرارًا
وعرفتُ الحب - النور، عرفتُ الحب - الموت ، نعستُ ، صحوتْ
وشربتُ الوحشةَ من كأس الزمن المصدور وعشتُ مُثاراَ
وعلى إيقاع النار رقصتْ
دُللتُ مراراَ
وَلُعِنْتُ مراراَ
لكني لم أعرف أبداً طعمَ الحب وطعم الوحشه
لم ألمسْ عِزقَ النار وصفو التدليل وخفق الرقصات
لم تعبأ روحي باللعنات
لم تدركني هذى الرعشه
أبداً .. إلا حين عرفتك
ولذا أسأل ماذا لو أني ضيعتك؟!

***

ماذا لو أني ضيّعتك؟

يسقط قلبي في هاوية الأوهام بلا شفقه
ماذا لو أني ضيعْتُكْ ؟
تتجمع في الليل القاسي صفحاتُ الماضي المحترقه
تتشكل في هيئة أفعى تلتف على روحي القلقه
ماذا لو أني ضيعْتُكْ ؟
وفتئذٍ لن أتمنى إلا أنْ يجرفَ عمري الطوفان
أقسم بالحب وبالأحزان

***

أكثرَ من هذا - يا حبي - لن أتكلم
حسبي أني إذ أتألم
أجلس وحدي ممتلئاً بالوحشة والنار
مختنقاً بالحب... وباللهفة.. والأشعار
أجلس وحدي
أتخيل أن العالم - من حولي - ينهار

أن الريحَ المرورةَ تَشرع في طردي
لتباعد بين خطاكِ وخطوي.. والأسوار
تفصلنا.. والقلب الثرثار
يجثو بين الخفقة والخفقة يستجدي
يشهد حبي للناس كما يشهد زهدي
فيهم.. وحنيني للبحر.. ويوم الإبحار
وكما يشهد هذا يشهد أيضاً سهدي
وأراه على الأبواب يدقُّ .. يدقُّ لكي يُفشي الأسرار

***

أكثر من هذا - ياحبي - لن أتكلم
حسبي أني إذ أتألم
أسأل نفسي: «لمَ أحببتك حين عرفتك؟
لِمَ أحببتك ؟»

«٢٦ أكتوبر ١٩٧١م»

الحب والباب المغلق

أبكي حيناً في تجوالي
حين أرى الناس تسير حزانى في الطرقات
وكأن الناسَ مرايا للزمن المشنوقِ بحبلٍ من زيف الكلمات
أبكي حيناً آخر من وطأةَ أغلالي
أبكي من سعيي المنهكِ في الأرض الخضراء بلا جدوى
وبلا مـــــأوى
أبكي حين أعود لأحلامي
- أعني حين أعود برغمي لكوابيسي الرازحةِ على صدري المرهق -
فأرى جسدَ الزمن الآتي يتدلى من مشنقةِ كبار عباد الله
وأراني أعدو.. لكن تتعثر أقدامي
تتعثر في فخ أحمق
فخ يتصور أني لن أنهض ثانية.. وأسير إلى من أهواه

.... مَنْ أعشقه دوما يدرى أني يوماً ما سأوافيه
أني يوماً ما سأناديه
باسمٍ حلوٍ لا يعرفه أحد غيري
مَنْ أعشقه دوماً يدري...
لكني أبكي إذ أتساءل: «هل يأتينا هذا اليومْ؟
ومتى يأتي.. حتى يصعق أسراب الهمّ؟!»
أبكي حينا في تجوالي.. أبكي حين أعود لأحلامي
تبكي جنبي زهرة أيامي
تبكـــــي.....
وأنا معها.....
أبكـــــي....
يبكي معنا بعض الشعراء

***

أما من يجعلني أبكي - حقاً - فَهُمُ الأطفال

ذلك أني أتتبع من ألقوا بالبقع السوداء.. على وجه طفولتيَ.
البيضاء... وهَدُّوا جسرَ الألفةِ ما بين الأجيال
أتتبع من يتدفق مما تلفظه دنياهم طوفانُ البغضاء
طوفانٌ تسبح فيه الحيتانُ، ويهَوِي الإنسانُ غريقًا
يهوى معه ما كان رقيقًا
يهوى معه طهرُ الأطفال ولايبقى غير العفن المتكيء على كتف
الضوضـــــاء
يبقى الماضي.. ويَوَدُّ يثبِّتُ في قدم الريح الأغلال
ولهذا أبكي إذ يدرك قلبي أني أعجزُ من أن أصنعَ شيئاً
أعجز من أن أتحوَّلَ في الظلمة ضوءاً
يضحك في ساحته الأطفال

***

وضحكتُ.. ضحكتُ... ولكنْ لم أضحكْ من قلبي
بل كي أُخفي الدمعَ الجاري

وتَغَنّى صحبي
بالأيام الحلوة تأتي في صحبةِ أسعدِ أشعاري
وهنا شَمَتَ الزمنُ الضاري
ببكاء القلب المتواري
وتكدست الأيام أمامي جيفاً ملقاةً داخل صندوق قمامه
سموه الماضي
سموه بكاء سماء الروح على الأنقاضِ
سموه حمامه
رقدتْ حتى تشبعَ موتاً في جوفِ الثعبان الأسوَدْ
ورجعتُ لأبكي - ثانية - والظلمة من حولي تتمددْ
***
لو لم يكن الماضي يحيا فينا دوما لتلمسناه وأحييناه
وتهللنا طرباً عَفِناً.. وتسابقنا - شوقاً - للقاه
لو لم يكن الماضي يحيا فينا دوماً

فلماذا يحتكم الأحياء إلى الأموات إذا كانوا حقا أحياء؟
ولماذا يلتجيء الأطفال إلى مجلسٍ وغدٍ أعمى
يبذر فيهم كل الأدواء...؟!

***

هذا مايجعلني أبكي.. لكني أقسم بالأطفال
أني يوماً - سأوافي في الشمس الحلوة مَنْ أعشقُهُ
وسنضحكُ مما يبكينا الآنَ... ومِمَّنْ وضعوا زمناً فوق جبين
الشمسِ الأوحال
وسنفتَحُ باباً عِشْنَا - زمناً - نطرقُهُ...

١٢ يونيو ١٩٧٣م

اللعبة المعادة

أن يجفلَ جسمُك مذعوراً كغزالٍ يهرب في صحراء
وتلاحقكِ الرغبةُ حتى تخلق مني وحشاً شرساً
أن تلفحكِ النظراتُ بشمسٍ قاسيةٍ تعوى بدهاء
وتعود لتحصى أنفاسك نَفَساً نَفَسَا
أن تتركنا نحن الاثنين
ندرك - من سقطتنا - أنا كنا سفهاء
ندرك أنا عشنا دَنَسَا
هذي لعبة من عَلّقَنَا بين ظلامين
مابين ظلامِ الرحمِ وبين ظلامِ القبر
لعبة من أوصانا بالصبر

***

يا من تثقلُ بالخوفِ قصائدَ شاعرِنَا

ألهمنا أن نرضى دومَا
لا أن نســـــأل
ألهمنا أن ننسى الماضي
في حاضـــــرنَا
ألهمنا أن ننسى الحاضرَ في المستقبل

***

أعرفُ أني أكسرُ بابَ الصمتِ المغلق
حين أغني
لكني إذ أسأل عما يعني هذا دوما
إذ أسأل عما يستنزفُ قلبي المرهق
إذ أجفلُ من أن نهاري يفلِتُ مني
إذ أجلس وحدي محزوناً ينضح همًّا
أسأل نفسي : هل أتقدم في أغنيتي أم أتوقف؟

هل أقنع بالزمن اليابس أم أتأفف؟
إني أجد العالم حين أغني، ألمسُ نبض الأشياء
لكن قل لي كيف أغني..؟ يتردد صوتي في الأرجاء
كيف أغني وأنا أتوقع دوما أن يدهمني الصمت
هذى لعبة مَنْ يُبعدنا عن وهج الصوت لِنَلقَى الموت

***

تَسَّاقَطُ في الروح الرغبات ، ولاتخضرُ سوى رغبه
تتغلغل في دمنا عبر دبيب الأيام
ألهمنا يا من تتركنا نحن الأيتام
ألهمنا أن ننسى دوماً هذي اللعبه

***

حين تلفُّ الشمسُ القاسيةُ ضفائرَهَا الحمراء لتستسلم للنوم
لا تتعجب حين ترانَا ننتظر الموت على مقهى

وندقُّ على جمجمة اليوم
نستخرج منها أحداثاً يتفصد من جبهتها الهم
ندرك أنّــا صرنا أبأس مما كنا ، صرنا أوهَى
لا تتعجب حين ترانا ندرك أنا صرنا شَظْياتٍ لاتلتمّ
لا تتعجب حين ترانا نحيا ، لكنْ لانترقب
غبر الظلمة نغرق فيها .. لاينقذنا أحد منها
لا تتعجـــــب
ذلكَ أنَّا نولد كَرْهاً ونعود إلى الظلمة كَرْهَا
وسدى نضرع للوهمِ لكي يبزغ كوكبْ
الظلمةُ تنخرُ في دمنا الدافقِ.. تعلن : ما من مهربْ

٨ أغسطس ١٩٧٢م

الريح والماء والحب

أعصابي الليلة معشبة قلقا مرا
والريح تؤرجح أفكاري في كل طريق
وسدى أبحث عن قلبٍ صديق
يتفتح لي.. حتى أستودعه سرا
وسدى أصرخ: «يانهر النيل
يانهر الجوعى والحيرى
أيامي أحملها صخرا
فترفق بي وانس الليلة مجرى التضليل
فتش لي عمن يحملها بدلا مني
فأنا قد ضقت بكل هواء أنشقه رغما عني
بين الصمت وبين الكلمه

أُضطر إلى أن أتنفس
أُضطر إلى أن أتنفس
مادام القلب يظل يدق ويحمل أيامي الجهمه

***

قلنا كلمات الحب.. نعمتِ بها.. ونعمتُ بها زمنا
حين أفقنا أدركنا أنا لم نلمس عمق الكلمات
ولهذا قلناها خوفا وحشوناها كذبا فشممناها عطنا
كنا - آهٍ - نتوهم أنا قد سرنا بعض الخطوات
لكنا أدركنا أيضا حين خرجنا عن لعبتنا
أدركنا أنا لم نقطع شبرا، صحنا: «لم يُبْقِ لنا العالمُ شيئا»
وتجمدنا في موضعنا الماسخ ظلين يشيران إلى خيبتنا
حيث يلاقي كل منا الآخر، لكن لاينتظر الآخر دفئا
حيث الرغبة تصبح عجزا من حيرتنا

والشجر يجف فلا يعطي فيئا
ويرانا العالم طفلين طريدين فيشبعنا بؤسا في غربتنا
ونرى نحن العالم سجنا رطبا يسخر من سقطتنا

***

قالت: «ماذا تبغي؟» وأنا - حقا - قد كنت أريد الحب
لكن الأسئلة المسنونة حين أضاعت أغنيتي في وهج النار
جعلتني أتوارى زمنا خلف الأسوار
ذلك أني أحسست الرعب

***

في الوحشة والشجن المعتم يسقط قلبي
يتفتت إذ ينضب حبي
وكما تتوعد عاصفة الغابة عصفورا مرتاعا
وكما يلذع ملح الغربة قلبا يوشك أن يتنهد

وكما تنشدخ المرآة المجلوة في بيت يوشك أن يتداعى
فكذلك حبي لك - في قلبي - لا.. لن يتجدد

***

مضت الأولى متطلعة، والثانية التحفت بالصبر
سألتْ نفسَ سؤال الأولى: «ماذا تبغي؟ بح لي بالسر»
ماذا أبغي؟!!
إني أحيانا لا أبغي إلا أن أتمدد
فوق الشاطىء أحلم بالناس وبالحب وبالمستقبل
أحلم أن نتلاقى كي نتواصل... أحلم أن نتوحد
أحلم أنا نصحو في فجر غد أجمل
ماذا أبغي أيضا؟.. أعرف أني غابةُ حزن شفافه
تنتظر قدوم الريح إليها كي تقلع أشجار الشر
وتمسَّ برفق أشجار الخير الهفهافه

ثم تنام على مقربة مني تنتظر طلوع الفجر
آه... إني أنتظر الريح وأنتظر الماء
آه.. إني أحيا بالصبر
أتجرعه.. أبغي أن تصبح أرضي خضراء
فأظل هنا صبحاً ومساء
أنتظر الماء
لكن مياه النبع تراها عيني واقعةً في الأسر
أيأسُ وقتئذ أم أتفاءل!؟
أدهى من هذا أصنعُ شيئا أم أتجادل!؟

***

تنتظر الريح
المـــــاء
ينتظر المـــاء

الحـــــب

والحب تثاءب في إعياء

اختلجَ أسى، وتوقع أن يكنسه الرعب

***

هذا المشهد قد يتكرر، فالثانية التحفت بالصبر

ســــتناديني...

ســــتمنيني...

وستأتي ثالثة، وستأتي رابعة ، ويظل الصخر

يجثم فوق الروح الخضراء

وتلطخ خضرتها البغضاء

نفسُ الضحكات سنطلقها، نفسُ الكلمات سنسمعها

لاتندهشـــوا..

لاتندهشـــوا..

إن قلتُ : «وباء الملل تسرب في ذاكرتي»

- ماذا تبغي!؟

- إني أحياناً لا أعرف ماذا أبغي!!

أحياناً أصرخ: يا الله

لم لا يهُــــدَم

هذا العالم.. ؟ ليقوم سواه

يتكىء على صدري قلق لايتبدد.. قلق مبهم

ذلك أنا نعشق كوناً أورثنا السوء

كونا موبـــــوء...»

١٩ يوليو ١٩٧٢م

حين أكـــون مبعـــدا

أراكِ يا أميرتي تعنفين الوردة التي تبوح في الحديقه
بعطرها وسرها
أراكِ تنكرين أن تزهو بوقع سحرها
أغنيةُ الحب الطليقه
أراكِ تهجرين دنيانا لكي ترتحلي - قريرةً - لغيرها
وتوصدين فجأة أبواب روحكِ الصديقه
وتتركينني على الأبواب، والريح الصفيقه
ترجمني بجمرها

***

- ماذا يضير الوردة النقية التي تبوح!
ماذا يضير الأغنيه

لو أنها بسحرها مست سكون الأوديه
لو أنها مرت مع الهواء من روح لروح؟!
- ماذا يضير لو ظللتَ أنت صامتا
يا أيها الثرثـــــــار؟
صديقك الحميم حين بحت بالأسرار
قد بات شـــــامتا
والوردة النقية التي تبوح بالعبير
يقطفها الأشـــــرار
وهذه الأغنية المزهوة التي تطير
تسمعها الأحجار
آه.. متى نهرب من عالمنا القاسي المريرا؟
يا ويلنا - يا صاحبي - من سجنه يا ويلنا من هذه الأسوار
- لنبق يا أميرتي مهما تكن مرارة اليوم الذي نحياه

لنبق في عالمنا مهما تكن طقوسه منخورة مكروره
لنبق ولنجعل من الحب هنا.. أسطوره
تنقلها الأفـــــواه
من زمن لزمن ومن جيل لجيل
حينئذ نولد من جديد.. نستحيل
أغنيتين عذبتـــــين
ووردتين حلوتـــــين
فالحب يا أميرتي أن نعشق العالم لا أن نوصد الأبواب
الحب يا أميرتي أن يدخل الناس إلى عالمنا.. أحباب

***

تشرد مني برهةً أميرتي.. ساحرتي القريبة البعيده
تشرد مني برهة.. تتركني وحدي
تبعد عن عالمنا.. تبحث بالأخيلة الرائقة السعيده

عن عالم أجمل من عالمنا قد صيغ من نور ومن وردٍ
يقول لي شرودها: لابد أن نهرب ياشاعر من عالمنا
فهذه الكوارث، الزلازل، الحروب والأحقاد والخطايا
أحسها مرايـــا
تهمشت وانغرست في دمنا شظايا
عالمنا تحلم أن تزيح عن كاهله الأشرار والقيودا
عالمنا تحلم أن تفلحه، تأمل أن تزرعه ورودا
تهُدَى إلى أطفاله
عالمنا تأمل أن تشهده ودودا
لكنها هيهـــــات
فابكِ على أطلاله
واسقطْ على أوحاله
اسقط ودعني أرتحل - نقيةً - فالوقت فات

***

لاتدعيني مفردا
ولنبق هاهنا معا فالخوف كم يقهرني حين أكون مبعدا
حين أكون مبعدا.. رائحة الخوف تفوح والمساء يقبلُ
محملا بالسحب الجوفاء.. والوهم .. وما لا أشتهيه
ورغم ما أحمله هنا وما قد أحملُ
أقول في ضراعة : عالمنا لست أرى له - أميرتي - شبيه
وهل هناك أجمل
من عالم ألقاك فيه؟
حين أكون مبعدا أصحو مع الفجر على مشاجرات الديكه
تصحو معي الأعباء
أسأل حائرا إلى متى تظل الحركه
مربكة مرتبكه
في زحمة الشوارع الكاذبة الأسماء

وفجأة أغوص في لزوجة الأشياء
لاتدعيني مفردا
ولنبق ها هنا معا فالخوف كم يقهرني حين أكون مبعدا

***

لا .. لن أكون مبعدا.. ورغم ما أحمله هنا وما قد أحملُ
أقول في قناعة : عالمنا لست أرى له شبيه
وهل هناك أجملُ
من عالم ألقاك فيه!؟

٢٧ نوفمبر ١٩٧١م

نداء الحب

* أناديك حين تشق محاريث هذا الزمان خطوط الهوان على الأوجه الشاحبات، وتهدر عاصفة في الصميم.

* أناديك حين أتوه خلال شرايين هذا الزحام الملطخ بالعابرين من الخائفين وبالخائضين - برغم توهج شمس الظهيرة - مستنقعات الرؤى الباليات، أناديك حين أتوه، وتترك سود الظلال من البصمات على القلب ما تترك النار في قلب غصن هشيم.

* أناديك شمساً تطل على أغنياتي، فتورق فيها الغصون وتفتح فيها الورود حقائبها المترفات التي لانراها، فأسعى إليها.. أشم - بروحي - خلال الهواء المندى شذاها.. شذى برتقال حقول بلادي.. وأسعى.. وأسعى إلى أن تتوق حياتي إلى أفق شاعري الملامح والنسمات، ترفرفُ فيه بأجنحة زاهيات بريش الحمام وريش الخيال... وتشرد روحي

بعيداً.. وتشرد... تشرد حتى تلامس ذرات هذا الفضاء الحميم.

* أناديك حين أحـس بوحشة روح تجوب الفضاء الحميـم بغير أليف، وألمس في روعة البحر وقـت الغروب نقاء حديثـك حين تطل العبارات من شفتيك، فيسري الـذهول بأطهر أرجـاء نفسي، وأمضي لأرسم سمرة وجهك عبر الهواء وعبر شوارع أحببتها منذ عهـد الطفولة حتى شببت، وفي آخر الليل تشرق روحك بين قلـوب الأحبة حين يصير الحديث عن الحب أغنيـة عذبـة تستعاد مـرارا، وأعـرف أنك لاتعـرفين سوى أننـي شاعر عـابر في طريقك، يهوي الغنـاء بقربك، لكنني لسـتُ هذا الذي تعرفين، فحبي عميـق الجذور... كحب النباتات للأرض لكنـه صامتٌ لايبـوح، وحين يحن إليك، ويسعـى للقياك يهتـز خوفـا عليك ومنـك، يخاف من الـذكريات الخبيئة أن تستبيـح مسالكه الهانئـات، وأن تتلوى الأفاعي بتلـك المسالك حتى تعـض بأنيابها اللزجـات جذور النبات، لهذا يخاف عليك ومنـك، فيكتم عنك جنـوني، ويكتم عنـك انتظاري،

ويكتم عنك التلهف، يكتم عنك حنيني العظيم.

* تغربت يوما، فشهرا، فعاما، ومرت سنون وطال انتظاري، فعللت نفسي بأنيَ سوف ألاقيك مهما يطل بي انتظار السنين بكل المحطات حيث انطلقت أفتش عنك بكل اللغات، ورحت أسائل عنك ضمير الرياح ولمسة شمس الصباح، وكبوة تاريخنا في عهود الخمود، وصحوته المستكنة خلف المخاض وأوجاعه القاسيات، ورحت أسائل عنك رؤي الشعراء، وكتّاب عصر الظلام، وكتّاب عصر الضياء، ولما احترقت سألتك في الوهم سرا : «أتأتين يوما ولو في المنام ، تمسين أوتار روحي، وتطوين صفحة هجر طويل بصفحة عشق جميل، أطيل التمعن فيها، لعلي أزيح بها عقم كل سنين البعاد، وأنسى بها ما احتملت خلال انتظاري الأليم؟!»

* يقولون عنك الكثير وعني الكثير ، وماذا يهم..؟ فإن شتاء الأكاذيب كم يستبد بكل القلوب التي لاتحب ، وكل النفوس التي تستحيل

خرابا ، فتلبس في كل يوم قناعاً ، يتيح لها أن تغير أثوابها الفاضحات ، بحيث يصير الغريم صديقا تلاقيه بالقبلات ، وَيُطوى الصديق القديم - وقد كان قبل من الأصفياء - ويصبح حين تدار الأحاديث عنه العدو الذميم.

* يقولون عنك الكثير ، وعني الكثير ، وماذا يهم...؟! فإني أحبك في كل يوم يهل وفي كل قلب يحب ، وفي كل يوم يهل ينوّر حبي ويكبر.. يكبر .. حتى يضيق بأضلاع صدري، ولكنني يارفيقة روحي أحبك في السر خوف شتاء الأكاذيب ، خوف القلوب التي لا تحب وخوف النفوس التي تستحيل خرابا ، وأسأل كل صحابي إذا ما التقينا : «أحقا إذا ما تملك أعماقَنا الخوفُ لا نعرف الحب إلا من الشعراء الذين يغنون رغم الظلام ، وتبقى النفوس المريضة تستنشق الحقد سلا ، ويصبح هذا الفراغ المراوغ وحشا من النار يلتهم الأمن حتى تطل علينا وجوه الطغاة تسد طريق الخلاص، وتخرس أصواتنا في مجاهل كل شتاء

عقيم؟!».

* يقـولون عنـك الكثير ، وعني الكثير ، ومـاذا يهم..؟!.. فحين يصير الزمان زمانـا، ونعرف أن المحبة فردوسنا المستكن بـأعماق كل النفوس ، سـأهتـف: « يانـور عينـي أطلي بـأنفـاسـك المسكرات ، وخطـواتـك الواثقـات، وسيرى بقربي مـع السائريـنْ بأرض المحبـة ، حيث النهـار يُفتّـح فينا بـراعـمَ ورد ، ويبعد عنـا رماد الأسـاطير ، يبعـد عنا ظـلال النفـوس المريضة ، يبعـد عنا وجـوه الطغاة . فـأهتف يـانور عينـي ... أحبك .. يـا شمس عمـري.. أحبك .. يـاصفو روحـي ، ووجه سمائي التي لاتغيم.

١٣ مارس ١٩٧٤م

حكاية العاشـــــق
الذي انتظر ألف ســـــنة

* خلال دقـائق أدمنت فيها التطلـع نحوك أحسست أنيَ أعـرف عنك الكثير، وأنا خلقنا لنبقى معـا وسط هول الزحام الجموح ، لتنعـم ليلاتنا بالـرقاد الهنـيء ، وتنعم أيـامنا البـاقيات بطعـم الأمان الـذي تشتهيه ، وبالحلم حين نلاقيه بعد التشرد عبر سراديب هذا الزمان المسافر .

* خلال دقـائق أحسست أنا ائتلفنـا .... خطانـا تقول بأنـا ائتلفنا .. وأنغام ضحكاتنا الرائقات تقول .. وكـل الصحاب الذين رأونا يقولون إنا ائتلفنا.. وصوتـك وهو يدندن قربي ويهمس : «قـل لي قصائد حب تُغنّى..» يقول بأنا ائتلفنا.. وحتـى الهواء المليء برائحة البحر والأغنيات يقول .. ونحن - بلا كلمات - نقول بأنا ائتلفنا ، ولابد من أن نغامر.

* خلال دقـائق أحسست أنـك أنت المثـال الذي أرتجيـه وأنك أنـت الصفاء الذي أبتغيه ، ومهما يكن من مصير لهذا الغرام فإني سأمضي إلى

منتهاه ، وأهتف بالعقل : دعني وبالزيف أن يغرب الآن عني، وإن قيل : «كاد يجن» ففخري الذي لن ينالوه أني من الحب كدت أجن، وحين أبارح هذي الديار سأترك للعقلاء تفحصَ حالةِ قلبي وتمزيقَ أوصال سري ، وأمضي إلى صخرة في الظلام تبينتها من خلال الضياء الشفيف .. ضياء الكواكب .. حيث أراك ، ويحلو لقلبي لقاك.. ألستِ التي أسكرتني بحيث نسيت وجود الوجود؟!.. ألستِ التي أيقظتني بحيث صحوت وقلبي يذوب هوى لاحتضان الوجود؟.. وليس غريبا عليك تفجر تلك العذوبة في شفتيك ، فإنك حين انبثقت انبثقت من الزبد الأبيض المستكن بأعماق موج البحار النقية رغم التقلب فوق الشطوط ، طلعتِ إلى الشط شاديةً بالغناء تصب عليك النجوم كئوس الضياء، ومن قطرات الضياء تَفتّح جسمك غصنا بهي الجمال ، رقيق التثني ، يغني ، ويفتح نافذة للتغني بأوراقه النضرات وأزهاره الخجلات ، وكان عليّ لكي ألتقي بالمثال الذي أرتجيه تجاوز أرض المخاوف ، كان عليّ لكي نلتقي أن أحث خطاي إليك ، وأقبل

خوض المخاطر.

* خلال دقائق أحسست أن الحياة انتظار لحلـم رقيق الخطى ، قد يطل علينـا بأنفـاسـه العطرات ، وقـد لا يطـل ، فنبقى نسير ، ونبحـث عبر متاهـاتها الملغزات ، لعل رؤاه البهية تحنـو علينا .. ويأتي إلينـا .. وكان انتظاري ثقيلا بغير حـدود ، ولكن وجهك كان ينوِّرُ قلبـي ، فيبعد سود الخواطر.

كأني انتظرتك ألف سنه

وهيأت نفسي للقياكِ في الحلم : قبلت وجـــــهك..

أدمنتُ صوتك..

ناجيت روحك..

قبل اللقاء بألف سنه

ورحـــت أجـوب عـوالم شتـى، وتسعـى وراء خيـالـك خطـوتيَ

الشارده

ولما هـوى العمـر تحت سيـاط المغيـب ، ولم تبـق فيـه سـوى ليلـة
واحده

لقيتك فيها ... وكنت تشفين حبا وأنت تخفين نحوي.. وقلبيَ عصفورُ
شوقٍ يخف إليك طليقا وبالحب عانق طير المنى موطنه
وكان لقاء شفيف الملامح يعدل عنديَ ألف سنه

* كأنك كنز خفي تمثلته في الخيال بعيد المنال ، ورحت أفتش عنه بكل تـوهج عمـري وكـل تدفـق فكـري وشعري ، ومـن أجـل هذا قطعـت المسافات تلو المسافات عبر الصحاري وعبر صخور الجبال .

* وعبر الصحـاري وعبر صخور الجبـال عرفـت عذارى وأحببتهـن .. وحين أفقتُ ، وأشرقت الشمس تعلن قـرب التقائي بوجهك أنكرتهن.. فما كان حبي لهن احتراقـا ، ولكنه الخوف من وحشة الـروح واليأس من أن تلوح لعيني رؤاك .. ألستُ أحس بأنك أنت المثال البعيد المنال؟

* عطشتُ طويـلا وأدميت رجليّ حتى تراءت لعينـي لآلىء كنزك حيث

غفوت قليـلا ، ولما صحوتُ وجدت رجـالا يحيطون بالكنـز زورا ، وقد سيجوه بسور غليظ الحجارة لا يـرحـم المتعبين من العاشقين - كما البحر - هـل يرحـم البحر حمّى التعطـش بعد التشرد ؟ يـا كنز عمـري.. لماذا يجود الـزمـان بـدفقـة حـب ، وفي لحظـات يشتتهـا في شعـاب الجبـال البعيــدة؟

يا كنز عمري .. تعالي نشق معا بالأكف الفتية صدر المحال.

* تعالي نفتـت كل الحجارة رغـم تجهم بعض الـوجوه ، ورغم خنـاجر ألسنة الباهتين من السـائريـن تجاه القبور ، تعالي نسير ونهتف : «إن غناء العصافير حلو لأن النهار طليق ، ونور النجوم بهي لأن الفضاء رحيب ، ومـوج البحار نقي لأن يد البحـر لا تستكين لرمـل الشـطوط ، فكيـف ترى نستكين ونحن خُلِقْنا لنبقى معا وسـط هول الزحام الجموح ، ومهما يكن من مصير لهذا الغرام فإنا سنمضي إلى متهاه - ولن ينتهي ماحيينا - لأنا ائتلفنـا وسرنا معـا عاشقَيْنِ نغنـي مع العـاشقِينَ أغاني الـرجاء ، ونرفع أبصـارنا للسماء ، وقد وحدَ الحب قلبين أحيتهما الأمنيـات ، وقال

لقاء العيون - بلا كلمات - قصائد أروع مما يقال .

* تمر دقائق ، ثـم تجيء دقائق ، لكنني لم أزل - بعد صحـوي - أُحلِّق .. أسأل : كيف ذهلت عن العالم المستحم دمـا دافقا من عروق ضحايا تولـوا خلال القرون ، وكـانوا يحبون أحبـابهم مثل حبي لكنـزي ويحيون مثل حيـاتي ، وكانـوا يغنون حتـى وهـم متعبون ، وهـا هم تـولوا وغـابوا ببطن التراب المعتق حيـث استحالوا عظاما معفرة في أمـاكن شتى.. ولم يبق في الليـل غير انتظار لحلـم رقيق الخطى ، قـد يطل علينـا بأنفـاسه العطرات ، وقد لا يطـل ، ورغـم انتظار الحياة الثقيل فإنـا سنبقى لنلقاه حين يطل ، ولن نفتح الباب لليأس قبل الأوان .

* أهـذا هو الحب ؟ يـا كنزَ عمـري أجيبـي .. أهذا هـو الحب .. ؟ .. نحن سنمضي ، وتـأتي مع الموج أعتـى الريـاح تلاحـق آثار أقـدامنا في الرمال ، ولكنها - في خيالي - ستبقَى ، برغم اندفاع رياح الزمان.

٢١ سبتمبر ١٩٧٤م

متاهـــات الليـــــل

شمس متصببة حمى تسكنني في لحظة إعياء
أترقب في الليل الساكن خطوات امرأة تنسيني أني سأموت
أترقبها تأتي حتى أدفن فيها خوفي المكبوت
وتنام العاصفة القاصفة ولا يشفى الجسد المحموم من الأدواء

***

أتجرد كي أصعد سلم تلك الآفاق الغيميه
أتحول موسيقى تتنفسها في الليل ملائكة هامت بالشعر
لكني بعد دقائق أسقط مخذول الخطوة في بئر
وتضيع الروح المسكية عبر الطرقات الطينيه

***

أتسكع حينا داخل أعماقي المكسوة والعريانه
ألمح فيها شبحاً قلقاً يتعقبني

ويهيل عليّ رمادَ وجوه أقصتها الظلمة عني
وأعود خلال الليل وليس معي غير الروح العطشانه

***

أخطو أولى خطواتي في أرض بكر لم يمسسها أحدٌ من قبل
وأهيىء أحلامي لتسابق إيقاع الزمن المسقيّ بماء النار
لكني في لحظة صحو أترنح في وجه الأعصار
وتطوحني لكمات الليل

***

أعرف يا ليل الجسد وليل الروح ويا ليل الماضي والمستقبل
أعرف أني قد تهتُ هنا
في كل طريق أسلكه أسأل مغتربا: أين أنا
لكنْ مازال هناك طريق يستهوي قلبي المثقل

***

الحب طريقي يبعدني دوماً عن أقنعة الدجالين وعن طرق الرعب
أرتاح للمسة كفك تحييني في الليل وتمنحني دفئا
يا جوهرتي إن جميع الأشياء تضيع فلا أذكر أبداً شيئا
إلا وقع خطانا جنب جموع العشاق وشمس الحب

٢٦ أكتوبر ١٩٧٤م

الليـــل .. والأغنيـــة

تنعس روحُكِ .. ونوافذها المسدودة في وجه غنائي
لا تُفتح لي إلا في الحلم
فلماذا لا يتقاذفني الماضي النائي
ولماذا لا يحصدني الهم؟!

***

في الليل تدق على بابي الموحش أشباح لا ترحم
ولذا ينبعث أنيني في صفو سمائي
تربدُّ ملامحها.. تجفو.. وتدوي في قلبي المغرم
وتطوح غصنا عطرا روته دمائي

***

تُبعثُ حولي صور متثائبة تتشكل أجسادا

تتعقبني ... تسخر مني
آه .. لو أخنقها بيدي.. لو تذروها الريح رمادا
***
هل يكفي أن تخفى وجهك عني زمنا
حتى أنساه
وجهك نسمات الفجر برائحة الورد اندمجت وطنا
تتجول فيه الأشواق العطشي حتى تنعم برؤاه
***
ها أنتِ بعيده
وأنا وحدي في التيه أحملق
أسأل عنكِ .. أنادي زمنا تخفق فيه الأيام سعيده
أدفن فيه الأفكار الجهمة إذ تصفو روحي وتحلِّق
***

يوما ما لن تخفي وجهك عني زمنا
لن أبقى وحدي مكدودا.. ستميد الأرض المنخوره
ستميد بعالمها.. ونظل نسير معا.. نبني وطنا
وأحبك في هذا الزمن الآتي برؤاه المسحوره

***

يأتي زمن تولد فيه الأفكار طليقه
يكتب فيه جميع الشعراء أغاني الحب
حين يصير الإنسان حقيقه
حين يغني .. يعشق .. لايدَع الحقد يشب!

٢٥ يوليو ١٩٧١م

أحب أن أقول لا

☆ صــــدرت الطبعة الأولى من هذا الديــوان عــام ١٩٧١ .

إهـــــداء

إلى الشعراء الأحباء الذيـن عايشت قصائدهم وعايشـوا قصائدي قبل أن يـرحلوا عـن عـالمنا.. إلى صـالح جـودت ومحمـود حسن إسماعيـل ومحمد الجيار وسعد درويش وابن جبلي أمل دنقل.

حسن توفيق

قصائد القسم الأول
عن عالمنا

أغنية جوال حزين

(١)

المدن التي نراها في الخيال رائعه
ليست هنا.. ليست هنا
فاستيقظوا يا أيها الأموات واسعوا في زوايا المدن المخادعه
اسعوا إليها.. إنها لنا
ولتنفضوا الغبار عن معاطف السفر
رحلتنا مجهدة.. في الريح والمطر

(٢)

ما هذه المدينة التي تخوختْ طويلا؟
ما بالها تدفع في أوردتي خوفا وبيلا؟

* * *

عند انبثاق النور في الشوارع المكتظه
رأيتهم يبدون في ملامح الأموات.. كان الزمن المشبوه
يلهو بهم.. يجعلهم أسرى الظلال الفظه
تنخر في أعماقهم.. وهم يحسون بها ولكن لا يحركون ساكنا
فكلهم مشدوه
كأن ماء النيل لم ينعش عروقهم ولم يغسل مرارا بدنا
وفي الظهيرة التي تنعم في إسارها حناجر الأموات
يمضي بنا الحديث ناعم الصدى.. مزينا
تختلط الأصوات..

الصوت الأول: مدَّ علينا الكفنا

الصوت الثاني: ما دامت الشفاه لا تنطقُ والقلوب لا تخفقُ
والعيون لا ترى

فما الذي يهم؟ إن عمرنا مديد

الصوت الثالث: لا.. سيدي.. فالورق الذابل قد ترفعه الريح
عن الثرى

لكنه.. وأسفا.. يسقط من جديد

أصواتكم شتى
والريح لا تهتم
بغير صوت الدم
يا أيها الموتى

***

توغل في ظلمتها المدينة المنخوره
تشبعنا كرها

تنتقل العدوى إلى أعماقنا المقهوره
حينئذ نهرب من خوف إلى خوف ومن مقهى إلى مقهى
نحاول الخروج من جلودنا المغبّره
فنهتدي للكأس واليأس وللبكاء
ونعشق النوم بقرب الجيف المعطّره
ونلعن الضياء
يا حسْـرتاَ على مدينه
يسوسها الشرطي والقَواد والتاجر
ويسقط الثائر
مبعثرا في ليلها المنبت أشجارَ الضغينه

(٣)

أرحل في الريح وفي المطر
أرحل في الريح وفي المطر
....

مدينة ثانية يحملني الجوع إليها
لكنها شاحبة العيون والبيوت
ومجهداً أبكي لديها
يبكي معي السكوت

* * *

في أُفْقها كان شروق الشمس رائعا
وكانت الأمواج في خليجها خيول
أعرافها ترفعها الريح لكي وَل
بين الذين يجعلون النور دامعا
وينضحون الملح والبغضاء والمقتا
وحينما ينتظرون
أن يجدوا الوقتا
لكي يحِبوا أو يحَبوا في سلام في سكون

تجذبهم أذرعة البغضاء للقيعان
يثقلهم ظل الجنون
ويختفون.. يختفون
في زمن النسيان
أواه يا مدينة الجنود والكلاب والأشباح والقتلى
ما أتعس الذاكرة التي تعي أن القمر
لف على نافذة الحب خيوطا للسمر
وغازل الفلا
وحينما أوى إلى فراشه الصغير
اخترقت جبينَه رصاصةٌ معربده
فاحترقت نافذة.. وماجت الأصداء عبر السحب المبدده
تقول: «لن تســــير ...

***

من يومها والنور دامع هنا.. من يومها يحملني الجوع إليكِ
ومجهدا أبكي لديكِ
يبكي معي السكوت
فأه يا شاحبة العيون والبيوت
أضاعك الأموات في المدينة الأولى
وخلَّفوا بابك مطروقا ومذهولا

(٤)

في الريح والمطر
تلوح من بعيد
مدينة ثالثة تنهض.. والعبيد
في قلبها.. لكنها ملتفةٌ بالزور والأوهام والشرر

* * *

أيتها المدينة الغريبه

من الذي أتى بأحجارك
ألقى بنا وراء أسوارك
ومن ترى يهدهد الحبيبه
ويجعل العبيد أحرارا؟
من يا ترى يهدم بالهمة أسوارا؟

الـــــريـــــح لا تهتــــم
بغير صــــوت الـــــدم
بغير صــــوت الـــــدم
الـــــريـــــح لا تهتــــم

* * *

الصوت الأول: مدينة واهية يبهظها القلق
الصوت الثاني: لا.. فاقشع الضغينة الناريه

الصوت الأول: ابني هنا احترق
الصوت الثاني: ابني أنا أيضا هَوَى في فرنِ غازٍ طافح نازيه
الصوت الثالث: اقتسموها.. إنها لكم جميعا
ولتجعلوا أنغامكم.. ودا.. ربيعا
....
تختلط الأصوات مرة أخرى لكي أمضي
أتبع كوكب الرفضِ

(٥)

الكلْمة التي أقولها لكم كالجثة المنتفخه
فان تكن رائحة الجثة في جلستكم تثير أعصابكم
فهل ترى يثير إعجابكم
أن تنظروا إلى أعماقكم ولم تزل تبدو كالجثث المنتفخه؟

* * *

استيقظوا يا أيها الأموات واسعوا في زوايا المدن المخادعه
اسعوا اليها.. إنها لنا
فالمدن التي نراها في الخيال رائعه
ليست هنا.. ليست هنا

«٣١ مارس ١٩٧١م»

عن عالمنا

١ - رؤيا

أتوغل في غابة هذا العصر الكاسر
أتعثر بالأعشاب الشوكيه
ألمس ساقي، جرحي غائر
أتوقف، أنشج، ريح شتويه
تدفعني في أرض خربه
وتمر على ساقي عربه
أصرخ، لكن من يسعفني؟
صوتي الواهن يتقصف، والريح المحمومه
لا ترحمني
رباه ألا تبعد هذي الرؤيا المشئومه؟!

٢ - معها

في جلستنا هذي الليله
صوتك يتفتح كالزهرة في أعماقي
وأحن أتوق إلى قبله
أتمناها.. أتمنى تنفض أوراقي
ليعود القلب جديدا لم يُشدخ مرّه
ومعافىً لم يمسسه الداء
داء الألفاظ المغبرّه
في جلستنا هذي الليله
شيء ما يغريني أن أتكلم
فلأتبع - يا حبي - ظله
فلأتكلم
- اني أحيانا أحلم يا حبي أني مقطوع الرأس

.

تنفر جسدي غربان الحقل
وتظل الشمس
تبصق فوق الجسد المنحل
إني أحيانا.. لا فلأصمت.. فلأصمت
- إنك تفزعني.. لكن فتكمل ما قلت
أو خبرني - حقا - ماذا بالأمس صنعت
- بالأمس أكلت.. شربت.. ونمت
- تسخر مني؟!
- أبدا يا حبي
بالأمس جلست مع الأصحاب
وظللنا في المقهى الصاخب نضحك أحيانا أو نغتاب
بعضا من أفراد «الشله»
وتحدثنا عن كرة القدمِ

وقرأت مجله:

«جونسون يجلس في مزرعته

ويداعب كلبا

مدن أطلق فيها رعب من قوقعته

سيارات الأسعاف تجوب شوارعها الشوهاء

ومزارع أرزٍ مسمومه»

يا صاحبتي.. إني أعرف عن عالمنا بعض الأشياء

- ماذا تعرف؟

- بعض الأشياء

لكني لن أتوغل في غابة هذا العصر الكاسر

لنظل معا.. «لا أمنَ هنا».. هذي الأنباء

تأتيكم من قلب الشاعر

«٢٦ يناير ١٩٦٧م»

أحـــب أن أقـــول لا

أرفض أن أعيش في عالمكم مهرجا
يضحك من منظره ذوو النفوذ والرتب
أقول لا.. تحرجا
في بادىء الأمر وبعده أوضح السبب

* * *

أحب أن أقول لا
في وجه من يظن وقته من الذهب
فيرفض الجدال، ينفث الغضب
في وجه من يقول لا

* * *

يا سيداتي سادتي

عالمكم مشوش.. أدفن فيه فرحتي
عالمكم مشوش.. تكدرت فيه المياه..
عالمكم هذا كبير
موائد القمار واللصوص والحواه
تجعله دوما كبير
وفي بلاد الرعب حيث تفرخ الطلول
مع الليالي المعتمه
أبحث في عالمكم عن رجل يقول
«توقفي يا آثمه
لا تلعقي دم الصغار
في لحظات الشهوة المغمضة العيون»
أبحث في عالمكم عن رجل حنون
يقول: «ما ذنب الصغار

أيتها السيدة الميتة الضمير

أيتها القنبلة المسلوبة الضمير ؟ »

يا سيداتي سادتي... أحب أن أقول لا

لا.. لم أجد هذا الرجل

* * *

الرجل الذي وجدته هنا.. من بينكم

وجدته يسير في مدينة مدنسه

تقيأت أمجادها.. وأوشكتْ تهون

لكنها يا أصدقاء

تمسح عن أيامها اثار ما خلَّفه الغزاة الجاحون

تهجر بِرْكة الدماء

لعلها تنهض فوق الجثث المكدسه

* * *

الزمن القادم حين يطلق الجناح
قد يبعد الدموع عن عيوننا ويبرىء الجراح
وقد يخيب فيه ظننا فتهطل الدموع
لكنني في زمني الذي أراه سائرا بلا رجوع
أحب أن أقول.. لا
لكل من يحاصرون كِلْمةً أو ينصبون مشنقَه
أحب أن أقول لا في زمن تبدو لنا جدرانُه مزوّقَه
لكنها تضعضعتْ وصار ظلها الطويل مائلا...

«١٩ أبريل ١٩٦٧م»

السوق وذاكرتي المشتتة

معذرة - صاحبتي - ذاكرتي.. مشتته
فحين يخرج الصباح
من رحم الليل إلى الشوارع المسفلته
أكون في استقباله أختلسُ الوقت المتاح
أبحث في شارعنا عن سوق خضروات
مختبرا ذاكرتي
لكنني صاحبتي
أسمع في شارعنا مختلف اللغات
والسوق لا أراه
السوق لا أراه

***

أسمع في شارعنا الملطخ الجبين
عبارة منمقه

من رجل بدين
ينفض عن بذلته الفاخرة الغبار
مؤكدا: «ستشبعون في غد وتنعمون
بمولد الفجر الحنون»
وبعدها ينعم بالسيارة المرفرفه
في ثقة تخترق الشوارع المسفلته
حينئذ تدهمنا الخواطر المباغته
والضحكة المرتجفه
يضحك صاحبي الذي أعرفه مهذبا
يقول لي: «يا مرحبا
الشعراء متخمون
فالخضر الطازجة الآن تعيش في الخيال
ونحن منه مفلسون
فلتعطنا بعضَ الخيال»

....

في لحظات الضحكة القصيرة الأجل
لمحت كيس الخضر الذي يهزه صديق
أعرفه مشاكسا
في لحظات الضحْكة القصيرة الأجل
انكشف الأسى العريق
فاستقبلي الهواجسا

* * *

معذرة – صاحبتي – ذاكرتي مشتته
وأنت في انتظار
وها أنا أخترق الشوارع المسفلته
يخنقني الغبار

«٢١ أبريل ١٩٦٧م»

المناضلـــون

في غرفة أنيقه
مبنية جدرانها من النفاق والدجل
وبابها منفتح لمن يرى الحقيقه
لكنه يدوسها ويرتمي بلا خجل
على المقاعد المريحه
ممددا ساقيه حين يبدأ الكلام
مدخنا سيجارة تلهمه الرؤى الفصيحه
تلهمه الختام
وحين يولد الجدل
تجذبه يد الملل
«معذرة.. يا سيدي.. المقاعد المريحه
تجعلني أحس بالنعاس والفتور

تجعلني أثور

لو طالت المناقشه»

* * *

في هذه الغرفة يجلس المناضلون

قلوبهم صامتة النبض كأنها حجار

وحين يُقسمون

يجاهدون أن يغالبوا الشعور بالدوار

* * *

يا ضيعةَ الحقيقه

طائفة من اللصوص والمهرجين

تحترف الحديث عن قضايا الكادحين

في غرفة أنيقة

«١١ سبتمبر ١٩٦٧م»

لا شـــــيء يهـــم

الصخب يهب هنا وأنا والمقهى في مقتبل الليل
ومعي الرفقاء
هذي المقهى فيها رجل مختل العقل
يسأل عنا نحن البسطاء
يسأل دوما عن قصتنا
عن دمعتنا أو ضحكتنا

* * *

أتوقع أن يأتي الرجلُ
أن يسألني
أتوقع أن يُطوى الأملُ
أن يبعدني
عن جلسة أصحابي البسطاء

ليريق هناءة أيامي

فتطل على الغد أوهامي

ولذا أجلس، أتعلم كيف يكون الرد إذا ما جاء

* * *

لا أملَ هنا.. خَفَتَ النور

وتغلغل في أعماقي صوت

- أتحب الصمت؟

- كلا.. إذ أن الصمت نشيد مقهور

فإذا أخطأ هذا الرجل الباكي العينين

نمكث زمنا نبحث عن حل

لكن الرجل يقول لنا: «يا بؤرة جهل

فلتقتصدي في نسج اللفظ على الشفتين»

* * *

انسلت خطواتي خوفا وتركتُ صحابي دون تحيه
عذراً.. هذا عصر الحريه!!

***

في ميدان التحرير رأيت جموع الناس تسير فسرت
أغلقتُ الباب على نغمي، عانقتُ الليل، شربتُ الصمت
في قلب الصمت استوقفني رجل مجهول
وتحدث عن غده المأمول
في نبرةِ يأس قاسية النظرة كالموت
- لكني لا أعرف من أنت؟
- ما قيمة أن تعرف شيئا؟ لا شيء يهم!
هذا الكوكب ما زال يدور.. يدور.. يدور
لا تسألني أبدا عن معنى وقفتنا
أو تسخر من هذا المقدور

في وقفتنا سنظل ندور
يُدفن يوم كي يولد يوم
- لكني لا أعرف من أنت؟!
- لا شيء يهم!!
- لا شيء يهم؟
- ما دمنا لا نصنع شيئا فلنتحدث عن شبح الموت
يا شبح الموت
سر في هذي الطرقات أليفا
واجعل شجر الميلاد خريفا
يا شبح الموت
الفوضى في كل الطرقات، فأي أمان
نلقاه هنا؟ آه ماذا لو كان هنا شرطي مرور
ماذا لو كان؟

ومضى الرجل المجهول وقد أطفأ لي النور
فمشيت أولول في طرقات الموت، أدور
في دائرة أدنتني من حمم البركان

* * *

فجأة حينما درت لاح الشبح
فجأة في الظلام الثقيل انطرح
صارخا في حنايا كياني المؤرق
اختفى ما تألق
ذات يوم وضاعت أغاني المدينه
في ليالي الضغينه
«أسترا» في الليل عنقودُ نساءٍ يتبعثر
في بنايات المدينه
«ليلنا خمر» تزف الضحكات المستكينه

والخطى في كل دار خائرات تتعثر
فالرجال المتعبون
يطمسون الصبح بالخمر وينسون الكرامه
حين كانوا ذات يوم في الصحارى يلهثون
ويحثون خطاهم في دهاليز السلامه
وسمعت صدى يلسع أذني، يقطر ألما
فلتنفض عنا يا رب الندما
لا شــــيء يهم!!
لا شــــيء يهم!!

«٢٦ أغسطس ١٩٦٧م»

الفنــدق الكئـــيب

في غرفة الفندق لا أصحو ولا أنام
لا أعرف السلام
حقيبتي ممزقه
والنزلاء الغرباء يصرخون في جنون
كأنهم حجارة يقذفها البركان في أودية مشققه
وحينما أُبلغهم - في أدب - بأنني أريد أن أنام
يضاجعون الصمت في استراحة مزوقه
ويهمدون لحظة ، وفجأة يفلسفون
حياتهم .. والعطب البادي على أروقة الفندق للعيون
نبهتهم إليه في منتصف النهار.. لكنهمو لم يبصروه
وهدّهم حديثهم .. لكنهم لم يسأموه
وقال لي أهدؤهم .. أكثرهم وسامه

« في هذه الأيام كم يجمل بالمرء هنا أن يؤثر السلامه
وأنت من شبابٍ جيلٍ ضائع منهد
يسلمك التيار للتيار دون غايه
والسفن الوهميه
تغوص في مقابر القرارة المنسيه
والدم لا يمتد
إلى العروق دافقا
إلا خلال موجة المباريات والمسلسلات والوشايه

* * *

في الغرف الخالية التي يؤمها الذهول
ليست لديّ الجرأة التي تريد أن تقول ما تريد أن تقول
ونظرتي النديه
تنفذ من أعماقها رائحة كريهة تفزعني كحيه
حينئذ أهرب من نفسي وأنطِلقْ

من عالمي القلِقْ

***

حين انتفضتُ واقفا ، ثم اندفعت خارجا وسرت في الطريق
رأيت صيف اليتم والأنقاض والحريق
وموكب الجماهير التي تغوص في الوحول
همست في الليل الكسول:
أخشى على شعبي من الثعالب المراوغه
تخرج من جحورها
لاهثة .. باحثة في عمق غابات اللغه
تفقأ عين اللفظة التي تنير للمضيعين في الظلام
تقيىء من شرورها
على الشروق والندى .. في فورة احتدام
....
صف من الأشجار

يُحرق في قلبي
ما هذه الأسوار
تمتد في الجدبِ ؟

....

وسرتُ في الطريق ، ثم سرت ، والأهواء
تعصف في أرض مهانه
فضجت الأشياء
نائحة حولي ، لذا همست في شبه استكانه
«ما هذه الضوضاء يا تُرى.. تُرى ما هذه الضوضاء؟..»
جسر من الوهمِ
هوى بقاع النيل
فلتفسحوا دَمِّي
في غمرة التهليل

....

أدارت الريح أسطوانه
الشائعات ترتوي من الفتور في الظلال .. تغمر الأضواء

***

أعود من حيث بدأت
أعود للفندق بعد رحلة الترددِ
وليتني كنتُ احترقت
فإنني تعبت من تتبع اليقين في مجاهل التمردِ

***

في غرفة الفندق لا أصحو ولا أنام
لا أعرف السلام
ورحلتي خابت ، وغابت ضحكتي يومَ ارتحلت
والعطب البادي على أروقة الفندق للعيون لا ينام
فليتني كنت احترقت
... ليتني كنت احترقت

«سبتمبر ١٩٦٩»

قصائد القسم الثاني

السحب السوداء

اليوم أعود إلى البحرِ
ودمي يلهث إذ يبحث عن إسم مكتوب فوق الماء
وعلى صدري
أكداس من سحب سوداء
سحب الماضي ، سحب الحاضر ، سحب المستقبل
فأنا أدرك أني قد أُخذل
وأعودِ مع الأيام مويجه
تنحلُ على قدم الصخرِ
فتموت البهجه

وأرَى قبري

* * *

وجلستُ على الشاطىء وحدي
والخوف يعاود إيقاعه
قد يقوَى الموج على هَدِّى
فأرى الساعه
فالساعة آتية .. لا ريب
من أفق الغيب

* * *

....
ماذا يُبكي قلبي المقهور
ماذا يُبكيه؟
أيعي أن الشاطىء مهجور
أم أني أشرد عبر التيه؟

ماذا يُبكيه إذا كان سيتلاقى في مملكة الموت
بالوجه الحلو
فيعود إلى تشريد الصمت
ويحس بزهو

* * *

ماذا يُبكي قلبي المقهور
ماذا يُبكيه ؟
ثقتي تمتد خيوط دخان
في كف الريح
والحقد تدفق سيلاً في قلب الإنسان
والحب جريح

* * *

يا من غنيتُ لها بالأمس
أعذب غنوه

وأرحتُ على نهديها الرأس
فلمسنا أفاق النشوه
ورأنا النيل
نتجادل في آخر مره
فيما قد قيل
أول مره
ما أشقى أن نبقَى أعداء
نتنفس من آفاق الحقد هواء القبر
ونجر العمر
عبر البغضاء

* * *

يا أغنية الحب الأولى قلبي قد جُنّ
في ليلة صيف خمريه
نادتني جهرا إحداهُنَّ

قالت: «أطلقْ نبع الأحلام الورديه»
ناديت القلب فما انطلقا
في إثر الحب
قلبي يتصبب من عنف الرؤيا أرقا
هذي الدنيا جسدُ امرأةٍ تخلع دوما
ثوبا نزقا
لتضاجع زوج صديقتها

* * *

ماذا يُبكي قلبي المقهور
ماذا يُبكيه؟
هذي الدنيا هي مَنْ تُبكيه
هي من تبكيه

«اكتوبر ١٩٦٦»

توثـــب

* عندما ترسو السفينه
ويعود الأُفْق ذكرى لدخان يترسبْ
تهدأ الروح وترسو في زواياها سكينه
وأغاني البحر تنضبْ
* فاعصفي بارياح البحار القويه
اعصفي بالسفينه
حركيها بعنف لتنسَى السكينه
في شطوط المنيه
* واجعليني فوق موج البحر ريحا تتوثبْ
إن في روحي ضراوه
تخذل الصمت فيمضي في الزوايا يتخشبْ

من يَلُذْ بالصمت لابد تغشيه الرخاوه

* مرحبا باندفاق الأغاني عليّ

مرحبا بالمياه

آه مدي يديك بشوق إليّ

ملء روحي حياه

«١٨ مارس ١٩٦٦م»

كان فجـــرا

كان فجرا مَسّ قلبي با لمنى ثم انطوى
كان فجرا يترقرق
بالأغاني
كان فجرا من صفاء وهناء وهوى
كان رؤيا تتدفق
في كياني
كان أحلى أغنيه
رددتها أمسياتي
كان نبع الأمنيه
في حياتي

***

ثم ماذا قد تَبقّى من جـــــذوره..؟
لم أعد أمشي بروح حا لمه
لم أعد أحظى بنوره

في حياتي القاتمه

***

ثم ماذا قد تبقى من جذوره..؟
غير دنيا مثقله
بالمآسي المعوله
عشش الصمتُ وألقَى في مداها ذكرياتي
ثم مد اليأس ظله
في شتاء الروح ماتت أمنياتي

***

ثم ماذا قد تبقى من جذوره ..؟
غير حلم ضائع أو أغنيات ذابله
وسؤال ملء روحي الذاهله:
«كيف ألقَى - في حياتي - بعض نوره..؟!

«نوفمبر ١٩٦٣م»

الحب والريح العصرية

في كل مساء حين أنام
يتردد صوتك في روحي العطشى للنور
وتضيء عذوبتُه الأحلام
فأنام على صوت يطوي لجج الديجور
يطوى وجه الماضي الزائف
ويعيد إلى القلب الخائف
نسمات النور
موسيقى تعزفها النشوه
فيرف بأجنحة الفرح الطاغي المسحور
ليطير إلى دنيا حلوه
وأحس بأن لدى الأيام

شيئا تبقيه لمن خلَعَ الماضي المغرور
وطوى الأوهام
ومضى للنور
وكأن على وجه الصحراء
مطرا يهمي ...يهمي.. بسخاء

* * *

وتصيح عروقي : «وسميّه
يادفء القلب
تتنفس أعماقي دوما من أمنيّه
أن يبقى الحب
في هذى الدنيا الصخريّه
دوما في القلب
عيناك تبسمتا حبا
فبدأت أفيق

من كابوس خنق القلبا
في ساعة ضيق

* * *

....

ما أروع أن ننسى العالم
في لحظة حب
لنزيح الزيف عن العالم
ونشيع الخصب

* * *

لكن القلب يعود يحس بظل الخوف
مِنْ هذا الزيف
يا وسميّه
وقع المحظور
خنقت روحَ الانسان عواصفُ زيف ثلجيه

وتلاشى النور
يا وسميّه
أيرفرف في الدنيا عصفور
وغصون الخوف الشوكيه
تمتد على الأفق المسعور
ماذا يفعل..؟
ماذا نفعل..؟

* * *

أنفر إذن يا وسميّه
من هذا العصر
أم نلقَى الريح العصريه
ونظل معا لنشد الأزر ..؟!

١٠ مارس ١٩٦٦ م

أرق

عيناي في الليل الصموت
تتجولان، فتبصران يد التوجس والأرق
بجمودها وبرودها تبني بيوتَ العنكبوت
بين العواصف في الأفق

* * *

صوت عميق ساخر يسري كما يسري الحريق
ويقول: «هذي أمنيات الشاعر المترقبِ»
الصمت غَشّى غرفتي، لم يبق في الليل العميق
غير الأسى المعشوشبِ

* * *

فلأترك الآن القصيده
فالنوم يخفق في عيون الأمنيات وفي عيوني
والصمت يلعق من ظنوني
الآن تحظَى رقدتي بكواكب الحلم الفريده

فبراير ١٩٦٧م»

قصائد القسم الثالث
الحب ووجه الزمان

قلبي هذا طفل ضائع
يشتاق أبا، أما، يشتاق النور

أغنيـــة للصـــفاء

ملء عينيك صفاء فيه دنيا شاعريه
تتمنى أن تلاقيها العصافير الغريبه
كي تحس الأمن فيها، والهناءات السخيه
وتمس النور في آفاقها
ملءعينيك هناءات، وطيبه
تشتهيها الروح من أعماقها
ملء عينيك أغانٍ دافئات بلبليه
ونداءات حبيبه
رقرقت في القلب موسيقى نديه

* * *

أنت دنياي الرقيقه

أتملاها كحلم ساحر فيه انتعاش
وتهاويم فراش
وينابيع، وآفاق عميقه

* * *

عندما الليل طوانا تحت جنحه
وتلقانا عبوسا جارفا آمالنا في رمل سفحه
صاغت الأحلام فجرا من أغان باسمه
فابتسمنا.. ومشينا بنفوس حالمه
عندما الليل طوانا تحت جنحه

* * *

أنت يا ينبوع نور ، وخيال ، وبراءه
حبنا فجر يغني في سماوات شفيفه
حبنا فجر ندي تلمس الدنيا صفاءه
في أغانينا الرهيفه

في انتعاش مس قلبينا بألحان وِضَاء
في القمـــــر
في عيون الأصدقاء
حين يأتيهم خبر
عن هوانـــــا
حين يرنون إلينا في الطريق
فيحسون انسجاما في خطانا
وصفاء وبريقا فيهما شوق عميق
يتجلى في رؤانا ...

* * *

في لياليّ الطويله
حين أمشي في الشوارع
ضجر الروح وضائع
تتلقاني الخيالات الجميله

فيراني الأصدقاء
أتغني في هناء بالصفاء:
«ملء عينيك صفاء يا حبيبه
فيه دنيا شاعريه
وسماوات رحيبه
تنقذ الروح من الدنيا الشقيه»

«مايو ١٩٦٤م»

انتظـــــار

أنا في انتظارك . . يادفء روحي وطيف القمر
أنا في انتظارك .. قلبي يدق بعنف ويحسب كل دقيقه
فعما قليل أفتت كل الكدر
ونمشي سويا .. لننشق عطر حديقه

***

.... ومر الزمان بطيء الخطى ياحبيبه
وروحي تذوب اشتياقا إليك
تذوب اشتياقا إلى أفق دنيا رحيبه
رأتها قديما لديك...

***

أنا في انتظارك ..مر الزمان .. وكل دقيقه
تمر بدونك تترك لهفه

وقلبي يحاول أن يستقر ويخمد ضيقه
ويحسد طفلا يسير بخفه

***

وحين يئست .. مشيت لأقتات من حسرتي
ففي النفس حزن دفين
وفي وحدتي
صحارى أنين
وطال الطريق ، وكلت خطاي ، فعدت لبيتي
رجعت بوجه تجمد فيه الشحوب
ولذت بجدران صمتي
لألمس بعض خيال ، لألمس وهما
أردت الهروب
إلى النوم حتى أراك ترفين حلما
وحين هززت بعنف غصون النعاس النديه

وطال انتظاري
ولم أَجِن منها الثمار الشهيه
تعذب قلبي بنار انكساري
وحامت خفافيش دنيا شقيه
فكان اندحاري

* * *

بدونك أنت ترفرف روحي وحيده
يضيق الوجود بما في كياني
ظلام ، وضيق ، ودنيا بليده
بدونك أنت أظل أعاني
وتذبل حتى الأماني
فلا تتركيني أعانق بؤسي
تعالي نرفرف في أُفق دنيا طليقه
لأنسى ضياعي ويأسي

فتهدأ نفسي
وأقطف بعض الأغاني الرقيقه

* * *

بعينيك ترسو سفينة روحي اللهيفه
فعودي إليها ، لتجذب حبل الأمان إليها
وتطرد عنها الظنون الكثيفه
فتصفو الحياة لديها

«يونيو ١٩٦٤م»

نهايـــــة

انتهينا ياصديقه
وتلاشت خضرة الأحلام في الليل العبوس
انتهينا.. وعرفنا كيف تطوينا الحقيقه
كيف تطوي في يديها كل أحلام النفوس
انتهينا يا صديقه
وأفقنا من هروب الروح للذكرى الغريقه
بعد تحطيم الكؤوس

* * *

من شتاء الروح يا أختاه قولي كيف نهرب؟!
حُبنا صار رمادا في النهايه
صار نبعا للشكايه

صارت الأنجم أقرب
من أمانينا ، ومن دنيا هوانا
صار قلبي الآن متعب
يتعذب
لأسانا.....

* * *

طفلنا الحلو المغني ضل في الليل طريقه
وبحثنا عنه ، لم نعثر عليه
غاب عنا وجهه الحالم في الدنيا العتيقه
غاب .. لم يبقَ يدينا في يديه
فتنهّدْنا حنيناً .. ثم عدنا ، فانطوينا
وفرغنا من حنين ، وانتهينا

* * *

انتهينا ياصديقه

انتهينا ..انتهينا
دق ناقوس الحقيقه
يازمن
أَنبىء الروح الغريقه
في الشجن
أن عصف الريح أقوى
من أغانينا الرقيقه
أن ما نلقَى .. ونهوَى
يتوارى
في متاهات سحيقه
في الصحارَى

«نوفمبر ١٩٦٤»

صـــلاة للحـــزن

ياظلي .. ياظل الآهات السود
انسج فوق الذكرى سترا
هدهد عطش الروح المكدود
واطوِ الفجرا
دعني أمضي وحدي في الليل
حتى أنسى اللحن المفقود
أنسى ما بلّ صدى روحي من طل
دعني أنسى .. أنسى ياظل

* * *

قد كنت أغني في زمن أخضر
فترف على الدنيا أحلى الهمسات

ويذوب الصمت ولا يظهر
إلا لحظات ...

* * *

كانت آفاقي ورديه
فيها يزهو أبهى كوكب
ويطل على أيام خمريه
لم أشهد فيها إلا ما أَطْرَب

* * *

كانت أفاقي ورديه
لكن غابت .. غابت عني
في عصف الريح الشتويه
غابت عني
لم تتركني أمضي وحدي .. لم تتركني
بل ألقتني في أرض صخريه

ألقتني في كهف الحسرات
كي يستجدى قلبي النسمات

* * *

هل ترجع لي يوما آفاقي الورديه
هل ترجع لي ..؟ هيهات
زمني يغتال الأمنيه
زمني يعوي .. هيهات

* * *

هيهات تعود
آفاقي الورديه
فأنا ماعدت ألوك وعود
ماعدت أغني أغنيه
ماعدت أطير مع النغمِ
ماعدت أطير

غرقتْ أحلامي في بحر العدمِ
واليأس مثير

* * *

في قلبي قد صُلِبَ القمرُ
نَضَحَ الصمت القاسي .. أسفا
همسي ارتجفا
في قلبي قد هطل المطرُ
يسقي الأحزان
ويعري مادفن اليأسُ
في قبر الظلمة منذ زمان
في قلبي يختلج الأمسُ

* * *

ياظلي .. ياظل الآهات السود
دعني أشرب

من خمر النسيان المنشود
افتح بابي .. بابي المسدود
أبعد عني هذا الكوكب
إني متعـــــــب

«٢٤ ديسمبر ١٩٦٤م»

ترنيمة للنـــور

أشواقي قد نسجتْ لي أســـــطوره
بسعادة ناس غنوا فوق العشب
ناس غنوا لعوالم دنيا مسحوره
لا نلقى فيها إلا الحب

* * *

روحي انطلقت من قوقعتي
غنت لك يا فرحي .. ياجنة أيامي
غنت لك آمالا تحيا في أغنيتي
فاخضرت أنغامي

* * *

في ذات مســـــاء
عصفتْ في روحي ذكري وحشيه
حُرِمتْ أرضي من نبع صفاء

صارت أرضا صحراويه

* * *

لكنْ روحي انطلقت ، قلبي الباكي انتعشا
حيث انبثقت قربي النشوه
كي تسقي قلبي إن عطشا
تهديه إلى دنيا حلوه

* * *

ما أروع هذا الينبوع الصافي
نسمات الفجـــــر
كَمْ توقظ من شوقي الغافي
تطويني في موسيقى السحر

* * *

ما أروع هذا يا فرحي .. لكن رؤى الماضي الفظه
عرتني من ورقي لأذوب بكاء

وأنـــا حتـــى هـــذى اللحظـــه
مـــا كنـــت أريـــد أذوب بكـــاء

***

جلدتني - مقهوراً - يابنت النور
جلدتني أسواط الواقع
فتعالي للنغم المقهور
وأعيدي لي الفجر الساطع

***

وأعيدي لي عطر الحب الرائع
يابنت النور
قلبي هذا طفل ضائع
يشتاق أبا .. أُمّاً .. يشتاق النور

«الخميس ٣١ ديسمبر ١٩٦٤»

انطـــــواء

ما أقسى أن ينسانا الحب
أن يهجر دنيانا
أن ننسى دفء القلب
أن نُحْيي الأحزانا
في ليل الجدب
وندوس على أملٍ .. كانـــــا

***

قد كنت أقول
ما أقسى أن يمشي الانسان إلى الظلمه
قد كنت أرى هذا حتي وأنا في النور
والآن أقول
ما أحلى أن يمشي الإنسان إلى الظلمه
قلبي مقهور

«ديسمبر ١٩٦٤م»

أصداء اللقيا الأخيرة

قلبي وآلاف النجوم
يتنفس الأفق الموشح بالكآبة والسأم
من حولها أسفا يخف به الوجوم
والذكريات مع الليالي تستفيق على نغم
تتجاوب الأصداء منه مع الغيوم
والريح تعصف في نهم

* * *

الأفق سجن موحشٌ لا يُفصَحُ
أبوابه المتنمره
لا تُفتحُ
جدرانه المتحجره

سقطت على قلبي المؤرق في الظلام
فتثاءبت في عمق روحي مقبره
دُفن السـلام ...
دُفن السـلام ...

* * *

من أين جئتَ أيا نغم ..؟
من أي كهف غارق فيما مضي من أمنيات
من أين جئت أيا نغم
فأهجتَ فيّ الذكريات
وأعدْتَني متلهفا أتذكر اللقيا الأخيره
لقيا الأسى .. لقيا الوداع
يوم انطوت أحلامنا وتذوقت روحي الكسيره
طعم الأسى .. طعم الوداع
لم نبتسم .. لكنني أظهرت ما في طاقتي من كبرياء

أظهرت أني صامدُ
وكأن قلبي لم يذق طعم البكاء
أبدا ... فلا يتنهدُ
....
ياللوجوم
الذكريات مع الليالي تستفيق على نغم
تتجاوب الأصداء منه مع الغيوم
والريح تعصف في نهم
....
ولمستُ كفك في سلام حالم فيه ارتياح
وهمستُ في صوت حنون
والقلب يطوي في جوانحه الجراح
متناسيا لغة الظنون:
«ليس من معنى لأن نبكي هوانا يا صديقه

مامضى لن يستعاد
فاتركي ليل هوانا يطمس الآتي طريقه
واتركي تل الرماد
واتركي غيم الحقيقه
يتمشى في اتئاد
سوف تمضي الريح يوما بأغانينا العتيقه
حين نمضي لنغني من جديد للوداد
ما مضى لن يستعاد
مامضى لن يستعاد

....

ووجمتِ في الليل العميق
وذهبتِ فاختنق السلام ، فلا سلام ، ولا ارتياح
وبقيتُ وحدي في الطريق
والقلب تعوي في جوانحه الجراح

....

من أين جئت أيا نغم ..؟
من أي كهف غارق فيما مضى من أمنيات
من أين جئت أيا نغم ..؟
فأهجت فيَّ الذكريات

«٢٧ يونيو ١٩٦٥م»

أغنية حب للمنصورة

وصلتُ في الظهيره
طرحت خلفي الصخب الخانق ، واختفى القطار
أعطيته ظهري بلا التفاتةٍ
وانفرج الستار
عن عالم ما أعجبه
تقود روحي موكبه

* * *

عرفت في مدينتي صبية ذكية الملامح
عرفتها مصادفه
وكان وجهها يصارح
بكل ما يهمني أن أعرفه

عشقت شعرها الذي هزت به أصابعي
شجيرة النشوة والفتون والعبير
أدمنت صوتها الذي يرف كالحرير
على مســـــامعي
وذات يوم سافرت صبيتي
ومرت الشهور .. يومها كان الخصام
يقيم بيننا جداره اللعين
ويومها خنقتُ بالتلهف السلام
وها أنا اليوم أجيء
أسير في شوارع المنصورة الصغيره
أحمل في روحي تلهفي البريء
فقد تراني أو أراها في مسيرتي المثـــيره
***
جلستُ في مقهى صغير

أرتشف الغربة ، والشاي، أرى استكانة الأسير
تمـــوج في دمــــي
تلف عا لمــــــــي
جلستُ أنفض الغبار ، أرقب المناظر القريبه
وحوليَ الرجال يلغطون ،يعبسون ، يلعبون بالورق
وكانت السماء ساحة مهيبه
رأيت في امتدادها جنائز الشفق
تعبر كالأشباح في متاهة الظلال
وتحتها على مدى البصر
تدافعت مياه نيلنا يحفها الجلال
هتفتُ في ضجر:
«من الذي يقودني لمرفأى البعيد
من قبل أن يصيبني الدوار
ويختفي النهار

ويرفع الليل إطاره البليد..؟»
ودار في المقهى جهاز ، دارت اسطوانه
سمعتها تقول
في نبرة استكانه
«ياحبيبا زرت يوما أيــكه
طائر الشوق أغني ألمي
لك إبطاء المدل المنعم
وتجني القادر المحتكم»
الشوق أرعش القلوب للفتون ، للجمال
ولانطلاقة الخيال
الشوق هزني .. بقيت في انفعال
وفجأةً تبسمت نواظري .. وأورقت حديقتي
اخضرّ كون في ضلوعي .. أقبلت صبيتي .. حبيبتي ..
مشيرةً: « تعالَ ... » فامتثلت

خرجت من ملابس الأسير وانتفضت

***

حبيبتي أعرفها ..

حبيبتي تعرفني ..

تعرفني بضحكتي الكسيرة الجناح

تعرفني بجسميَ النحيل

كأنه شجيرة تهزها الرياح

فتسقط الأوراق من كيانها الهزيل

حبيبتي أعرفها

تصطخب النشوة بالعالم في عيونها

وقد تبين في الحديث عن ظنونها

لكنها تبدو كأنها مطوقه

إذا انطوت من عالمي الثقه

حبيبتي أعرفها وإن تكن تغيرت

«فقد أنت على ضفائر الحرير والعبير
أما أنا . فلم أزل كما أنا ..»

* * *

في شارع البحر انطلقنا حالمينْ
سألتُها وقد مضت على لقائنا الأخير أشهرٌ عديده
«الزمن الضائع هل يعود مرة هنا للعاشقين؟
وهل تعود ليلة فائتة سعيده
فهذه الليلة لم تضحك لنا النجوم
كعهدنا بها ..
في الليلة الفائتة السعيده !!!

* * *

قالت: «أراك في غد ... » وانصرفتْ على عَجَل

«ابريل ١٩٩٦م»

إليــها فـي بيـــروت

بيني وبينك ياصديقه
بحر من الأهواء تعصف في شواطئه الظنون
لبنان يضحك .. أرزه .. وجباله .. دنيا طليقه
يتفتح القمر الحنـــــون
في ليلها .. وربوعُهَا تحظى بأغنية رقيقه
أما أنا .. فقد ارتجفتُ سألتُ نفسي مَن أكون ؟
أنا شاعر .. وحقيبتي مزحومة برؤى الشجون
وقصائد الشعر الأنيقه!

« ٢ فبراير ١٩٦٧م »

رســـالة منـــها

ينبض مشمس الإيقاع غَنّى للهوى قلبي
لأني حين عدتُ إلى فراغي مثقلَ الخطوات
قرأت رسالة الحبِّ
فرحتُ بها .. محملة نداءات لها خفقات
فرحتُ بها .. محملة بموسيقى سماويه
بدفء الحب بالشغفِ
بتاريخ من الآمال والآلام مؤتلفِ
يغلغل في خيالاتي ويحكي الحب أغنيه

* * *

أتتني الرسالة ، لبنان فيها حكايا طويله
تحدثتِ عن عاشقيه ، تحدثتِ عن أَرزه
وكيف تمر الليالي الثقيله
بقلب تباعد عن كنزه؟

أتتني الرسالة، لاح سؤال بأعماقها
« أأنت تُرى يا صديقي بخير؟ »
أتتني الرسالة ، أبقتْ حياتي بأشواقها
تسائل عنك «أأنتِ بخير؟»

***

قرأتُ رسالة الحبِّ
تكشفت السطور عن الهوى المخبوء في الكلمات
فأشرقت القصائدُ في سكون الليل مبتسمات
وغَنّى الشوق في قلبي

***

أكاد أطير .. أكاد أطير .. بهذى الرساله
وأطوي الظنون
ففي كل سطر عبيرُ غرامٍ أحس خلاله
بقلب حنون

« ٢٤ فبراير ١٩٦٧م »

الليل والزهـرة الفريـــدة

من قبل أن أكتب هذه القصيدة الحزينه
أرهقني التجوال
نمتُ على الأرصفة الغبراء في ليل المدينه
واصطخبت في داخلي ظلالها زلزال
يقوض الآمال
ويجعل الدنيا ضنينه

***

أرهقني التجوال
والليل يطعن الرؤى بمدية الكآبه
وكفُّه تنهال
على الشريد . حينها الظنون والغرابه

تأسره كاشفةً وجوهها الغضبي المريبه
نابشة في قلبه
عن صورة لحبه
آمرةَ إياه أن يطمس هالة حبيبه

* * *

أرهقني التجوال
وأنت.. ياحبيبتي .. كزهرة فريده
تنام في سرير طهرها .. ترى الآمال
تأتي بها في حلمها .. بسمتُهَا السعيده

* * *

يا زهرتي الفريده
ياوجهَ آمالي الذي يشرقَ في القصيده
يمسح حزنها
يُفْرج سجنها

ما بيننا أعمقُ من أن يهدم الزلزال
أركانَه الوطيده
لكنني مكبل بهذه الأغلال
ترددي .. خواءُ جيبي .. خطوتي الشريده

«١١ نوفمبر ١٩٦٧م»

أغنيـة اغـتراب

صديقتي التي أراها في الصباح برهةً ، ينسكب العبير
من شفتيها الحلوتين حينما تبتسمُ
وهمسها الهادىء –حين تبدأ الحديث– في نعومة الحرير
كأنه حديقة يولد فيها النغمُ

***

تبدو لنا مزينه
وترتدي النظارة الأنيقة الملونه
لتبعد العينين عن تطفل العيون
لكنني أنقش في ذاكرتي لونهما
معانقا حسنهما
محدثا نفسيَ عنهما كأنني اختبلتُ أو أُصبتُ بالجنون

***

عيناك ياصديقتي يهامتان تشردان
في ملكوت الشعر والأحلام والطفوله
ترفرفان في أمان
فتشرق الأحلامُ في مشاعري الخجوله
وتولد الأقمار
وأكتب الأشعار
فكيف ترحلين
يا وردةً تفتحتْ في عالمي الحزين

«ديسمبر ١٩٦٨م»

الحـــب ووجـــه الزمـــان

وألمح وجه الزمان المسافر عبر الليالي بلا مأربِ..
يمر حيالي.. فأرثي لحالي .. وأكتم زفره
ويخفق قلبي بعنف كما خفق القلب للحب أول مره
ويهرب مني لذكرى تزلزل كل كياني .. ولم تتعبِ

***

لماذا التذكر بعد فوات الأوان؟ وكيف ألم تغربي
مع الذكريات وعدتُ طليقا
أعيش الحياة وأفعل ما يفعل السائرون مع الموكبِ
لماذا أتيتِ فألقيتِ زيتا على الذكريات فصارت حريقا؟

***

ألم تغربي يا أميرة شعري وصار الهوى قصةً باليه
تجرجر روحي إلى الهاويه
وصار شعوري من الصخر أصلد
من الموت أجمد

* * *

أمن أجل لقيا رفيقتها في الصبا وانتظار الغرام النديّ
تقلقل روحي رقاد الخواطر
وتبعثها في جنون تطوف حواليّ ، تُدمي كحد الخناجر
أمن أجل لقيا ؟ فهذي رفيقتها تهمس الآنَ:
« .. كانت رفيقةَ عمري الفتيّ ..!»

* * *

مع الريح أمضي وينفث هذا الزمان حياتي دخانَ سجائر

وبين الدجى وانتظار النهار يداعب سمعي حديثُ الصديقه
فتهنأ روحي بلحظةِ وهمٍ تريح الخواطر
وتصطك أجواءُ لحظةِ وهمي .. بصخر الحقيقه

«يناير ١٩٦٩م»

الدم في الحدائق

☆ صدرت الطبعة الأولى من هذا الديوان عام ١٩٦٩ .

إهـــــداء

إلى صـــــلاح عبدالصبـــــور

تظل دائما مسافرا لايغيب.. فرحلتك الفجائية

الأخيرة التي انطلقت بعيدا ووحيدا لتلبي نداءها وإغراءها لم تزدك إلا

قربا لأنك تسكن في كل قلب من قلوب محبيك.

حسن توفيق

الدم في الحدائـــق

نهر الرماد يفيض في بطء على الأرض الخراب
وعواصف الشجن المليئة بالفراغ تضج في أيامنا
وتدق ناقوس الأسى في هيكل الذكرى وفي زمن العذاب
وكأنها تنعَى لنا ما ضاع من أحلامنا
من بعد أن صُلِبَ الحنان على الروابي والهضاب
وتململتْ حتي رؤى أوهامنا

***

من بعد أن غرقت سعادتنا.. هنا
في ظلمة الماضي العميقه
وعلى شواطئه الغريقه
وتناثرت في الريح أغنية لنا

كانت تعود بنا إلى زمن البراءه
أثقلتَ قلبي بالشجن
يازورق الروح اللهيفة للوطن
وطن البلابل والهناءه

***

الليل عاد يعيد للقلب انكساره
وتهاوت الأفراح من أفق الصبا الغالي الشرود
ألقي عليها قلبيَ الباكي اندحاره
صارت حطاما في العواصف والرعود
وصدى حنان لن يعود

***

يا أيها الصمت المرفرف في الظلام بلا هدف
لم يبق لي إلا فراغ جائع تتخبط الأوهام فيه
لم يبق لي إلا الأسف

شيخوخة القمر الذي وجد النهاية تشتهيه
لم يبق لي إلا مدى ظل كريه
وهناك في هذا المدى قلبي ارتجف
ورأى الحدائق متنفره
من كل إشراف جميل
كالمقــــبره
فصرختُ في ألم ثقيل:
يابلبل الأحلام.. أسكبْ في عروقي أغنيات
تخضر فيها الأمنيات
يابلبل الأحلام.. رفرفْ ها هنا
رفرفْ على زمن عبر
رفرفْ علي غصن ذوى وهوى إلى قاع النهر
اصدحْ لنا.. اصدحْ لنا
لنرى الحدائق كالقمر

لنرى الحدائـ.....

***

لكنني أسكتُّ روحي في ذهول.. في قلق
فعلى الغصون الذابلات العاريات من الورق
أبصرت دمّ
أبصرت دم البلبل الحاني.. يسيل
أبصرت دم
وعلى الحدائق من دَمِ النغم القتيل
نبع تثاءب في ذهول.. واندفق
ليبدد الفرح القليل
في كل أيامي التي لمست خيالا من هناء، من ألق

***

الساعة البلهاء يمضغها النعاس
ورنينها المنهل يقلقني كأن بجوفه القاسي شبح

وأنا أحدق في الفراغ...

تـــن.. تـــن.. تتـــن

هذا زمان.. بعثرت أحلامنا في أرضه كل الضواري والنمور

لانور في آفاقه

والحب فيه بلا جذور

تـــن.. تـــن.. تتـــن

نهر الرماد يفيض في بطء على الأرض الخراب

تـــن.. تـــن.. تتـــن

من بعد أن غرقت سعادتنا.. هنا

تـــن.. تـــن.. تتـــن

وأنا أحدق في الفراغ..!!

٥ ديسمبر ١٩٦٣

من ليـــالي الفـــــراغ

ليالي الفراغ تدحرجنا في شوارع هذي المدينه
فنمشي نصافح بعضاً، ونترك بعضا
ونحمل حبا وبغضا
وذكرى دفينه

***

وعند المسير يرانا القمر
نحرك ذكرى دفينه
فيضحك.. كيما نمد إليه البصر
فيلقي إلينا بنبع السكينه
ولكننا نستفيق
على صوت روح حزينه
وقلب ببحر المآسي.. غريق

***

رماد على كُمّ شيخٍ عجوز
يصيح بنا: لا تمدوا البصر
إلى وجه هذا القمر
فما من كنوز..
لديـــــه
وما من أثـــر
لنسمة نـــور
ترف عليـــــه
وهذا رنين النهايـــه
يقربنا من تراب القبـــور
وفيه الكفايـــــــه

***

سكتنا..سكتنا.. وكان انتظار
وعدنا ننام

وكان انتظار

وجاء نهار وراح، ومس الشوارعَ ليل عميق

فمدننا تنام

وكان انتظار

تغير لون الوجوه، تغير كل صديق

وكان انتظار

تهدّم بعض البيوت

ومرت فصول، ومدت ظلال الضياع على أمسنا

فلم يبق منه سوى ذكريات مشي العنكبوت

عليها، فغام الأسى في الكلام وفي همسنا

وكنا تركناه في كأسنا

وكان انتظار

***

أبعد انتظار السنين الطويله

تغيب ملامح دنيا جميله
وتبقى عظام الصدى في الفراغ، ويبقى الرماد
يذكرنا بانكسار النفوس
يذكرنا بانخذال الرؤى في ليالي السهاد
فنشرب بعض الكؤوس
لننسى.. ونكسر بعضا.. ونمشي بدنيا الحداد
ونـمشــــــــي...

مع الوهم نمشي..
إلى أن يرانا الزمان العبوس...

***

أهذا زمان السكينه..؟
أهذا زمان القمر!؟
رياح لعينه
تحطم كل الشجر

فبراير ١٩٦٣

شـــجن

شيخوخة الأحلام تعتصر البريق من العيون
وتشد أفراح الحياة إلى القرار
شيخوخة الأحلام تحرقنا بنار
نار من الألم المشبع بالفراغ وبالسكون
شيخوخة الأحلام تتركنا ليأس وانكسار
وعلى شواطيء من أسى تلد الجنون

***

يابلبل النسيان غنوتك اختفت
ومشى الذبول إلى الشجر
فالأمس ظل من رماد
صور غفت
فمضى بها ركب السنين إلى الحفر
نهر من الأوهام منبعه السهاد
ليل تحجّر في عيون لم تنم

وصدى نغم
ألقت به الأيام في صحراء يصبغها الحداد

***

ضاع الحنان، فلا يد تحنو، ولا نغم يرف على القلوب
وتناثر الماضي على تل السنين بلا بريق
لم يبق للقلب المعذب- من رؤاه- سوى الشحوب
وسوى ارتياح- دون جدوى- للظلام وللدموع
وعلى الطريق
صار الصديق بلا صديق
والقلب غمغم- والأسى متحفز- مامن رجوع
ما من رجوع للسنين الضائعات من السنين
ما من رجوع
فالنور كفنه الأنين
وزوارق الأيام تجرفها الرياح إلى القرار.. إلى القرار

وصدى الزمان يصيح فيها : « لا فرار... »

***

بعد الرؤى المتدفقات، وحيرة الشفق المنافق
رددتُ أغنية الهزيمه
أيقظتُها.. فصدى الزمان يهب في روحي حرائق
أألمس جمجمة عقيمه
الدود منها قد أطل الحدائق..؟
أألمس جمجمة عقيمه..؟

***

.. وأتى المساء بلا هناء أو رجاء أو قمر
فعرفت أن النور زورقه انكسر
في لحظة الندم التي تلد التعاسة والضجر
للمرهفين من البشر.

٥ ديسمبر ١٩٦٣

العائـــــد

يا أنت يا أغنية ندية تجول في دمي
يانسمة الحنان... ترنمي
في عالم من نار
يازهرة الربى
صديقك الجواب في البحار
أصابه الدوار
وعاد متعبا
يُغرق فجر عمره الندى
بموجة عاتية... مياهها لهيب

***

ياأنت.. حين تذكرين شمسك المنيره

يا أنت.. حين تذكرين لمسة الحنان
ودفقة الأشواق في قلوبنا الغريره
مدى له اليدين
وقتئذ يحس بالأمان
فساعةَ الشعور بالشقاء
يطل من عيونك الرقيقه
ماضٍ من البلابل الرخيمة الغناء
فيمسح الأحزان.. يطفىء اللهيب
ويخلق الحديقـــــه
في عمره الجـــديب

***

مدى له اليدين
وقتئذ يصافح الرجاء.. وانتعاشه
ترف في كيانه الفراشه

تضيىء في الظلام أمنيه

تحلو لعاشقين

وتوقظ الماضي على أرقّ أغنيه

***

مدى له اليدين

فالطائر الحبيس في الضلوع

يحن لانطلاقه السعيد من جديد

يحن للرجـــــوع

لعشه البعيـــــد

«١٨ فبراير ١٩٦٣»

تعالي

تعالي خذيني ومدى اليدا
لأني حلمت بأني غريق
يضيع ندائي وما من صدى
ويجذب روحي القرار العميق

***

تعالي خذيني فإني غريب
أحس كأن مناي كسيحه
وأن الفراغ بقلبي نحيب
وفيه رمادُ قفارٍ فسيحه

***

تعالي خذيني لأنسى الكدر
وأنسى حياتي وأني بشر

تـــؤرقنـــي ضربـــات القـــدر
وتصفــع روحــي أكــف الضجـــر

***

تعــالي خــذيني لــدنيــا الصّفــاء
وبثـــي جمال الـــوجـــود بقلبـــي
وحين يمـوج الأســى في الــدمــاء
أحيلي حنـــانـــك لحنـــا لحبـــي

***

تعـــالي خـــذيني نمـــسّ القمـــر
فقلبـــي يحن لنسمــــه نـــور
وهـــذا أوان ذبـــول الشجـــر
يـــذكـــرني بظـــلام القبـــور

***

تعــالي خـــذينـــي نغـــنِّ هـــوانـــا
ولا تتركينـــي لـــوحـــش الكـــآبـــه
يعضعـــض روحـــي فـــأمشي مهـــانـــا
أذوب وأبكـــي كـــأني سحـــابـــه
«أبريل ١٩٦٣»

أغنيــة للأســـى

قلبي يسير مع السنين على شواطىء من ضجر
تتثاءب الأحزان فيه.. ولا تنام
فيرى التعاسة حين يوغل في السهر
في ذكريات أو طيوف لم تزل تئد السلام
ويظل يبحث عن خيال قد عبر
متلهفا للنور من خوف الظلام
ويصيح في ملل وضيق:
طال انتظاري للقمر
فطيوف أحلام تضيع ولا بريق
وظلال أوهامي تطوّق لي الطريق
طال انتظاري للقمر

عبر الليالي الظالمه

والصمت في نهم يفيق

يئد الوتر

الصمت يسري كالحريق

بعد التفتح بالأغاني الحالمه

***

قلبي يسير مع السنين على شواطىء من ضجر

تتثاءب الأحزان فيه.. ولا تنام

وهناؤه العبق انتحـــــــــــر

ليعودِ وهما في يديّ مفتتا مثل الحطام

«٢٥ يونيو ١٩٦٣»

أغنيــة لوحــدتي

شوارع شبرا تثير الأسى في كياني
فأمشي أجر التعاسة فيها
أجر حطام الأماني
أجر رماد السنين، وظلا كريها
أجر الفراغ... وحولي زهور الأغاني
يكاد الندى يزدريها

***

وفي الليل حين تطل الظنون
بأحداقها الغائمه
وحين تفر الرؤى في السكون
وأجوائه الساهمه
وحين ينام ضجيج الترام

ويبقى الظلام، ولا شيء إلا الظلام
وبعض نباح بعيد لكلب يفتش عن لقمته
وحين يعود الخيال إلى يقظته
وساعة يأسي.. أسير لوحدي بأنحاء شبرا
أجوب شوارعها الخاليه
أفتش عن ومضٍ ذكرى
أفتش عن فجرِ حلمٍ حنون
عن الدفء في وحدتي القاسيه
وعن ضحكةٍ صافيه
وأسأل نفسي لماذ أهيم وماذا عسى أن يكون؟

***

وحين يجيء الصباح .. ويسري السأم
أحس كأن خريفا يذر رماد الضغينه
أحس كأن خريفا يشل غصون النغم

يمد يديه إلى أغنيات الهوى والسكينه
يفتتها في جموح وينثرها في مهاوى العدم
فأمشي بقلب غريب شرود
يود الفرار
إلى عالم من ورود
وفيه اخضرار

***

وعند انتصاف النهار أفيق
على صوتِ يأسي العميق
فأسخر من وهمِ قلبي
لأن الخريف يلف سنين حياتي
ويُبقي على ذكرياتي
لأذكر حبـــــــي!!

«٢٧ يوليو ١٩٦٣»

عيـــد ميـــــلادي

عيـد ميـلادي تـدلى مـن غصـون الأزمنـه
لاذع الطعـم.. مـريـرا.. فيـه رؤيـا مثخنـه
فتمشـــت في كيـاني ذكـــريـات محزنـــه
وتلفـــــتّ ورائي للظـــلال المذعنـــــه

***

كـــان في قلبـــي حنين جـــارف لـــلا نهايـــه
عنـدما سـارت حيـاتي في دهـاليز البـدايـه
كنـت طفـــلا أتغنـي في الليـــالي بحكـايـــه
نسجتْهـــا في خيـــالاتي أســـاطير منـــايـــه

***

كـــان قلبي في ربيـــع حـــالم فـوق القمـــم
تتراءى فيـــه دنيـــا بـــالأمـــاني تـــزدحـــم

وخيــالات صفــاء يتمــلاهــا النغــم
ونجــوم بــاسمات لم تنــل منهــا الظلــم

***

ثـم صـار النـور ذكـرى تختفـي في أغنيـاتي
وتهز القلــب هــزا لــذبــول الأمنيــات
وتهاوى الحلـم يـأسـاً في الليـالي المعـولات
صـار وهما في كهـوف الحزن يمتـص حيـاتي

***

يـافؤادي أي جـدوى لك مـن ذكرى بعيـده
قـد تـولى النـور والماضي وأيـامـي السعيـده
ومضى البلبل في ليل الأسى .. أخفَى نشيده
لتظـل الـروح تبكي .. تشتهـي أن تستعيـده

«٣١ أغسطس ١٩٦٣»

الذبـــول

الليل قد سكب النعاس على الشوارع في المدينه
وأنا بلا هدف أسير
ظلي ورائي يستثير زوابع الألم الدفينه
ظلي ورائي يستثير
قلبي الذي ألقت به الأيام من حصن السكينه
من كوكب حانٍ إلى زمن ضرير

***

الموكب الباكي أتى.. وأتى العناء.. أتى العناء
يمتص أيامي الغوالي في نهم
يمتص أغلى ما لديّ - بلا ضمير - في العراء
يمتص ذكرى أو حلُم

يمتص من قلبي الصفاء
يلقيه في بحر العدم

***

ما زلت في الدنيا الحزينه
أرنو إلى آفاقها .. روحا تجدف في سأم
وتحس بالظل الطويل ، ترى الألم
أمنيّة من أمنيات الروح تعصرها الضغينه
تلقي بها تحت القدم
والليل قد سكب النعاس على الشوارع في المدينه

***

ماذا يقول الأصدقاء
لو أنهم عرفوا نهاية قصتي
من نظـــــرتي
عند اللقـــــاء .. !؟

٨ ديسمبر ١٩٦٤

***

لن تلمس الأفراحُ آفاقَ النغم
من بعد ما ذبل الهوى
واخضرت الآهات في حقل الندم
وهو الذي بدمي ارتوى

***

الليل مازالت بقاياه الكثيفة في سماء القاهره
وأنا الذي عرف التلهف والحنين
سأظل أحيا في الشتاء هنا على ذكر الأماني العابره
أحيا بها .. أحيا حزين
ماذا إذن ....
لو أنني حطمت مرآتي التي عكست طيوفا من هنائي
ونفضتُ وهم الروح في صخب الشوارع
وهربتُ من دوامة الأفكار من بعد التنائي

وأزحت عن قلبي الزوابع
كي لا تعود إلى سمائي
بعد انطوائي
مـــــاذا إذن .... ؟
مـــــاذا إذن .... ؟

إلى راحلـــــة

على أوتار قلبي تعزف الذكرى من اللهفه
نشيدا لافح الايقاع والجرْسِ
يطل عليّ من أمسي
ويطرد ضحكيّ الصافي من الغرفه
ويتركني غريب الروح والنفسِ
أحدق في مدى الليل
أفتش عنك ياقمري وعن أفق من النشوه
وعن أيامنا الحلوه
فلا ألقَى سوى تل من الأوهام مختلِّ
***
أأســـــأل أنجم الليل

لماذا تهطل الآهات والغيمات والحسره
على روحي، ويشرد ذهني المهموم في الظل
ويتركني مع الحيره
أفتش عن يد للنور تنشلني من الهوه
إلى أفق من النشـــــوه ؟
أأسأل أنجم الليـــــل ؟!

***

أطل عليّ من آفاق روحي بلبل محزون
وعرّاني من الأفراح والأنسام في الظلمه
وغنى في ذهول قاتم موهون
غناء دامع النغمه
فأشعلني الجوي القاسي ... وعذبني
وصرت أبوح من شجني

ومن كمدي .. بحب عاصف مجنون
يطـــــــــاردني

***

وحين صَحَتْ – معفرةً – مع الذكرى رؤى الماضي
ذكرت حنانك الدفاق في نفسي وفي أمسي
فعدتُ لنبش أنقاضي
ليمضي موحشا قلبي ، وتنبت زهرة اليأسِ

«٢٤ أبريل ١٩٦٤م»

جليـــــد

جليد غامض قاسِ
تناثر في سكون الليل من شيخوخة القمرِ
على قلبي ، وحطم ما تراءى فيه من شجرِ
فزاد لهاث أنفاسي

***

غريبا سرتُ ترعب وحدتي في الليل أشباحُ
فأنتِ هدمتِ جسرا بيننا ، روحا أثيريه
فنام القلب ثم عَرَتْه أتراحُ
وصرت أغوص في أبد من الضجر
يشل الغنوة الخضراء والدنيا الربيعيه
ويتركني لظل من نحيب في زوايا الروح يرتاح

يذكرني بحلم -كان فيها - ضاع في المطر
فيهطل في كياني صوت أحزاني »
«أألقَى النور والبسمات في ليل من الأرق ؟
أألقاها وتلقاني
وليس سوى خفافيش على الأفق !! »

***

تركنا الزورق المهجور
على شط من الوهم
وعدتُ أنا .. إلى ديجور
إلى دنيا من الهم

« نوفمبر ١٩٦٤ م »

حكايـــا الظـــــلال

قُذِفتُ إلى عالم صاخبِ
بغير إراده
وكلت خطاي من السير فيه بلا مأربِ
وقلتِ لقلبي الغرير بأن ربيع السعاده
قريب ، فرفرفْ بشوق إليه ولا تندبِ
وها أنت تروين نفس حكايا الظلال المعاده
وقلبيَ يصرخ في وجمة الحانق المتعبِ
أكاد أحس دبيب البلاده

***

تعلمـــت يومـــــا
وحين عرفت صنوف القراءه
وجدت الرؤى في عيون النساء تشق الحجر
فعانقت همـــــا

وأطفأت كل شموع البراءه
وفح الظلام فكاد يحجر روحي الضجر

***

مللت وقلت مرارا مللتُ
أما من نهايــــــه
لكل الحكايا اللواتي عرفت
أما من نهايــــــه
أما من وجوه أحس بأني أراها - بحق - لأول مره
أما من وجوه
أحس بروحي تكاد تتوه
بأسرارها في الظلام الكثيف ، فتومض فكره ؟!

***

وبالأمس كان الظلام كثيفا
وكنت أحدق في العابرين

وكنت أســــيفا
كأنيَ عصفورة تستكين
لفخ لعين
يريها مصير الحياة سخيفا
مشيــت مشــيت
وعبر الشوارع حيث انتبهت
لمحت الأسى في عيون البشر
وومض المحبة يخبو وشيكا كغيمة صيف
وكان الزحام كسيل المطر
وأحسست أني - برغمي - أواكب موكب زيف
تَشتتَ ذهني
وغام بقربي ضجيج الزحام
وخيب ظني
نداء تنشقت فيه السلام

وحدثت نفسي مرارا وقلت لعلّ صديق
أراد لقـــــائي
أراد يخفف عنيَ ضيق
أراد يعاتبني لانزوائي
وحين تشتت ذهني مرارا
وقلت لنفسي لعلي جننت
وجدت إسارا
من الوهم يوهن خطوى فرحت - ببطء - وجئت
وظل يصور لي الوهم هوه
تتُفتح لي في الظلام الكثيف
بدأت بريبة نفسي .. بوهمي .. أنقّلُ خطوه
وأخرى وأخرى جوار الرصيف
وكنت أريد لحاق الترام
ولكن أعاق خطاى الوهن

وسيل الزحـــــام
وعصف الشـجن

***

تود خطاى الفرار من الظلمة الخانقه
تود خطاى ... ألم تسمعي
ولكنّ وهما بقلبي يطفىء معنى الثقه
بكل الوجوه يسير معي

***

من الناس أم من تخاذل نفسي
أود الفـــــرار ؟
صرخت بعزم لساعة نحسي
أريد النهـــار !

٥ سبتمبر ١٩٦٥

دعـــوة إلى الحـــــب

أطلي على عالمي الأخرسِ
لتشدو العصافير في صبحه الشاحب الراكدِ
أطلي .. أطلي .. فإني مللتُ الوقوف على شاطىء يائسِ
أنوح على حبيَ الخامدِ

***

أطلي فإني نشرت القلوع
تجاه شطوط الهوى والرؤى الساحره
سنرحل نحن ... سنطوي الدموع
سننسى المنى العاثره

***

حياتي .. لقد طال هذا الغياب

ألا تعلمين بأني من اللهفة الطاغيه
إليك .. أهوّم وَسْط الضـــباب
بقلب غريب تعربد فيه المدى القاسيه؟!

***

أهوّم وسط الضباب أدندن باسمك
أقول: شقيقةَ روحي وأياميه
أريد أقيد يومي بيومك
لأنسى انطوائي وآهاتيه
فحين أفكر فيك تزيد حياتي خصوبه
أحس بأن حنانك يعطي حياتيَ معنى
يلونها بالأغاني الطروبه
فتصبح لحنا من النور .. تصبح أغنى وأغنى
لأنيَ أذكر يوما طوته قبور البلى الداجيه
تطلعت فيه إلى وجهك الأسمر الساحرِ

وقد مرت النسمة الحانيه
على شعرك الهائم العاطرِ
فرف بقلبي شذى أغنيه
وطار إليك ، ليهمس في قلبك الناضرِ
أحبك أنت بكل انطلاق المنى في ليالي التلاقي
أحبك أنت بكل اشتياقي

***

أطلي عليّ .. فصوتك معزوفة للحنانْ
تبينتها في ليالي الضياع تهدهد نفسي
وتنفض عني كآبة هذا الزمان
فتشرق بعد الكآبة شمسي

«الجمعة ٢٦ فبراير ١٩٦٥م»

افترقنا مســـــاء

افترقنا مســـــاء
عندما لم تعد زهرةُ النور في أغنياتي نديه
واختفي ماتراءى
من نجوم المنى في الليالي الهنيه
فمللنا اللقاء
والقصور التي شيدتها - بوهمٍ - رؤانا الثريه

***

ما الذي قد جرى
بعد أن لم نجد أيّ لفظ رقيق
ينعش الروح فينا ، يعيد البريق
لهوى صار - ياويلنا - مقفرا ..؟

***

ما الذي قد جري

بعدما أفرخ الوهم في أغنياتي .. ؟

ما الذي قد جرى .. ؟

بلبلي طائر في مدى ذكرياتي

سائلا مهجة الريح أن تصفرا

في جنايا حياتي

علها تستعيد صدى عابرا

من رؤى أمنياتي

***

كم رؤى غارقه

في قرار الأسى .. ياغرامي الكسير

ليتني أستعير جناح الثقه

ليتني .. كي أطير

***

يا غرامي الكسير
ليتني أستعير جناح الثقه
كنت ألقَى المصير
والرؤى مشرقه

***

ما الذي قد جرى .. ؟!
احترقتُ أسى وانكسرتُ مرارا
صار حبي بوارا
غاب تحت الثرى ....

«الثلاثاء ٦ يوليو ١٩٦٥م»

وجه ليـــلي

وجه ليلى في خيالي
باقة فيها عبير غامض لاينتهي
مس أوتار ابتهالي
مس قلبي .. سائلا إياه عما يشتهي

***

يشتهي قلبي ابتسامه
في دروب الخوف يمضي يتغنى بنداها
فتواتيه السلامه
ويشق الصخر شقا مستعينا برضاها

***

أي دنيا مستـحبَّـه

حين يلقَى القلب عشا فيه يطوي الأجنحه
وتلاقيه الأحبَّــه
آه .. يا عش هنائي ... وجهها ما أفصحه

***

ليت أيام حياتي
تنقضي بالقرب من هذا العبير الجامحِ
حيث تزهو أغنياتي
ويعود الأمل الحلو لقلبي النائحِ

«الجمعة ١٧ سبتمبر ١٩٦٥م»

لحظة المـــوت

« مرثية لشيـم الشافعي ..
التـي راحـت ضحيـة
حـادث مـروع في أوج
شبابها »

صبح بلا نور يطل على الشوارع ياشيم
الناس في ساعاته السوداء يروون الفجيعه
يروون كيف تحدرتْ روح الربيع إلى العدم
يروون قصتك المريعه
وأنا أغوص مع الخيالات الغريقة في الألم
فأغوص في أرض صديعه

***

مالي أحملق في ذهول وارتجاف وانكسار

صحف الصباح قرأتها
فعرفت كيف ترصد المقدور وانسدل الستار
صحف الصباح طويتها
وصرخت من هول التفاصيل الحزينة يا شيم
وذكرت صورتك الحبيبه
فسهات وجهك في خيالي تستثير صدى الألم
وتحقر الدنيا الجديبه

***

من أين تهبط ياقضاء على النفوس الآمنه
من أي آفاق شقيه ؟
ما للحياة ذوت نضارتها بريح خائنه
من بعد أن كانت نديه ؟ !
....
ماذا تبقى من شيم ؟

كيف انطوت أيامها ؟ أين ابتسامتها المنيره
أين ا بتسامتها التي اختنقت وكفّنها العدم
في لحظه الموت القصيره ؟!

***

يالحظة الموت القصيره
فلتصمتي ولتخشعي إذ تترك الروحُ الجسد
فالقلب مقبرة صغيره
فيها ينام الأصدقاء الراحلون إلى الأبد
يالحظة الموت القصيره
عذبتني .. عذبتِني .. وقطفتِ زهرتها النضيره
لكنها حين انزوت عن غصنها الباكي الحزين
رقدت هنا في قلب كل الناس في صبح الفجيعه
فليهدأ الآن الأنين
ولترقدي شيم الوديعه

« نوفمبر ١٩٦٥ م »

الرحيـــل

في ليلة صماء راودني الحنين إلى الرحيل
ناديتُ باسمكِ يانجوم وياشواطىء في شغف
فتشتُ عن نبع جميل
عن نسمة عذراء أنشقها إذا القلبُ ارتجف
غنيتُ أغنية جديدة
ولأنني قاسيت من صوتي الأجش من البدايه
أسكتّها ورجعتُ أصغي للنداءات البعيده
وعلى المدى في اللانهايه
النسر ضاق بما رآه على السفوح من الجيف
النسر أرهقه الصعود
ماذا يحس سوى القرف
وسوي الفراغ بلا حدود

***

وجلستُ أفكر في أسفِ
والصمت عميق
والنسر يحملق في الجيفِ
والصمت عميق
في هذا الليل
مَنْ يُبعد عني هذا الضيق
ألشق إلى نهديك طريق
كي أشفي الغل
أظفاري بارعة التمزيق
فكفي بالله نشم الفل
وكفي تحديق
في هذا الليل
وتدق الساعه
في عالمٍ طينٍ فيه دماء

فتفر رؤى ليلي مرتاعـــــــه

والموكب يمضي بالأشـــــلاء

***

هذا الشرود إلى متى ؟

هذا الشرود إلى متى يا أيها القلب الصديع

من أجل ماذا تغمر الأيام زهرا ميتا ؟

من أجل أن تجد الربيع !!

ماذا يقول لك الشرود عن الوعود الزائفه

وعن التحرق للبكاء

وعن النجوم وماتعي من ذكريات زاحفه

دوماً إلى غير انتهاء

وسألت قلبي في برود

ماذا تريد من الوجود

أذللتَني .. أذللتَني .. أخرستَ لحنَ الكبرياء

وجعلتَ آسرتي امرأه
فيها حنين للدماء
فلتنقذف هذى الصحائف في لهيب المدفأه
ولأترك الآن المدينه

***

ورحلتُ إلى مدن أخري
عبر الأيام
لكن ظلت تعوى الذكري
والروح تدور مع الأوهام
في كل مدينه
أخطو فيها ألقَى أضواءَ شوارعها
تتقيأ - ويلي - نفس الضوضاء المجنونه
والناس تمر بِضائعها
وترش عليه ظلال شماته

نظرات وعيد
وتهز مع التحديق حياته
ويظل وحيد
في كل مدينه
يعدو نحوي وحش مسعور
وحش الملل القتال يثور
يمتص الأمنَ .. يشل رنينه
فأحس كأن خطاي سفينه
يتقاذفها موج هائــــــل
والبحر يثور بلا طائـــــل
البحر يزمجر كالقاتـــــل

***

النسر ضاق بما رآه على السفوح من الجيف
النسر أرهقه الصعود

ماذا يحس سوى القـــــرف
وسوى الفراغ بلا حـــــدود

***

في الليل أفيق
وتصلصل في وهمي الأغلال
ويطل على شفتيّ سؤال
كرمادِ حريق
مَنْ يذكرني في هذا الليل ؟
من يذكرني ؟ والدنيا ظل

واندست في قلبي ظلماء
لم يبقَ صديق
لم يبقَ صديق
أو تهمسُ لي شفةٌ بدعاء.

١٠ يناير ١٩٦٦ م

الريح والضيف وأنا

كُفّي .. كُفّي ... فالوقت يمر
ورمانا الله عرايا في هذي الأرض العطشى للدم
كفي .. فالهم
أثقل مما يتحمل صدر

***

وتهب على سمعي المثقل ريح ثرثاره
وأظل أحاول أن أصغى ، والريح تجر
أشراكَ الألفاظ الدواره
والوقت يمر
ويعمِّق في قلبي أظفاره
فأخرّ .. أخرّ

***

وأصارحها .. وأقول لها : « لا أرضَ لنا

كُفي .. كُفي
لا حب هنا.. لا دفء هنا
وأعود إلى برد الخوفِ
وهنا يتفكر قلبي في ملكوت الله
يمطر خوفا
فأفكر في تنغيم الآه
كي تؤنسنا في وحدتنا
لكني لا أهدأ .. أترقب في الجلسة ضيفا
يأتي .. يوقظ فينا عِرْقا من نشوتنا

***

ريح ثرثاره
تتنهد في قلب الحجرِ
وتموت شراره
كادت تومض ، ثم انسكبت خُصَلُ المطرِ
لكنْ هل ينبت صخر غصنا ؟

لا .. لا لن ينبت صخر غصنا !

***

واسترخت في مقعدها آسرتي الريح الثرثاره

- ماذا كانت تبغيه فلانه ؟

- لا أدري .. قد تقصد تكشف يوما أغواره

كفي .. كفي .. روحي أسيانه

- هل قالت له

أبعد أنفاسك عن وجهي

تبصر عيناك مدى كرهي

وسدى أن تحظى بالقبله !؟

- لا أدري .. كفى يا .. كفى .. روحي أسيانه

روحي أسيانه

***

يالغة القلب الشفافه

ناس بسطاء

عرفوا أن التسليم حصافه
عاشوا زمنا ومضوا بسطاء

***

يا آسرتي .. كفي .. كفي .. فالعالم كان
أجمل مما نلقاه الآن
القط يموء بلا سببٍ
والوقت يمر
وقواي تخر .. تخر .. تخر
وكأن غياب الضيف يفتت من عَصَبي
لكن هل يأتي الضيف هنا
كي يؤنسنا .. يبقى معنا!؟
العالم كان ..
العالم كان

١٤ مايو ١٩٦٦

حكايــة النعامــة

عيناك ياحبيبتي
بحيرتان من عذاب
رائقتان كالسماء بعد ليلة من المطر
يخوض قلبي فيهما
يخوض في اضطراب
إذ يرقب الزوارق الكثيرة السفر

***

ماذا تريد هذه الزوارق المثيره ؟
وما الذي يثيرني !؟
أحس بالوحشة في انطلاقتي الكسيره
كأن شيئا جامدا وموحشا يزيحني

عن عالمي الذي خبرته .. ألفته
من زمن .. وعشته
أحس بالوحشة مثل غيمة غريره
رحلتها الأخيره
فوق أراض لا تريد الماء لا تنتظره
لأنها ندية ، أحس بالوحشة ياحبيبتي صواعق
في جسدي تعتصره
نازفة حرائق

***

وها هي السماء تبدو صامته
وها هي الخيبةُ في دوامة الترقب المذل سائره
بالخطوة الضائعة المفتته
فلعبة الحياة خاسره
وماسح الأحذية العجوز

يرجع للزوجة والأطفال باللقمة راضيا
وصاحبي فلان لم يزل يسير باحثا عن الكنوز
فلعبة الحياة رابحه
ونحن ياحبيبتي نطلق ضحكةً
تذوب حين أفتح المذياع
تذوب برهةً
ثم تعاود الرنين ....
« هانوي في الظلام ، والقنابل المروِّعه
تهطل تهدم البيوت
هانوي في الظلام ، والطفولة المفزَّعه
تبدأ رحلة السكوت »
مؤشر المذياع يستدير ، أسمعُ
أغنية عن النجوم والقمر
حالمة ترعش في قلبي الوتر

وبعدها أُروَّعُ
أسمع ان الأم في الهند تبيع طفلها
من أجل كسرة من الخبز بلا مذاق
أسمع أن غيمة التجربة الذرية القوية العصب
تبسط ظلها
أسمع أن ملكا قد ابتنَي لامرأة
قصرا من الرخام والذهب
.............:.
حبيبتي تضحك ساخره
لكن خوفي يستطيلَ يجلد الضحك
ومن خلال الخوف تستفيق خاطره
تديل دولة الضحك :
« اللهب القادم قد يطمس وجه القاهره
فآه ياحبيبتي

اللهب القادم قد يريح روحي الحائره
يصنع من مدينتي
جمجمة مشوهه
في عالم المقابر القديمة المشوهه »

***

وآه ياحبيبتي
من عثرة اللسان أو ترمل النغم
وآه لو ثرثرتي تنبيء عن حقيقتي
فيولد الندم
أتعرفين ياحبيبتي حكاية النعامه
حين ترى الصياد!
....
....
أود ياحبيبتي أود لو أنام

أنام في البحيرتين
أغُرق فيهما هواجسي المكدسه
أنام في سلام
وحين أصحو أستعيد كلمتين حلوتين
مبتعدا عن العوالم المدلسه
مبتعدا عن الدمِ
يسيل في فيتنام
أذوقه في عالمي
أصرخ يافيتنام :
« أكاد أرى النيران تمتص جدران البيوت المخربه
وألمح بوذيا يقوض نفسَه
فتصرخ في قلبي رياح مخضبه
لتطفىء شمسَه »

***

صافية سماؤنا ، لكن مذياعي الصغير
يقذف بالأحجار
وأنتِ ياحبيبتي تفتشين في السرير
عن عالم الأزهار
وها أنا أهيىء الجسم لرحلة النعاس والخدر
بالقرب من بحيرتين
رائقتين كالسماء بعد ليلة من المطر
وها أنا ألوك كلمتين حلوتين
....
صافية سماؤنا ، لكن مذياعي الصغير ..
يقذف بالأحجار
يحكي لنا عن الدم
يسيل في فيتنام
أذوقه في عالمي

....

....

ماذا إذا حطمتُ مذياعي الصغير !؟

ماذا إذا ...

....

أفرغ الآن لنومي دافناً رأسي نعامه

تختفي من رمية الصياد تغفو للقيامه

أفرغ الآن لنـــــومي ..

دافنا رأسي ..

نعامـــــــــه

٧ يوليو ١٩٦٦ م

أغنيــــة وداع

« إلى الملتقى »
وعانقتِ كفي بكلتا يديكِ
وبعد التفرق عاد نشيدي مَدَى مغلقا
تقوقعتُ فيه أنادي عليك

***

وكان الرحيل خلال ليالي الشتاء الرتيبه
يحبب لي الأغنيات الكئيبه
ومرت شهور
أطلت وساوس روحي الغريبه
برأس جسور
لتنهش أعماق دنيا حبيبه

***

ويمتد بيني وبينك سور صفيق الحجار
أحاول هدما لجدرانه
سدى ما أريد فإن الصحارى وإن البحار
تُقيِّد قلبي بأحزانه
حنانك إني أريد النهار
لأنسج أبهج ألحانه
ففيم وداعك للقاهره
وفيم الفراق
ألا تلمسين الرؤى الحائره
وأنتِ هناك بأرض العراق !؟

***

أحن إليكِ
فلو أن قلبيَ صار فراشه
لرف عليكِ

ليلقَى على راحتيك انتعاشه
ولكن قلبي دم ياصديقه
يحن إليك حنين السنابل
لدفقة مـــــاء
ونسمة صيف على الحقل تحبو بروح طليقه
ولكنّ هذى السنابل تخشى عواء المناجل
وتخشي اصطخاب ليالي الشتاء

***

حنيني غريب
لخمرة عينيك ياغاليه
لغصن رطيب
لبسمتك الحلوة الصافيه
وتمضي الشهور
وراء الشهور

تصرخ روحي : « لماذا التفرق بعد التلاقي
وكيف تظل الرؤى الشارده
تعمق بعد الرحيل اشتياقي
بلا فائـــــده ؟ »
وتمضي خطاي البطاء تهوم في القاهرة
ويأتي الشتاء
يقصقص ريش المنى الساحره
فيبقى الخواء .

٢٩ سبتمبر ١٩٦٦

فهرس الأعمال الشعرية

● ديوان «وجهها قصيدة لاتنتهي»

● ديوان «أحب أن أقول لا»

قصائد القسم الأول – عن عالمنا:

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٩/٤٠٢٦

I.S.B.N 977 - 01 - 6096 - 2

● تضم هذه «الأعمال الشعرية» تسعة دواوين، رتبها حسن توفيق ترتيبا تنازليا ابتداء من أحدث ديوان وهو «ليلى تعشق ليلى» الذى صدر عام ١٩٩٦، وانتهاء بأول ديوان صدر للشاعر وهو «الدم فى الحدائق» الذى صدر عام ١٩٦٩، وبين أحدث ما صدر وأول ما صدر تتوالى دواوين «ما رآه السندباد» و«وجهها قصيدة لا تنتهى» و«قصة الطوفان من نوح إلى القرصان» و«انتظار الآتى» و«حينما يصبح الحلم سيفا» و«قصائد عاشقة» و«أحب أن أقول لا».

● ثلاث وثلاثون سنة تفصل بين أقدم القصائد التى تضمها هذه «الأعمال الشعرية» والتى كتبت عام ١٩٦٣ وأحدث هذه القصائد التى كتبت عام ١٩٩٦، وقد حرص الشاعر على إثبات تاريخ كتابة كل قصيدة تسهيلا لمن يودون التعرف على مسيرته الشعرية.

● كثيرون كتبوا عن الشاعر على إمتداد مسيرته الشعرية، منهم من امتدحوه ومنهم من انتقدوه، وقد استفاد الشاعر من هؤلاء جميعا دون استثناء، ويتذكر بكل تقدير كتاباتهم عن شعره، ومن هؤلاء جميعا د. سهير القلماوى ـ د. ثروت عكاشة ـ د. يوسف خليف ـ د. أحمد كمال زكى ـ فاروق خورشيد ـ رجاء النقاش ـ د. شكرى عياد ـ كمال النجمى ـ الطيب صالح ـ د. محيى الدين صبحى ـ د. يوسف بكار ـ جلال العشرى ـ محمد إبراهيم أبو سنة ـ عبدالفتاح رزق ـ د. حامد طاهر ـ د. مراد عبدالرحمن.

تصميم الغلاف: صبرى عبد الواحد

١٥٢ قرش

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب